

جامعة الأزهر الشريف
كلية أصول الدين
قسم : التوحيد والفلسفة

شيخ الإسلام

عبدالله الأنصاري الهرمي

مِبَادِئُهُ وَآرَاؤُهُ الْكَالِمَيَّةُ وَالرُّوحِيَّةُ

٣٩٦ - ٤٨١ هـ

رسالة دكتوراه
في العقيدة والفلسفة

تأليف

دكتور محمد سعيد عبد المجيد سعيد الأفغاني

Ketabton.com

دار الكتب الحديثة
١٤ شارع الجمورية بعادينا
ت: ٩٦١٠٧

مطبعة دار التأليف ،
١٨٩٥ نسخة يعقوب بلايز بصرىات

شكراً وتقدير

أشكر جميع أحبائي الذين ساعدوني في تأليف هذه الرسالة وطبعها وخاصة : السيد صاحب الفضيلة الدكتور « عبد الحليم محمود » المشرف على الرسالة .

فقد أحسست في أعماله حسن النية والإخلاص الصادق .
والسيد الأخ العزيز مولوي نقيب الله ، نقيب ، عضو التفتیش
لـ « ستواه محكمة » ، في أفغانستان ، لأنه أرسل إلى بعض مراجع الرسالة
من أفغانستان وساعدني في خدمة العلم أحسن مساعدة .
والسيد موسى محمد علي ، حيث قام بتصحيح بروفات طبع الرسالة .
وأقول في الختام : إن رجائي من الله - جل شأنه - أن ينفع بهذه
الرسالة عامة المسلمين ويجعلها وسيلة لنجاحي في الدنيا والآخرة ،
عليه توكلت وإليه أنيب .

دكتور محمد سعيد عبد المجيد
« سعيد الأفغاني »

الإثنين في { ٢٦ أغسطس سنة ١٩٩٦ م }

تقدير

بقلم الدكتور

عبدالجليل محمود

عميد كلية أصول الدين سابقاً
ورئيس قسم العقيدة والفلسفة حالياً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين

بدأ شيخ الإسلام أبو اسماعيل عبدالله بن محمد الانصارى ، يأخذ
في الدراسات الحديثة مكانته التي تليق به ، لقد بدأ الدارسون يهتمون
به من حيث طبع كتبه ، أو المكتب الذي تشرح كتبه ، ومن حيث
دراسة حياته وآرائه مقدمين لذلك بدراسة بيته المادية والاجتماعية والعلمية :

ولقد عقدت أفغانستان مؤتمراً عالمياً بمناسبة مرور (٩٠٠) عام
على وفاته ، ودعت إليه كبار العلماء من مختلف الأقطار فتناولوا الروايات
المختلفة من حياته وآرائه بالشرح والتلخيص .

وأهمية الانصارى ترجع إلى أنه حاول طيلة حياته أن يعود بال المسلمين
إلى ما اعتقاده الطريق الحق ، وإلى ما آمن بأنه سلوك الأسلاف الصالحين .

لقد رأى الانصارى أن الشفاعة اليونانية والثقافات الدخيلة تحاول

أن تخلغل شيئاً فشيئاً في البيئة الإسلامية، ورأى أنها إذا استمرت على ذلك فإن ذاتية الإسلام وشخصيته لا تكون في نصاعتها كما كانت في عهوده الأولى : عهود العزة والكرامة والتقوى ، ورأى المسلمين انحرفوا عن طريق السلوك العملي متوجهين إلى الجدل والمراء أكثر من اتجاههم إلى الروح السلوكية العملية .

وشر أبو اسماعيل عن ساعد الجد وأخذ يعمل في ميدانين :

١ - ميدان تخلص الذاتية الإسلامية مما علق بها من آثار غبار الثقافات الدخيلة وهذه الآثار كانت ظاهرة على الحصوص في مجالين : -
(١) مجال المنهج . وهو يتمثل - في الثقافات الدخيلة - في المنطق الأرسطي .

والمنطق الأرسطي منهج يوناني ، إنه منهج هؤلاء الذين لا يعتمدون على كتاب مقدس . ولا على سنةنبي مرسل ولا على تطبيق رعيل صالح لكتابهم المقدس وسنة نبيهم ، أنه منهج اخترعه أرسطو لأنه ما كان يدين بدين وما كان يرجع إلى كتاب . أما من يدينون بدين ويرجعون إلى كتاب ويشهدون برسول . فإنهما يرجعون إلى كتابهم ورسولهم :

إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم .

« فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسلية » .

ومنهج المسلمين إذن إنما هو الاتباع :

« اتبعوا ولا تتبعوا فقد كفيتكم » .

وجاهد الانصارى جماد المستimit لرد المسلمين في المنهج إلى الاتباع

- ٥ -

وكان من أثر ذلك أن رفض هذا السراب الخادع الذي يسمونه المنطق القديم وأن قام بنشر فكرة الاتباع بكل ما يستطيع من وسائل : بقلبه وبلسانه وبمسلكه .

(ب) وال المجال الثاني الذي علق به غبار من آثار الثقافات الدخيلة هو مجال المرأة في الدين ، وهو المجال الذي سمي بعلم الكلام ، وفي هذا المجال سار الأنصارى على نسق كبار الأئمة : أحمد بن حنبل ، ومالك ، الشافعى ، وغيرهم .

ودولاء لم يزجوها بأنفسهم في هذا النوع من المرأة بين المسلمين الذي يسمونه علم الكلام وهم لم يروا فيه إلا نوعا من الأسباب والوسائل التي تفرق بين المسلمين ولا تنتهي بهم إلى الاتفاق أو الوئام .

وحاول الأنصارى أن يرد المسلمين عن هذا الجدل والمراء فألف كتابه : « ذم الكلام » ، ولكن الأمر لم يقتصر على هذا الكتاب : وإنما تدهاه إلى التدريس ، وإلى هذه الفقرات التي يكتتبها في كتبه الأخرى إذا جاءت المناسبة ، وإلى أسلوبه هو في حياته الفكريّة .

أما الميدان الثاني الذي عمل فيه الأنصارى فإنه صرف المسلمين عن التورط والتعمق في المجالات النظرية العقيمه المجدبة ، إلى العمل المشر الذى يتمثل في العبادة ، وفي طبع جميع أعمال الحياة بطبع العبادة .

وكانت وسليته في هذا المجال هو توجيه المسلمين إلى التقوى الحقيقة النابعة من قلب تطهر وصفا وذلك هو التصوف .

وكان الأنصارى صوفياً بقوله وصوفياً بقلبه وصوفياً بمسلكه فكان دعوة إلى التصوف بكل مظاهره : حالاً و عملاً و تعبيراً .

- ٦ -

عن كل هذه الجوابات يتحدث الأستاذ سعيد الأفغاني في رسالته للدكتوراه ، التي أسعده الحظ بأن كنت مشرفاً عليها ، وبأن كنت في اللجنة التي ناقشتها ، وقد استحق بمجهوده الموفق أن ينال مرتبة الشرف الثانية بعد ما نوقشت في ١٥/٧/١٩٦٨ بجامعة الأزهر .

ومن توفيق الله أن الأستاذ سعيد الأفغاني كتب عن الانصارى بعد ماض طويل في الكتابة والجهاد . لقد ألف الأستاذ سعيد الأفغاني في كثير من مجالات الدين واقتصر أثر الانصارى في الجهاد والنضال سنوات طويلة من حياته قضاها في التدريس والبحث .

ومن توفيق الله أن الأستاذ سعيد الأفغاني من بينه الانصارى ، لقد تنسم الهواء الذى كان يتنسمه الانصارى ، وشرب من شراب الانصارى وعاش في جوه المادى ، كما عاش فترة طويلة في جوه الروحى .

ومن توفيق الله أن الأستاذ سعيد الأفغاني متتمكن من اللغات الى كثب بها الانصارى كتبه ورسائله ، وذلك أن الانصارى لم يكتب بلغة واحدة وإنما كتب بعدة لغات .

ودرس الأستاذ سعيد الأفغاني الانصارى في هذه اللغات المختلفة وأطّال الدرس والتحقيق في غير ملل ولا ضجر .

ولشكل هذه العوامل والأسباب كانت كتابته كتابة العالم المنشبت . المحقق بجزاه الله عن الانصارى وعن الثقافة والفكر خير الجزاء ، وأرجو من الله - جل شأنه - أن ينتفع بهذه الرسالة بعد طبعها ونشرها عامة المسلمين .

دكتور عبد الحليم محمود

سعيد كلية أصول الدين سابقاً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

نحمدك يا رب العالمين يا رحمن يا رحيم .
يامالك الملك في الدنيا ، وفي يوم لا ملك فيه إلا الله الواحد القهار .
إليك نعبد وإليك نستعين .

نسألك أن تهدينا الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم
غير المغضوب عليهم ، ولا الضالين . آمين .
ونصل إلى سيدنا محمد سيد الأنبياء والمرسلين ، وعلى آله
وصحبه وأوليائه أجمعين .

أما بعد ، فلما كانت الحياة الروحية هي قوام الحياة المادية ، حتى أن
الحياة المادية لا يمكن أن تحصل و تستقيم و تطمئن إلا بالحياة الروحية
لزم أن ندرس أولاً الحياة الروحية وأن نعرف حقيقتها وكيفيتها ، ثم
نرجع إلى الحياة المادية ، فنصلحها وفق ما جاء في الحياة الروحية ،
لكن نسير في طريق الرشاد ، ولكن لما كان درس الحياة الروحية
والعمل بقييمها يحتاجان إلى توجيه من له خبرة في هذا المسير ، لزم
أن نأخذ من تجارب الذين ساروا في هذا الطريق وتوجيهاتهم نبراساً
ومرشعاً لسيرنا ، لكن لا فتصادم بالعواقب ، ولا نقع في الممالك .

- ٨ -

نعم إن هجوم الأغراض الماديه على العقل والفكر ، وتلاطم
الاقتضامات الشوانية ووساوس النفس الامارة بالسوء ، ومشكلات
الحياة المدنية ، لها تأثيرها في حياة الإنسان ، وإنها لتجعل الحياة
مضطربة .

فلا مناص إذن ولا مفر إلا بالرجوع إلى الحياة الروحية النقيه .

ومن ناحية أخرى قد ثبت عندي أن الطريق الموصل إلى الحق
هو السير على أثر أقدام الروحانيين الذين وصلوا بالعبادة والزهد والمعرفة
إلى الحق واليقين ، وأن التصوف الحقيق هو الوسيلة الوحيدة للوصول
إلى المعارف الحقة ، ومن أجل ذلك صممت من أمد بعيد على أن
أدرس أولاً ما جاء به الصوفيون العظام ؛ ثم أطبق سلوكى بما قالوا ،
وبما فعلوا ، وبما حكى عنهم مستمدأ من القرآن الكريم والأحاديث
الصحيحة ، وبما لا شك فيه هو أن في بث أرائهم ونشرها خيراً
وفلاحاً للبشر عامه وللمسلمين خاصة .

لقد درست كثيراً من كتب الصوفية العظام . وهذا أناذا أقوم
الآن بدراسة الآراء الروحية والفكريه للصوفي الكبير شيخ الإسلام
ـ أبي اسماعيل عبد الله بن محمد الانصارى ، وذلك لأن آراءه الروحية
قد جذبته من أول الشباب نحوها ، وكان كثيراً من الأحيان تعجبني
مناجاته ونصائحه ، وطالما كنت أفكـر في أن أنعم النظر في آرائه الكلامية
والروحية ، لكن مع الأسف كانت تعوقى مشاغل الحياة إلى أن
وجدت الفرصة وبدأت بدراسة التصوف لهذا الصوفي الكبير بدقة
وإمعان ، والآن وقد قطعت فيها شوطاً بعيداً صممت على أن أكتب
تحت عنوان :

- ٩ -

• الصوفى الكبير شيخ الإسلام أبو اسماعيل عبد الله بن محمد
الأنصارى المروى .

رسالة تشتمل على حياته وآرائه التي تتعلق بعلم الكلام ، وتصوفه
وحياته الروحية ، وأستعين بالله العظيم أن يتممها بالخير ، وأن يهدينا
سواء السبيل .

الدكتور

محمد سعيد عبد العليم « سعيد الدقانى »

العصر الذي ولدونشاً فيه الصوفى الكبير

شيخ الاسلام ، عبد الله الانصارى ، المروى

ولد عبد الله الانصارى ، في إحدى ولايات أفغانستان التي تسمى بـ « هراة » في العصر الذى كان فيه مركز الإسلام وال المسلمين مدينة « بغداد » ، ويتولى الخليفة « القادر بالله » من الخلفاء العباسيين ، ويتصرف في أمور الناس في « خراسان » (١) السلطان محمد بن سبكتيجين ، وكان زمام السلطة في مصر يد « الفاطميين » .

ويمتاز عصر ولادة عبد الله الانصارى في خراسان بأنه « عصر الاختلافات السياسية بين السلجوقة والأتراك والغزنوين والغوريين » حيث حارب فيه بعضهم البعض ، وأنه عصر اشتدت فيه الاختلافات بين المعزلة والأشاعرة والماتريدية والخنابلة والأحناف والشافعية .

(١) « خراسان »، بلاد قديمة في آسيا تقع بين نهر « آمو » شمالاً وشقا وجباره « هندوكسن » جنوباً، وتتصل غرباً بمناطق « فارس » وامتدت إلى بلاد ما وراء النهر ، و « سجستان » جنوباً . تقاسمها التغيرات السياسية اليوم بين « إيران » فأخذت الجهة الشرقية الشمالية منها التي تقع فيها مدينة « نيسابور » ، وبين « أفغانستان » فأخذت الجهة الشمالية منها التي تقع فيها « هراة » و « بلخ » ، وبين مقاطعة « تركمانيا » السوفياتية التي تقع فيها مدينة « مرو وقد »، غزاها « الضحاك »، سنة (٦٥٦ م) . وحشد فيها « أبو مسلم الخراساني »، ودعاة العباسيين سنة (٧٤٨ م) الجيوش التي قضت على الخلافة الأموية في الشرق . وكلمة « خراسان » مركبة من « خور » أي شمس و « أسان » أي مشرق . مأذوذ .

من كتاب « المسجد » في الأدب والعلوم ص (١٧٤) .

- ١٤ -

والجبرية والقدرة والماحدين ، حتى وصلت اختلافات الآراء والمذاهب إلى حد أن نسب بعضهم إلى بعض الآخر الكفر واللحاد .

ومن ناحية أخرى كانت اختلافات طرق الصوفية في معرفة الحق والسير إلى الله وفي الله ، وفي الكشف والمكاشفة ، قد حيرت الأوهام والأفكار ، ووصلت إلى أقصى درجات الشدة ، حتى فقد كثير من الناس صوابهم .

و بما لا شك فيه أن هذه الاختلافات بين المسلمين في عصر ولادة عبد الله الانصاري ونشأته قد وصلت إلى درجة بدأت تشتت شمل المسلمين ، وتفرق وحيدة كلتهم ؛ لأن المسالك والمذاهب والمناهج والخطط وطرق الصوفية كانت كثيرة ، وصارت المناورة والمقارنة بين معتقداتها من الخصائص الذاتية لهم ، حتى أصبح كل عالم ومتصرف يتصرف في أعماله كأنه كون برأسه ويحسب أنه يجب على الناس أن يطيعوه فيما يأمرهم به وينهوا عنهم .

وعلى كل حال فقد ثبت أن عصر ولادة عبد الله الانصاري ونشأته كان عصر المؤامرات والدسائس الدينية والسياسية التي تموج كأمواج البحر .

ولَا شك أن هذه الأوضاع كان لها أثراً في اضطرار أكثر الصالحين إلى أن يختار الحياة الممزوجة ؛ لكن لا يقع في الفتنة والمعصية والانحراف وإن كانت الحياة الممزوجة في دين الإسلام قد نهى عنها وأن دين الإسلام يقول : « لا رهبة في الإسلام » .

لكن مع كل هذه المشكلات استطاع عبد الله الانصاري وسط

أمواج الاضطرابات الدينية والسياسية ، ومع شدة الظروف ، وكثرة العوائق أن يشق طريقه إلى الصلاح والفلاح ، كما وفقه الله فيما بعد إلى هداية الناس سواء السبيل .

مدينة « هراة » التي ولدونا فيها عبد الله الانصارى

مدينة « هراة »^(١) في تاريخنا المعاصر عبارة عن إحدى ولايات أفغانستان الواقعة في الغرب من عاصمة أفغانستان « كابل » بقرب الحدود بين أفغانستان وإيران .

كتب عبد الرحمن « جامي » في كتابه « نفحات الأنس » : أن عبد الله الانصارى قال : « ولدت في « قهندز »^(٢) ونشأت فيها ». ويمر بقرب مدينة « هراة » النهر الذي يسمى بـ « هري رود » وينبع هذا النهر من جبال « غور » .

وقد كتب كثير من علماء العرب في علم الجغرافيا بعد عصر عبد الله الانصارى « عن مدينة « هراة » شروحاً كثيرة ، ووصفوها

(١) هراة : مدينة من إحدى المدن الأربع المشهورة من « خراسان » القديمة فيسابور ، مرزو ، بلخ ، هراة . وبلغ سكانها يوماً ما ٨٥٠٠٠ نسمة وينسب بناؤها إلى « الإسكندر » وكانت لمدينة « هراة » شهرة كبيرة في القرن الخامس عشر من ناحية العلم والفن والأدب . وقد اجتمع فيها العلماء والشعراء وال فلاسفة والمتصوفون والمؤلفون . واتجه إليها الطلاب من أوطنان بعيدة ، وقد حدث فيها كثير من الحوادث السياسية والمذهبية والاجتماعية .

(٢) قهندز : عبارة عن الحصار القديم من مدينة « هراة » ، ويسكن فيه في عصرنا هذا المتعلمون بعهد الله الانصارى ، والمربيون له قدس الله سره .

بأنها مدينة عظيمة ، كما أنه كتب « حمد الله مستوفى قزويني » في كتاب « نزهة القلوب » لو يسأل السائل أى المدن أحسن وأحب ؟ فالجواب الصحيح أن يقال : « هرآة » ، وقال أيضاً أن الدنيا مثلها كمثل البحر و « خرسان » فيها كمثل الصدف وأن مدينة « هرآة » في « خراسان » مثلها كمثل الجوهر في الصدف .

ولا شك أن مدينة «هراء» مدينة جميلة وجوهاً لطيف وفيها من الفواكه والثمار والخيرات الكثير.

وكانت هذه المدينة محاطة بجدار عظيم وشديد ، ولها أربعة أبواب إلى أربع جهات : شرق وغرب وجنوب وشمال ، كما أنها تتصل من ناحية الشمال بولاية بلخ .

ومن ناحية الغرب بولاية نيسابور ، ومن طرف الجنوب بولاية سجستان ، ومن جانب الشرق بولاية كشك ، وجبال ، غور ، وقد صنعت ثلاثة من هذه الأبواب الأربع من الخشب ، والباب الرابع الشمالي منها صنع من الحديد . وتتصل ناحية الشمال من مدينة هراة ، بالمناطق الجبلية التي كان الناس يستفيدون من أحجارها في البناء وأصطلاح الطرق ، كما يجعلون من بعض أحجارها أحجار الطواحين .

وقد دخل الاسلام مدينة « هراة » في عصر خلافة « عثمان بن عفان » - رضي الله تعالى عنه - وفتحها فاتح « خراسان » الاحنف بن قيس - رضي الله تعالى عنه - في سنة ٣١ أو سنة ٢٢ هـ وقد كتب بعض الناس : أنه كان بالطرف الشمالي من مدينة « هراة » ، قرب المناطق الجبلية منها معبد « زرديشتى » ، قديم يسمى بـ « سرشك » ،

- ١٧ -

يزوره « زرداشيون » ، حتى القرن الرابع ، وأيضاً كانت في طريق هذا المعبد « كنيسة » للمسيحيين .

وتتصل مدينة « هراة » من الطرف الجنوبي بمناطق خصبة . ويشتهر كثيرون من أنواع الفراشة في هذه المنطقة وخاصة العنبر ، لأن عنبرها يتمتع نوعاً وطعماً ولذة (١) .

بِحَمْلِ الْمَذَاهِبِ وَالاتِّجَاهَاتِ الْمُوجُودَةِ فِي مَدِينَةِ « هَرَاءَ »

فِي عَصْرِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِي

من الحقائق المسلم بها أن الاختلافات المذهبية والاتجاهات السياسية في عصر عبد الله الانصارى -- كما أشرنا إليها سابقاً -- وصلت إلى أقصى درجة من التشتت وذلك لأنه .

كان يوجد في هذه المدينة مذاهب المسيحيين ، والزرادشتين ، والخوارج ، والكرامية ، والجبرية ، والقدرية ، والمعزلة ، وأهل التشيع ، إلا أن الأكثريتهم فيها لـ « السنى والحنفى » ، كما توجد فيها فرقية من الشافعية والحنابلة .

ومن ناحية أخرى كانت مدينة « هراة » في أوائل عصر عبد الله الانصارى تحت سلطة « الغزنويين » ثم اتقلمت الحكومة في عصره إلى « السلجوقية » ، وحدث فيها كثيرون من الاختلافات السياسية .

(١) من كتاب « زندگی خواجه عبد الله الانصارى » بالفارسية ص (٢٠-١٦) .

أحوال والد عبد الله الأنصاري وأمه

وما يتعلق بعده قبل ولادته

ولقد ثبت أن والد عبد الله الأنصاري ، الذي يسمى بـ « أبي منصور » محمد كان من نسل الصحابي الأنصاري ، أبي أيوب خالد بن زيد الأنصاري الخزرجي ، النجاري الأزدي صاحب رحل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والذى نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيته بالمدينة حينما وصل إليها مهاجرا ، ومات بالروم غازيا ، فدفن بقرب سور القسطنطينية – رحمه الله تعالى – ولما توجه ، الأحنف بن قيس ، رضى الله عنه إلى خراسان ، وفتحها في عصر خلافة عثمان ، رضى الله تعالى عنه – كان معه أحد أولاد أبي أيوب خالد بن زيد الخزرجي هو « أبو منصور مت » ، فدخل مدينة هراة ، وأقام فيها .

وروى عن عبد الله الأنصاري ، أن أباه أبا منصور محمد كان قارئا للقرآن السكري ، صادقا في الكلام ، متقيا في أعماله ، ومن رجال التصوف وأهل الله .

وحكى عبد الله الأنصاري ، عن ، الشيخ أحمد كوفاني ، الذي سافر إلى البلاد العديدة ، وزار أكثر الصوفيين أنه قال : مارأيت أحدا مثل أبي منصور في التقوى والورع . وروى عن « أبي منصور » أنه كان لا يقتل الحيوانات المؤذية (١) مثل العقرب والحيث .. وأنه تعلم هذه الصفة والخاصية من مرشدته ، أميرجه سفال فروش ،

(١) هذا لا يتفق مع ما جاء في دين الإسلام لأن دين الإسلام يأمر بأن يقتل المؤذى قبل الإيذاء للدفع ضرره .

حتى حَكَى عنْهُ أَنَّهُ إِذَا كَانَ رَأَى الْعَقْرَبَ فِي دَكَانِهِ لَا يَقْتُلُهُ وَلَكِنْ يَدْفَعُ ضُرُرهُ عَنْ نَفْسِهِ فَيُرْسِلُهُ بَعِيدًا عَنْهُ .

وَكَانَ أَجْدَادُ أَبِي مُنْصُورٍ قَدْ جَاءُوا إِلَى مَدِينَةِ « هَرَةٌ » وَاسْتَوْطَنُوهَا مِنْ ثَلَاثَةِ قُرُونٍ وَعَلَى الْأَعْلَمِ وَلَدُ أَبِي مُنْصُورٍ فِي مَدِينَةِ « هَرَةٌ » لَكِنْ لِأَسْبَابٍ غَيْرِ مُعْرَوِّفَةٍ سَافَرَ إِلَى مَدِينَةِ « بَلْخٌ » وَقَرَأَ هَذَاكَ عَلَمَ حَشْبَلِي يُسَمِّي بِهِ « أَبِي الْمَظْفَرِ حَبَالَ بْنَ أَحْمَدَ » .

وَكَانَ يَعْلَمُ هَذَا الْأَسْتَاذُ الْجَلِيلُ تَلَامِيذهُ الرَّزْهَدُ وَالْمُورَعُ وَالْتَّقْوَى ، وَأَثْرَ تَعْلِيمِهِ وَتَلَقْيَنِهِ عَلَى أَبِي مُنْصُورٍ كَثِيرًا . وَيَعْرَفُ درَجَةُ ذَلِيلٍ أَبِي مُنْصُورٍ وَأَسْتَاذِهِ أَنَّهُ حَكَى لَابْنِهِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِي « فِي مَدِينَةِ « هَرَةٌ » عَنْ « أَبِي الْمَظْفَرِ » وَصَيْفَتَيْنِ : -

الأولى : لَا تَطْرُدِ النَّذَابَ عَنْكَ عَنِّدَمَا يَكُونُ أَحَدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ جَالِسًا عَنْدَكَ لَأَنَّهُ يَحْتَمِلُ أَنْ يَنْتَقِلِ النَّذَابُ إِلَيْهِ .

الثانية : كُلُّ مَنْ يَحْسِنُ إِلَيْكَ فَهُوَ (فِي الْحَقِيقَةِ) قَدْ قَيَدَكَ بِقِيَودٍ إِحْسَانِهِ ، وَكُلُّ مَنْ يَتَعَدَّى عَلَيْكَ فَهُوَ (فِي الْحَقِيقَةِ) قَدْ حَرَكَ مِنْ قِيَودِ نَفْسِهِ ، فَإِذْنُ الْحُرْيَةِ (عَنْ رَبْقَةِ عَبْدِهِ) أَوْلَى وَأَفْضَلُ لِكَ مِنْ أَنْ تَكُونَ مَقِيدًا فِي قِيَودِهِ (١) .

وَلَا تَوْفِيْ « أَبِي الْمَظْفَرِ » أَخْذَ « أَبِي مُنْصُورٍ » يَحْضُرُ إِلَى مَجْلِسِ الشَّيْخِ « شَرِيفِ حَمْزَةِ الْعَقْلِيِّ » ، وَحَصَلَ عَلَى الإِجازَةِ مِنْهُ وَقَدْ كَانَ ،

(١) لَيْسَ غَرْضُ « أَبِي الْمَظْفَرِ » رَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى عَدَمُ الاعْتِنَاءِ بِإِحْسَانِ النَّاسِ وَكَفَرَانَ النَّعْمَةِ بِلِمَقْصُودِهِ أَنْ يَتَسْلِي الْمَصَابُونَ بِالْأَذْرَارِ مِنْ أَعْدَائِهِمْ ، حَتَّى لَا يُضِيقَ قُلُوبَهُمْ بِالْأَذْرَارِ الَّتِي وَصَلَتْ إِلَيْهِمْ مِنْ مَعَاصِرِهِمْ فَتَخْتَلُ أَفْكَارُهُمْ وَيَأْسُوا مِنَ الْمَصَالِحِ الْإِجْتِمَاعِيَّةِ وَيَنْهَى ذَلِكَ إِلَى أَنْ يَنْتَقِمُوا مِنْ أَعْدَائِهِمْ الْأَنْتَقَامُ الشَّدِيدُ .

هـ شريف حمزة العقيلي ، في الأصل من مدينة هـ هرآة ، ولـكـنهـ جـلـمهـ
إـلى مـديـنـةـ بـلـخـ ، وـأـقـامـ فـيـ رـبـاطـ كـرـمـانـكـانـ ، وـكـانـ لـهـ شـهـرـةـ فـيـ
الـتصـوـفـ وـالـكـرامـاتـ .

وكان من متعلقيه ومربيه : -

- | |
|---|
| (١) يسیر فارسی .
(٢) أبو القاسم الحنابة .
(٣) الحسن الطبری .
(٤) العارف عیار . |
|---|

(٥) عبد الملك الاسكاف الذى كان من آخر تلاميذ حسين ابن منصور البيضاوى الحلاج (١) وبلغ عمره أكثر من مائة سنة.

ويحكي أنه في يوم من الأيام قالت واحدة من السيدات لـ «شريف حمزة العقيلي»، أنها ت يريد الزواج من أبي منصور «فلما عرفه»، أبو منصور، هذا الأمر أظهر عدم رضاه وقال: أنه لا يريد أن يتزوج أبداً، فأمسك ر عليه شيخه «شريف حمزة العقيلي»، وقال له: ستتزوج إمرأة ويولد لك منها ولد «لكن هل تعرف ماذا سيكون حال هذا الولد؟» (أى لا يكون ولداً عادياً بل سيكون نابغة

(١) ولد الحلاج في سنة (٨٥٨ م) وتوفي سنة (٩٢٢ م) وكانت ولادته في الطور، قرب «البيضا»، (فارس)، وتوفي في «بغداد» وهو عالم وصوفى، قضى السنوات في خلوات الصوفية لاسيما مع التسقى والجنيد، ثم طاف البلدان داعياً إلى الوهاد. اتهمه العتزلة بالشعوذة، فحكم عليه، وسجين في بغداد، ثم عذب وصلب. أنشأ الحلاج مذهبها في الفقه وعلم الكلام والتتصوف، وأثار حوله الجدل، فقد سسه البعض وكفره غيرهم. ولم يبق من مؤلفاته باللغة العربية إلا كتاب «الطوامين» طبعه ماسينيون. هذا ما جاء في الم Jennings ص (١٦٣) في الأدب والعلوم وقد ذكر عنه «شيخ الإسلام عبد الله الانصارى» في كتاب «طبقات الصوفية» بالفارسية المطبوع في كابل سنة (١٣٤١ هـ) من ص (٣١٥ - ٣٢٩) حكايات كثيرة إلا أنه قال في حق الحلاج «أنه لا يقبله ولا يرده». أى توقف شيخ الإسلام في كفره وإسلامه وصلاحه، وفسيه. والعلاقة بين «شيخ =

عصره) ١) . ثم سافر أبو منصور من مدينة « بلخ » ورجع إلى مدينة « هراة » وتزوج في مدينة « هراة » من إمرأة وولد لها منها « عبد الله الأنصاري » كلا استقر « أبو منصور » في مدينة « هراة » وفتح فيها متجرا ، -

وقام بتربيته ولده « عبد الله الأنصاري » ، وكان في كثير من الأحيان يذكر لولده الأيام التي قضتها في مدينة « بلخ » ، وظل هكذا يذكر له توجيهات أساتذته ورشديه ومن قصص العلاقات الأخوية بينه وبين رفاته ومعارفه ، وبالتالي يذكر أبو منصور في انتطاعات ولده من القراءة والمطالعة والسماع من الأساتذة ، حتى أن في يوم من أيام طفولته « عبد الله الأنصاري » حينها ذكر عبد الله الأنصاري من أوصاف الفضيل بن عياض وإبراهيم بن أدهم قال نه ولده :

« إلى متى تتكلم عن ، الفضيل ، وإبراهيم بن أدهم ، ؟ والحال أفعى بمحى منك رائحة ، الفضيل ، و ، إبراهيم بن أدهم ، ، وظل الحال على هذا المنوال بين عبد الله الأنصاري ووالده ، حتى جاءت في يوم من الأيام على أبي منصور جذباته الملوكيّة ، ووصلت مواجهه إلى درجة لم يستطع معها أن يستقر في مكان ، فوثب من متجره فورا وقال : « سبحانك اللهم ، وأغلق متجره وترك جميع

== (الإسلام ، والحلال هي أن واحدا من تلاميذ الحلاج عبد الملك الاسكافي كان صديقا لوالده ، فشكى والد شيخ الإسلام عن الحلاج كثيرا من الحكایات بواسطته .

(٢) لوضح هذا فأقول : أن دين الإسلام لا يأبى كرامة الأولياء ، بل قد ذكر كتب العقائد : إن كرامة الولي هي في الحقيقة مظهر لمعجزة الرسول .

ما كان له من مال والأولاد^(١) ، وسافر بانفراده إلى مدينة « بلخ »^(٢) ولما وصل إليها التحق بمرشد « شريف حمزة العقيلي » وبقى هناك ولم يرجع بعد هذا إلى مدينة « هراة » ، حتى توفي في مدينة « بلخ » سنة (٤٣٠ هـ - ١٠٣٩ م) ودفن في مدينة « بلخ »^(٣) .

و بما يولني هو أن صادف عبد الله الأنصاري وأسرته المشقة والعسرة بعد ما تركهم أبوه ولكن يسرني أن أفكّر في أن المشكلات والأزمات تتمي في الإنسان بذور استعداداته ، وأن الوصول إلى الغاية يتطلب الجهد والاجتهداد .

وأيضاً ما يسرني أن أذكره هو أن أقارب عبد الله الأنصاري وبعض أساندته وبعض أصدقائه أبواه ساعدوه مساعدة الكفاف بعد ما تركه أبوه في حفظ الله سبحانه وتعالى .

وروى أن أم « عبد الله الأنصاري » كانت سيدة صالحة تعبد الله وتساعد إبنتها « عبد الله الأنصاري » في تحصيل العلوم ، حتى أنها حينما كان إبنتها يشتغل في كتابة الأحاديث ويترك أكاه كانت تدخل لقمة الطعام في فم ولدها ، لكن لا يضره الجرع .

(١) لم تتضح عندي الظروف والأسباب التي تسبيحت في أن يضطر أبو منصور إلى سفره هذا لكن الذي أعرف وثبتت عندي هو أن دين الإسلام يأمر أن يترك الحر العاقل البالغ باسم الدين والتصرف أولاده وعياله في المشقة ، اذ قد ثبت في دين الإسلام أن الأطفال والزوج حقوقهم ونفعهم على ذمة الأب والزوج .

(٢) لم يعرف تاريخ سفره بالضبط .

(٣) من كتاب « زندكي خواجه عبد الله الأنصاري » المطبوع في « كابل » سنة (١٣٤١ هـ) ص (٢٥ - ٢١)

ويكفي أن أقول : أن كل هذه الظروف والأسباب التي كانت محطة بـ « عبد الله الأنصاري » لها دخل في مصير حياته ، ولها تأثير في تكوين شخصيته .

حياة عبد الله الأنصاري

هو عبد الله بن محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن علي بن جعفر ابن منصور بن مت الأنصاري المروي ، الفقيه ، الحافظ ، الوعاظ ، شيخ الإسلام أبو اسماعيل .

وقد سبق لنا القول أنه من ولد أبي أيوب زيد بن خالد الأنصاري الخزرجي صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو الذي أقام النبي صلى الله صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة في بيته .

وجاء إلى مدينة هراة من أجداد عبد الله الأنصاري ، جده الذي يسمى بـ « أبي منصورمت » في عصر عثمان رضي الله تعالى عنه — مع فاتح خراسان الأحنف بن قيس ، واستوطن فيها .

ولد عبد الأنصاري يوم الجمعة وقت غروب الشمس في الثاني من شعبان في فصل الربيع من سنة ست وتسعين وثلاثمائة الموافق ٤ من مايو سنة (١٠٠٦ م) وكانت الشمس في درجة سبعة عشر من شهر ثور في أيام شم النسيم والزهور والاعتدال (١) .

(١) أيد عبد الرحمن « جامي » في كتابه « فنحات الأنْس »، التاريخ المذكور من لسان « عبد الله الأنصاري »، وأيده أيضا عبد القادر الراهاوي في كتابه « المادح والممدوح »، الذي يتضمن مناقب شيخ الإسلام الأنصاري وما يتعلق =

عصر طفولة عبد الله الأنصارى

كتب عبد الرحمن « جامى » في كتابه « نفحات الأنس » عن « عبد الله الأنصارى » ، أن كثيراً من العظام أخبروا في أيام طفولته « عبد الله الأنصارى » عن مستقبله المشرق اللامع .

وقد قال الشيخ « شريف حمزة العقيلي » ، يوماً لأصحابه في مدينة « بلخ » سيلقب في يوم من الأيام ابن « أبي منصور » بشيخ الإسلام .

وروى عن إحدى السيدات العجائز المشهورة بالذكاء والعلم : « أن الخضر عليه السلام قال لها : (١) سيملا العالم من الشرق إلى المغرب صوت عظمة هذا الطفل وشهرته (٢) وهكذا ذكرت روايات أخرى يثبت من جميعها أن عبد الله الأنصارى شوهد عليه في أيام طفولته ما ينبيء عن مستقبله مثل قوة الذكاء والاستعداد ، والنبوغ ، وحسن القرابة ، وموازنة التصرفات وغيرها مما يخبر بأن هذا الطفل سيكون في المستقبل من كبار الرجال ، فعلى هذا كان كل من العلماء والصالحين

= بها ، وكذا ذكر عبد الغافر ابن إسماعيل الفارسي في ذيل تاريخ « نيسابور » ، أنه ولد في سنة ثلاثة وستين وتسعين ، فإذا ذكره « ابن قيم الجوزية » في كتابه « مدارج السالكين » شرح منازل السالرين ، أنه ولد في ذي الحجة سنة خمس وسبعين وثلاثمائة هجرية .

(١) لعله في المنام أو على قول من يقول : إن الخضر عليه السلام حي إلى الآن ، ويلاقى من أراد الله – تعالى – أن يلاقيه .

(٢) لوضح هذا فلا يتنافي مع ما جاء في التعاليم الإسلامية لأن كرامة الأولياء كما قلنا مظهر لمعجزة الرسول .

الذين لهم التعلق والتعارف مع والد « عبد الله الأنصاري »، ينظرون إلى « عبد الله الأنصاري »، في أوان طفولته بنظرة الشفقة والاحترام، ويساعدوه في حياته، ويوجّونه حسن توجيه .

روى أن أبا منصور كان يأخذ معه ولده « عبد الله الأنصاري »، إلى صلاة الجمعة ويلتمس من الرجال الصالحين أن يدعوا له دعاء ويسحوا بأيديهم على رأسه تبركا .

وكان يحس « عبد الله الأنصاري »، في نفسه أن معارف أبيه وأن الرجال الصالحين يحبونه مثل أبيه .

وقد كان والد « عبد الله الأنصاري »، من الرجال الصالحين، ويتعامل مع العلماء الصالحين والأتقياء، وكان بينهم الترابط والعلاقة الوطيدة، وكانتوا يعقدون المجالس العلمية والروحية والندوات السلوكية، وتمت بينهم لقاءات خاصة . ، كما حكى عن « عبد الله الأنصاري »، أنه ذكر عن أيام طفولته ، فقال : إنه رأى في بيته كثيراً من الرجال الأتقياء والصالحين . ولكن لم يبق في حافظته من أسمائهم وأحوالهم سوى أن يخطر في باله عنهم بعض الملامح ، ويحكي « عبد الله الأنصاري »، عن أيام طفولته أيضاً – أنه رأى يوماً الشيخ أبا على كيال ، وأحمد نصر ، وأبا سعيد ماليني جالسين جنباً إلى جنب .

هذا كله يدل على أن القدر هيأ « عبد الله الأنصاري » وسائل العلم والمعرفة والخير والصلاح .

كيف بدأت دراسات «عبد الله الأنصاري»

كتب عبد الرحمن «جامى»، في كتابه «نفحات الأننس»، عن «عبد الله الأنصاري»: أصل النص باللغة الفارسية: «أول مرا درد برستان زئى كردن کفتند: زبان دارد چون چهار ساله شدم مرا درد بيرستان مالينى کردن وچون نه ساله شدم إملا نوشت از قاضى أبا منصور واز جارودى وچهارده ساله بودم که مرا به مجلس بنشاندند ومن درد برستان أديب خرد بودم که شعر ميکفتم چنانچه ذكران را أزمن حسد می آمد»

«حاصل ترجمة هذا النص»

«هم أدخلوني أولاً في مدرسة للسيدة وقالوا: له لسان (أى يستطيع التعلم)، وحينها وصلت سنى إلى الرابعة أدخلوني في مدرسة للمالينى، وعندما وصلت سنى إلى التاسعة تعلمت الاملاء عن القاضى أبا منصور، ومن «جارودى» — وفي سن الرابعة عشرة أجلسوني في المجالس وكنت حينئذ أدبأ صغيراً في المدرسة أنشد الشعر وهذا ما سبب لي حسد الآخرين»

حکی : أن يوماً من الأيام حينها كان «عبد الله الأنصاري»، في المدرسة مع زملاء، طلب منه واحد من أصدقائه، أن ينشد الشعر العربي في وصف جمال وجه زميله الذي هو موجود معهم في الصف فأنشد «عبد الله الأنصاري»، بالبهادة ما يأتى : —

لأبى أحمد وجه قر الليل غلامه وله لحظة غزال رشق القلب سهامه

أقول : يظهر من هذا أن « أبا منصور » توجه سريعاً أبان طفولته ابنه إلى تربيته وتوجيهه من الناحية العلمية والأخلاقية ، كما ثبت أن « عبد الله الأنصاري » كان له في طفولته وصغره قوة الذكاء والاستعداد الفطري السليم ، فلأجل هذا استطاع أن يستفيد من دراسة القراءة ، والكتابة ، والإملاء والأدب حينما كان طفلاً .

وأقر بأن السيدة التي علمت « عبد الله الأنصاري » القراءة أولاً لم أجدها المعلومات عنها ، وأيضاً لم أجدها المعلومات عن أستاذة في مدرسة « ماليي » .

لكن وجدت المعلومات عن أستاذيه اللذين تعلم « عبد الله الأنصاري » عنهمما الكتابة والإملاء في سن التاسعة المروافقة لسنة (٤٠٥ هـ - ١٠١٥ م) هما القاضى « أبو منصور » و « جارودى » ، وسأذكر عنهما هذه المعلومات فيما يأتى لأنهما قد أثرا فى تكوين شخصية « عبد الله الأنصاري » تأثيراً كبيراً .

١ - القاضى أبو منصور « الأزدي »

روى : أن سن القاضى « أبي منصور » قد زادت عن مئتين سنة حينما تعلم « عبد الله الأنصاري » عنه ، وقد كان رجلاً فاضلاً وفقيراً ومحدثاً ، وجلس على كرسى القضاء حوالي ثلاثين سنة ، وكان هو شيخ جميع الشافعية الذين يسكنون في « هرата » ، وله شهرة كبيرة في الديار . يتجه إليه الطلاب المخلصون من كل النواحي ويسألونه في الأحاديث النبوية .

ويحكي : أن السلطان محمود « الگزنوی » ، كان يحترمه كليحكي أن خليفة الفاطميين أرسل رسولاً إلى « القاضى » « أبي منصور » في شهر

ذى القعدة سنة ٤٠٣ هـ (١٠١٣ م) يطلب منه خضية أن يدخل في
مذهب الباطنية، ولما وصل رسوله إلى خراسان، أخذه السلطان
«محمود» وقتلها، ثم أرسل مركبته (بنلة) إلى «القاضي»، أبا منصور
هديبة وكتب السلطان «محمود» إليه الخطاب الآتي:

«كان يركب رئيس الملحدين على هذا الحيوان حتى الآن وسيركب
رئيس الموحدين عليه بعد هذا اليوم».

وما ثبت أن القاضي «أبا منصور» كان رجلاً عالماً وأنه كان
حساماً في الاستدلال على أهل البدع. ولما أصدر السلطان «محمود»
الغزنوى أوامره في سنة ٤٠٨ هـ (١٠١٨ م) بمجازاة المعزلة فرح
القاضي «أبو منصور» باصدار هذه الأوامر واشترك معه في هذه
الفرحة تلميذه «عبد الله الانصارى» الذي وصلت سنه إلى الشانة
عشرة، وكان في ذلك العصر يسكن في مدينة «هراء» كثير من
المعزلة.

٢ - جارودى :

كان حافظاً للقرآن الكريم والأحاديث النبوية وقد وصل في العلم
إلى درجة بأن أصبح أهلاً لحضور إلى محاضرات الأسانذة الكباريين
في مدينة «نيسابور» و«همدان» و«أصفهان» و«البصرة»، وكان
رجلًا ذا تقوى وورع وفناة،

وكان لا يكتفى في تعليم الأحاديث بقراءة متن الحديث فقط، بل
كان يتكلم في صحة الرواية أيضاً. وما يكفي في إثبات علمه وفضله
أن «عبد الله الانصارى» حين يروى عن أستاذه جارودى يقول:

د إمام أهل الشرق جارودى ، هذه هي المعلومات الوجيزة عن أستاذنا د شيخ الإسلام عبد الله الأنصارى ، في أيام طفولته . لكن في عصر طفولته ترك أبوه الأهل والأموال بسبب ما حدث له من الجذب الروحي .

وقد كتب د عبد الرحمن ، د جامى ، في كتابه « فنحات الأنف » عن د عبد الله الأنصارى ، أنه قال :

« كنت لا أزال صغيراً (١) حينها ترك والدى الدنيا ونشر كل مافيه ، فأوقعنا في العسر وأول فقرنا ومشقتنا بدأ من ذلك الوقت . يظهر من هذا أن د عبد الله الأنصارى ، قد صادفه مشكلات الحياة في أوان طفولته وبدأ بكفاح الحياة قبل الشباب . وما يسرني ذكره أن أصدقاء والده وبعض الرجال الصالحين قد ساعدوه مادياً وعندياً وبخاصة الشيخ « يحيى بن عمار الشيباني » و « الشيخ أبو اسماعيل أحمد بن محمد بن حمزة » الملقب بشيخ عموم (٢) . ولما كان هذان الأستاذان الجليلان لـ د عبد الله الأنصارى قد ساهما في حسن تربيتها إسهاماً كبيراً ، فعلينا أن نعرف بهذه من أحوالهما فيما يأتي : -

(١) يثبتت من النص الذي قاله د عبد الله الأنصارى ، حينها كانت في سن (الرابعة عشرة) أجلسوني في المجالس ، ومن الدلائل الأخرى أن والد د عبد الله الأنصارى ، ترك ماله وأولاده في سنة ٤١٠ هـ أي في عصر قد وصلت سن عبد الله الأنصارى (الرابعة عشرة) لا كما قال د سر زبور كوى ، « راهب دومينيكي » ، أنه وصلت سنها إلى عشر سنوات .

(٢) عموم : بسكن الميم والواو المتواضع ولقبه شيخ « نهاوندي » بهذا اللقب لكن لا يفتر بأصله ونسبه ، ويفتح الحسين وضم الميم يعني أخي الأب وهذا ليس مراداً هنا .

١ - بحبي بن عمار الشيباني :

كان هو في الأصل من مدينة سجستان ، وعالم بعلم التفسير والحديث وله في الشعر والأدب قوة اليد ، وكان واعظاً مشهوراً ومرشداً في مدينة هراة ، وصاحب الأموال الكثيرة . وقد درس « عبد الله الأنصاري » عليه علم التفسير بعد ما أتم قراءة القرآن الكريم ، ثم بعد مدة قليلة لما ظهرت لياقته تحدث أستاذه بصوت عال عن حسن درايته ، فقد قال الشيخ « بحبي بن عمار » يوماً في سنة ٤١٠ هـ لأهل محله « فهمذر » في مدينة هراة ، « ساعدوا عبد الله الأنصاري » وتلطفوا معه لأنّه يخرج منه رائحة الإمام ، وقد أثر قوله هذا على الناس كثيراً ، فأخذوا يتربدون عليه ويستمعون إليه .

وحكى أنّ الشيخ بحبي بن عمار لما صبح من مرضه الذي أصابه وجلس على منبره قال : لما توفى المصطفى - صلى الله عليه وسلم - أقام الناس ، وأبا بكر الصديق ، - رضي الله تعالى عنه - مقامه ، فإذا مت فليقم عبد الله الأنصاري ، في مقامي وأنه ليضرب على رأس الملحدين والمبتدعين (١) وذكر عبد الله الأنصاري في حق أستاذه هذا :

(١) الفرض من التشبيه ليس إلا الانبعاث ما حصل بعد وفاة الرسول - صلى الله عليه وسلم - وهو أن الصحابة أقاموا « أبي بكر الصديق » - رضي الله تعالى عنه - مقام النبي - صلى الله عليه وسلم - لفضله ، ووجه التشبيه خدمة مصالح الناس والدفاع عن الحق ، ولم يكن عند بحبي بن عمار « في التشبيه غير هذا الغرض ، لأنّه كان رجلاً صالحاً لم يكن عنده الأناية ولا سوء الأدب في تشبيهه غيره بمقام الرسول - صلى الله عليه وسلم - ومقام صديقه وتلميذه الفاضل « عبد الله الأنصاري » بمقام « أبي بكر الصديق » - رضي الله عنه - .

هـ لو أني مارأيته لما استطعت أن أطلق لسانى (في مجالس التذكير والتفسير) وقد تعلم هـ عبد الله الانصارى ، طريقة تفسيره للقرآن الكريم بالتفصيل والشرح والتلقي من أستاذة السكينه هذا . وقال : هـ عبد الله الانصارى ، في بيان أوصافه القول الآنى : -

هـ يحيى بن عمار كان سلطاناً في لباس عالم .

وروى عن هـ يحيى بن عمار ، أنه قسم العلوم إلى ما يأتي : -

١ - علم يحيى الدين (علم التوحيد والتتصوف) .

٢ - علم يقوى الدين (علم الوعظ والتلقين) .

٣ - علم يداوى به الدين (علم الفقه) .

٤ - علم يمرض به الدين (علم الأخبار عما وقع من الخلافات والمنازعات بين السلف) .

٥ - علم يهلك به الدين (علم الكلام الذي حاول به بعض الناس أن يحل كل المسائل الإيمانية بعقل الإنسان) .

٢ - الشيخ ، عموم ، :

ولد الشيخ ، عموم ، في سنة ٣٤٩ هـ (٩٦٠ م) وحضر إلى مجالس كبار الصوفيين وزار البلاد الإسلامية المتمدنة ، كما أنه غادر في سنة عشرين مدينة هـ هراء ، قاصداً أداء الحجـ . لكن لما وصل إلى مجلس هـ أبي بكر ، في مدينة نيسابور ، واستمع إليه أطاعه فيما نصحه فرجع إلى خدمة أبيه .

وهو كان في سنة ٢٧٠ هـ (٩٨٠ م) في مدينة هـ بخارى ، يستفید هناك من مجالس الصوفي الشهير هـ أبي بكر فاليزبان ، (الذى زار الشيخ

« الجنيد البغدادي » واستفاد منه السلوك) ، واستفاد أيضاً من صحبة الصوفي المشهور الآخر الشيخ « بابا فرغاني » .

وفي سنة (٣٧٤ - ٩٨٤ م) سافر الشيخ عموم في صحبة الصوفي المشهور « أحمد نصر تالقاني » إلى مكة المكرمة وقد زار هناك الأساتذة العظام مثل « علي بن جعفر الشبرواني » و « أبي الحسن بن جهضم » ، وزار في جملة الصوفيين أيضاً « أبو العباس النسائي » و « أبو العباس الأعملي » و « أبو علي الدقيق » و « أبو بكر المفید » ، « وأبو بكر المفید » هذا هو الذي استفاد السلوك من مجالس « الجنيد » ودرس من « نهاوندي » أيضاً (١) . وكان للشيخ « عموم » في مدينة « هرات » خانقاها (تكية) للمسافرين والمساكين .

ثم لما وجد الشيخ « عموم » في « عبد الله الانصارى » حسن اللياقة والذكاء اتخذه ولداً وعامله معاملة الآب لأولاده ، وكان يجلسه بجواره ويأكل معه وينصحه ويحكي معه وينصحه ويحكي له حكايات حياته ويروى له أخلاق أساتذته ، ومرشدية كما تحمل أيضاً جزءاً من نفقة « عبد الله الانصارى » ، ولا شك أن الشيخ « عموم » ساعده مادياً ومعنوياً (٢) .

يظهر من كل هذا أن حسن توجيه « أبي منصور » لولده « عبد الله الانصارى » ، ومعاملته وروابطه مع العلماء والصالحين

(١) « نهاوندي » كان تلميذاً لـ « جعفر الخلدي » ، الذي كانت له الشهرة في التصوف وكان مخالفاً للمنصور الحلاج .

(٢) من كتاب « زندكي » خواجه عبد الله الانصارى « بالفارسية » . ص (٣٤ - ٣٦) .

والاتقىاء قد أثر في حياة « عبد الله الانصارى » ، وهياه للعلم والصلاح والتقوى ، وحرك استعداده ومشاعره حركة شديدة في طريق العلم والعمل ، وطبعه بالأخلاق الحسنة من أول أمره .

ويثبت من هذا أيضاً أن « أبو منصور » قد أحسن توجيه ابنه لأنه بدأ بتعليميه القراءة والكتابة ، ثم بتعليمه الأدب الفارسي والعربي ، وانتخب له الأساتذة العظام ، ومن جانب آخر كان يمحى « أبو منصور » لولده من تجاريته ومن حكایات العلماء والصالحين وكان يأخذه معه إلى مجالس الأساتذة ، والاتقىاء ، وإلى أداء الصلوة .

ولا شك أن « عبد الله الانصارى » كان أيضاً له قوة الاستعداد والذكاء ، وقوة الحفظ والنشاط فاستفاد من المجالس وحلقات الدروس أكثر وأدق وأسرع إفادة .

أوائل شباب « عبد الله الانصارى »

بدأت مرحلة جديدة في حياة « عبد الله الانصارى » حينما وصلت سنها إلى الرابعة عشر أي في سنة (٤١٠ هـ - ١٠٢٠ م) لأن أساتذته في هذه المرحلة لم يعدوا من الأطفال ، بل أصبحوا يجلسونه في ندوائهم ومحافلهم إلى جوارهم .

لكن - مع الأسف - توفي أستاذه الكبير القاضي « أبو منصور » في شهر محرم من هذه السنة وكانت سنها تقارب التسعين .

من أجل هذا ذهب عبد الله الانصارى إلى أستاذه الجليل الآخر

عبد الجبار بن عبد الله بن أبي الجراح المرباني^(١) الذي كان يدرس كتاب «أبي عيسى الترمذى»، فقرأ عليه في حوالي ستين وأعجب به، حتى كان «عبد الله الأنصارى» يفضل كتاب «أبي عيسى الترمذى» على كتابي «البخارى» و«مسلم»، كما جاء في كتاب الذيل على طبقات الحنابلة^(٢) ما يأتى: «قال ابن طاهر الحافظ: سمعت أبا اسماعيل يقول: كتاب أبي عيسى الترمذى عندى أفيد من كتاب البخارى ومسلم، فقلت له؟ قال: لأن كتاب البخارى ومسلم لا يصل إلى الفائدة المرجوة إلّا من يكون من أهل المعرفة التامة، وهذا كتاب قد شرح الأحاديث وبينها، فيصل إلى الفائدة منه كل واحد من الناس من الفقهاء والمحدثين وغيرهم (من لهم بعض الخبرة والدرأية)»، وقد التقى «عبد الله الأنصارى» بالصوفى الحنبلى السكير «أبي عبد الله محمد الفضل الطاقي السجستانى»^(٣) الذى كانت له هيبة عظيمة في الجسم وفي إلقاء النزرة، فقد أثر هذا الصوفى في حياة «عبد الله الأنصارى»، «تأثيراً عميقاً»، وأعجب بهذا الصوفى أيضاً بـ «عبد الله الأنصارى»،

(١) كان الأسياد «عبد الجبار»، في الأصل من «مرزو»، جاء إلى مدينة «هراء»، وأقام فيها وتعلم كتاب الترمذى عن «أبو العباس محمد التاجر الحبوبى»، الذى توفي سنة ٣٤٦هـ، وكان «أبو العباس» تلميذاً للإمام الترمذى الذى كان مؤلفاً لكتاب الترمذى، فعلى هذا كان عبد الله الأنصارى ارثى في الحقيقة تلميذاً للإمام الترمذى بواسطتين هكذا ذكر في المجلد الثالث من كتاب «شذرات» لابن الماد، وفي كتاب «ذنک خواجہ عبد الله الأنصاری».

(٢) الجزء الأول ص (٥٩) .

(٣) هذا اللقاء قد تم على الرأجح في سنة (٤١٠هـ - ١٠٢٠) .

- ٣٥ -

كما أنه حدث في يوم من الأيام أن قال الشيخ « الطاقى » لـ « عبد الله الانصارى » : « سبحان الله ما هذى النور الذى أودعه الله - تعالى - في قلبك ! » .

فقد حكى عن « عبد الله الانصارى » أنه قال : « أثر كلامه هذا على قلبي وكنت أحس أن هذا الكلام قد نور قلبي » ، فتعلم عبد الله الانصارى من هذا الشيخ إرشادات الصوفية وعقيدة الحنابلة كما قال عبد الله الانصارى في حقه :

« لو أن ما رأيته ما عرفت عقيدة الحنابلة » . . وقد هيأ الشیخ « الطاقى » تلميذه « عبد الله الانصارى » للجادلة مقابل أهل البدعة والملحدة أكثر مما هيأه من قبل أستاذاه القاضى « أبو منصور » و « يحيى بن عمار » لهذا الأمر .

ومن جملة أئمة « عبد الله الانصارى » الذين أثروا في حياته ، وبعدهم كثيراً : أستاذه « أبو الحسن البشري السجزي » .

قائمة بأسماء أكثر أئمة عبد الله الانصارى

في هذه المرحلة إلى سنة (٤١٧هـ)

- ١ - الشیخ « عمرو »
- ٢ - الشیخ « يحيى بن عمار »
- ٣ - الشیخ « الطاقى السجستانى »
- ٤ - الشیخ « البشري السجزي »

- ٥ - الشیخ « الجراحی »
- ٦ - الشیخ « محمد الباشانی »
- ٧ - الشیخ « احمد الحاجی »
- ٨ - الشیخ « أبوسلمة الباوردي »
- ٩ - الشیخ « أبوعلى زرکر »
- ١٠ - الشیخ « أبوعلى بوته کر »
- ١١ - الشیخ إسماعيل الدباس
- ١٢ - الشیخ « محمد أبو حفص الكورني »

وقد استفاد أيضاً في شهر رجب سنة (٤١٤هـ) بعدد من أشعار « النورى » من لسان « أبي القاسم الأبيوردى » الذى كان واعظاً سياراً يمر في هذا العصر على مدينة « هراء »

ومن جملة ما أحزن « عبد الله الانصارى » في هذه المدة هو وفاة أستاذه القاضى « أبي منصور الأزدى » في شهر المحرم سنة (٤١٠هـ) ووفاة أستاذه « الجراحى » في سنة (٤١٢هـ) ، ثم وفاة أستاذه « الجاوردى » في ٢٣ من شهر شوال سنة (٤١٣هـ) وحصل في سنة (٤١٤هـ) أن توفي أستاذه « محمد الباشانى »

وفي أول شهر صفر سنة (٤١٦هـ) توفي مرشدہ الكبير الشیخ « الطاق السجستانی »

وقد أثرت هذه الحوادث على حياة عبد الله الانصارى تأثيراً

كبيراً ، فعزم على أن يسافر إلى مدينة « نيسابور »^(١) . في سنة (٤١٧ هـ) لينسى الأحزان وال المصائب التي ألمت به وليستفید علم القال والحال - أكثر مما عنده - من الأساتذة العظام في مدينة « نيسابور » التي كانت مركزاً للعلوم والفنون في ذلك التاريخ^(٢) .

سفر « عبد الله الانصارى » إلى مدينة « نيسابور »

سنة (٤١٧ هـ - ١٠٢٦ م) وما حدث له هناك

جاء في الكتاب المسمى به « الذيل على طبقات الحنابلة » لابن رجب أن شيخ الإسلام الانصارى سافر إلى « نيسابور » سنة سبع عشر وأربعينه طالباً للحديث والفقه وبجالسة المشايخ والاستفادة منهم والتبرك بصحبتهم ، ورجع في نفس تلك السنة^(٣) .

(١) مدينة « نيسابور » واقعة في الطرف الشمالي الغربي من مدينة « هراة » والمسافة بين هاتين المدينتين عشرة أيام وكانت مدينة « نيسابور » في عصرها أهم مدن « خراسان » وكانت لها ٢٤ محلاً وتواجد كثيرة أخرى ، وبها المسجد الجامع الذي بني فيها في عصر « صفاريان » الذي له عظمة وشهرة كبيرة في البلاد . وكانت لمدينة « نيسابور » أربع طرق شالاً وجوباً وشرقاً وغرباً مثل مدينة « هراة » ويعيش فيها الكثيرون من أساتذة علم الحديث والتفسير والفقه والتصوف والعلوم الأخرى ، وفيها العديد من المدارس للدرس ، المحاضرة والمحاظرة.

وروى أن « الخطيب البغدادي » حينما كان طالباً للعلم استشار « البرقاني » في السفر لطلب العلم ، فأشار عليه بقوله : « إذا ذهبت إلى « نيسابور » فإنك ستزور فيها جماعة من الأساتذة ، فإن لم تستطع أن تصل إلى أحدهم ، فستصل إلى الآخر ، فقبل « الخطيب البغدادي » نصيحته وسافر إلى « خراسان » وتعلم في « نيسابور » من الأساتذة الذين قد زارهم « عبد الله الانصارى » أيضاً بعده .

(٢) من كتاب زنديكي « خواجه عبد الله الانصارى » بالفارسية ص (٤١ - ٢٥)

(٣) الجزء الاول، من كتاب الذيل على طبقات الحنابلة ص (٦٠)

وحينما وصل « عبد الله الانصارى » إلى مدينة « نيسابور » بدأ يجمع الأحاديث وكان يذهب ، ويقرأ ، ويكتب بسرعة ، ويستفيد في يوم واحد من المجالس السκثيـر ولا يضيع وقته ، ويكتب في الليل ما حصل في النهار .

وتعلم « عبد الله الانصارى » في مدينة « نيسابور » من تلاميذ المحدث الكبير الشهير (في القرن الرابع) - « أب العباس محمد بن يعقوب الأصم » الذي توفي بعد أن عاش ما يقرب من مائة سنة في يوم الإثنين ٢٣ من شهر ربيع الثانى سنة (٥٣٤ - ٩٥٧ م) وكان من جملة تلاميذ الشيخ الأصم « أبو سعيد الصيرافي » (الذي خدم أستاذه الأصم ، في عمره الأخير وتحمل نفقةه ، وقد سمع هو من لسانه أحاديث كثيرة) و « أبو الحسن على الطرازى » (الذى كان أديباً ومحدثاً وحنانياً ، وكان يعتمد عليه « عبد الله الانصارى » اعتماداً كبيراً) و « أبو نصر منصور » (مفسر القرآن الكريم) و « أبو الحسن أحمد السليطي » (الذى كان عالماً لعلم الصرف والنحو) و « القاضى الشهير أبو بكر الحيرى » ، الذى قال « عبد الله الانصارى » في حقه : « وجدت في نيسابور ، القاضى أبا بكر الحيرى ، لكن ما كتبته عنه الحديث ؛ لأنـه كان متـكلـاً وأشعرـى المذهب وإنـ كانت عنده الأسانيد العالية في الأحاديث .

ومـا يلزم أنـ أذكره أنـ « عبد الله الانصارى » لمـ يكن في مدينة « نيسابور » طالباً للعلم في الـ درجة الـ ابتدائية ، بلـ كانت منزلـته في مدينة « نيسابور » ، مثلـ منزلـة الطالـب الذى كان في الـ دراسـات العـلـيمـاـ لـأنـه تـعـلم قـبـل سـفـرـه فيـ مدـيـنة « هـرـاء » ، كـثـيرـاً منـ العـلـوم ، فـيـسـطـعـ

أن يبحث في مدينة دنیاسبور ، مع أستاذته في المسائل الغامضة ، كما أن الإمام أبا الفتح ناصر القرشى المروزى ، أقر بفضلها ، وجاء أيضاً في كتاب د. الذيل على طبقات الخنابلة لابن رجب^(١) ، عن د. الراھاوی ، أنه قال :

سمعت د عبد الله الأنصارى بنيسابور ، يقول : دخلت على الإمام ناصر المروزى بنيسابور ، وكان مجلسه غاصاً بتلاميذه ، واحتف به الفقهاء ، وكان يدرس ويقول : روى عن أبي بكر الصديق - رضى الله عنه - أنه كان يقرأ في الركعة الثالثة من صلاة المغرب : (رب زدني علما) ، فقلت - أيد الله الشيخ الإمام - : أحاديث عهد أنت بهذا الحديث وهو على ذكرك ؟ ، فقال : لا ، فقلت : كان يقرأ في الركعة الثالثة من صلاة المزارب : (ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا) ، فقال صدقت ورجع إلى قولي ، وحث القوم على إثباته وتعليقه ، ثم بكرت إليه من غد هذا اليوم ، فرحب بي ، وأعلى محل ، وأجلسني فوق جماعة زهاء سبعين والذين كنت بالأمس جالساً دونهم ، ومدحته بقصيدة ، وواظبت على الاختلاف إليه وكنت آخذ الفقه عنه مدة^(٢) .

وقال د. الراھاوی ، وأيضاً ألقى الشيخ د. بنيسابور ، الشيخ أبا عبد الله بن باکویہ الشیرازی^(٣) ، وتكلم بين يديه فرضى

(١) المجلد الأول ص (٦١ - ٦٢) .

(٢) تعلم عنه فقه الإمام الشافعى د رحمه الله تعالى .

(٣) المعروف باسم د. باباکوهی ، تعلم في د. نيسابور ، من القشيري و د. أبي سعيد بن أبي الحير ، وزار د. أبا العباس نهواندى ، الذى كتب في سنة (٤١٦) رسالة باسم د. بداية حال الحال و نهايته ، وتوفى في سنة (٤٢٧) .

ابن باكويه قوله ، واستحسن في الحقيقة كلامه ، وبشر بأيامه ، فلما
عزم على الخروج من عنده قال : إلى أين ؟ قال نويت سفرا . قال :
لست من باب السفر ، بل بابك أن تعقد حلقة تكلمهم على الحق .

وروى أنه كان يعيش في مدينة « نيسابور » الإمام المشهور
ابراهيم الاسفرايني^(١) ، و « أبو محمد الجوني » وشيخ الإسلام
« إسماعيل الصابوني^(٢) ، وأخرون غيرهم ، لكن لم يحضر « عبد الله
الأنصاري » إلى صحبتهم وحلقة درسهم لزعمه أن مذهب الأشعرى
قد أثر عليهم .

وحكى أنه كان من أحد أهداف « عبد الله الأنصاري » في سفره
إلى مدينة « نيسابور » أن يستفيد من مجالس الأساتذة الصوفية لكنه
لم يدرك في مدينة « نيسابور » هذه المرة من يعجبه وإن كان الشيخ
« أبو القاسم القشيري » يعيش في مدينة « نيسابور » وكان كبير السن
ولكن لأنه يعتقد بعقيدة الأشاعرة لم يحضر « عبد الله الأنصاري »
إلى مجلسه .

وذكر « عبد الله الأنصاري » صحبه مع « ابن باكويه^(٣) »

(١) الاسفرايني كان تلميذاً للأشعرى ، توفي في سنة (٤١٨ هـ) هذا ، ماجاه
في المجلد الثالث من « طبقات السعدي » .

(٢) إسماعيل الصابوني : كان واعظاً ومفسراً ، ومحثثاً ، وعنده قوة ذكاء
واشتهر بشيخ الإسلام ، وتوفي في سنة (٥٤٤ هـ) .

(٣) ذكر « عبد الرحمن جامي » في كتابه « نفحات الأننس » عن « عبد الله
الأنصاري » أنه كتب عن الشيخ « ابن باكويه » ، ثلاثة ألف كلية وثلاثين
ألف حديث .

ومع أصدقائه ، أبي الفرج ، و ، الرثافى ، و ، أبي الترشيرزى ،
ومعاشرته لهم ، وأخذه المعلومات عن حياة شيوخهم .

وذكر عن مشكلاته في طلب علم الحديث ، وعن مشكلاته في
سفره إلى مدينة نيسابور ، وفي رجعته عنها ، وفي حفظ خطوطاته
التي كتبها في علم الحديث .

وروى أنه بعد عدة شهور وصل عبد الله الأنصارى ، إلى
مدينة هراة ، وحضر إلى خانقاہ ، (تکيه) للشيخ عموم ،
وإلى حضر المجالس العلمية لـ يحيى بن عمار .

وأنه كان يروى بعد ذلك في المجالس الأحاديث عن الأساتذة
العظماء ويدرك عن تجارب سفره وعن معلوماته ، فكان سفره إلى
مدينة نيسابور ، رفعة منزلته ، وطلبيته في دور حياته الجديدة .

حياة عبد الله الأنصارى ،

بين سنة ٤١٧ هـ وبين سنة ٤٢٨ هـ

ولما رجع عبد الله الأنصارى من مدينة نيسابور إلى مدينة
هراة ، كان يتعدد في هذه المرحلة أيضاً على خانقاہ (تکيه) للشيخ
عموم ، كما سلم إليه الشيخ عموم ، بعد مدة تصرف (خانقاہ)
ـ تکيه لأنّه يحب أن يزور البلاد كما يشاء ويختلف بعده من كان
أهلاً للخلافة .

وكان عبد الله الأنصارى يحضر إلى مجالس دروس يحيى بن عمار
والمحدثين ، ويستفيد من ندوات الصوفيين ، ففي هذه المرحلة كان

يستفيد من جانب لكمال نفسه ومن جانب آخر كان يفيد الناس
ويعالج النفوس ، لأداء وظائفها الاجتماعية .

وكان من سيرته في هذه المدة أنه يسلك سلوك الأتقياء ، وأنه
يطابق أعماله بالسنة النبوية وإرشادات أهل الحق ، فلذلك أخذ الناس
يحتزموه أكثر من قبل .

أستاذة « عبد الله الانصارى في هذا العصر »

- ١ - الشيخ « شعيب البوشنجي » . . . } وهما كانوا تلميذين له
- ٢ - الشيخ « أبو طاهر أحمد الضبي » . . . } أبو على الرفاع ،
- ٣ - الشيخ « أبو الفضل عمر بن ابراهيم المروى » الذي كان
فقيراً وعادباً .

وذكر « عبد الله الانصارى » أيضاً أسماء الصوفيين الآخرين في
هذه المدة لكن لم يذكرهم في درجة الأستاذة مثل « أبو الحسن التجار »
(الذي كان نجارةً وحج وزار خادم « الحصري » الذي يسمى به
« هلال » ، و « أبو النصر القباني ») (الذي زار في رحلاته العديدة
شيوخاً كثيرة) و « أبو منصور كازر » ، و « محمد كشور » (الذي
كان رجلاً عابداً وتقياً) و « أبو سعيد المعلم » الذي كان ذا قلب
طيب ويلبس اللباس المرقع الأبيض) و « أبو منصور السوخته »
(الذي كان رجلاً صادقاً ومتمسكاً بدين الإسلام) و « أبو اسماعيل
نصر أبادى » ، (ابن الشيخ أبو القاسم) و « أحمد كوفاني » (الذي
كانت بينه وبين « عبد الله الانصارى » علاقة الود والمحبة) ، فكل

- ٤٣ -

هؤلاء الأساتذة والصوفيين كانوا في عصره ولا شك أنهم من الرجال الصالحين فارتباطه بهم قد أثر في نضج حياته .

وفي سنة (٤٢٠ھ) فتح السلطان « محمود » مدينة « رى » وأراد أن ينظفها من الملحدين ، فقتل عساكره فيها عدداً من ال巴طنيين وفر المعتزلة إلى « خراسان » وأحرقت كتب الفلسفة وعلم النجوم ، ثم خلف السلطان محمود على هذه البلاد ابنه « الأمير مسعود » ؛ لكي يستحكم فتوحاته ، ففتح « الأمير مسعود » بعده مدينة « أصفهان » وخلصها من أهل « بوبيه » ، وظلمت الأوضاع على هذا المنوال إلى أن جاء الخبر بوفاة السلطان « محمود » في مدينة « غزة » ، في يوم الخميس ٢٣ من شهر ربيع الثاني سنة (٤٢١ھ) ٣٠ من شهر أبريل سنة (١٠٣٠م) ، فحدث ما حدث بعده من الاختلافات بين أولاد السلطان « محمود » إلى أن استقرت السلطة لابنه « مسعود » .

ولا شك أن كل هذه الحوادث قد أثرت على حياة « عبد الله الأنصاري » بسطا ، وانقباضا ، كما ضاق صدره من أوضاع الأمير مسعود ومن مظالم رجال الحكومة وفسقهم وفجورهم حتى أثر أن يكون بعيداً عن أهل السلطة ورجال الحكومة :

وفي أواخر سنة (٤٢٢ھ) توفي « يحيى بن عمار » - رحمه الله - وكانت سنة تناهز التسعين . وجلس « عبد الله الأنصاري » على كرسيه حسب وصيته .

وفي أواخر سنة (٤٢٢ھ) توفي الخليفة العباسى « القادر بالله » في مدينة « بغداد » ، يوم الإثنين من شهر ذى الحجة عن أكثر من ست وثمانين سنة ، وكان لأهل مدينة « هراة » علاقة ود قوية مع

ال الخليفة ؛ لأن الخليفة وهو في سن شبابه قد تعلم من أحد أساتذة «هرأة» المعروض به «أبي شير أحمد المروي»، فقه الإمام الشافعى وكان الخليفة المتوفى مشهوراً بالتفوّق والجهاد والدفاع عن السنة ، وحارب طول حياته الباطينيين ، والمعتزلة ، كما أنه ألف رسالة باسم «الإسلام الأصيل» .

من أجل هذا كان «عبد الله الانصارى» ، والمتلقيون به ومعارفه من مدينة «هرأة» يحبون الخليفة ، القادر بالله ، فقد حزنوا كثيراً لوفاته (١) .

أول سفر «عبد الله الانصارى»

بقصد الحج ووصوله إلى مدينة «بغداد»
ورجعته منها إلى مدينة «هرأة»
وما حدث له بين سنة (٤٢٣ هـ) وبين سنة (٤٢٤ هـ)

لما توفي الخليفة العبّاسي «القادر بالله» ، وقام «القائم بأمر الله» ، في مقامه خليفة المسلمين أرسل الخليفة الجديد الرسول إلى السلطان «مسعود» ليخبره — بأنه الخليفة السابق قد توفي وقام الخليفة الجديد مقامه ، فوصل الرسول إلى مجلس السلطان «مسعود» ، وأعزّ السلطان رسول الخليفة وأهدى له هدية وسلم إليه مكتوبًا بيعته ورجع الرسول من مدينة «بلخ» ، يوم الخميس ٢٢ من شهر محرم سنة (٤٢٣ هـ) . وما يلزم أن أذكره أنه كان في مكتوب السلطان «مسعود» إلى الخليفة ضمن سائر المطالب أن يساعد الخليفة حاج

(١) من كتاب «زندگی»، خواجه عبدالله الانصارى بالفارسية ص (٤٢-٥٣) .

«خراسان» ويهيء لهم طريقهم إلى زيارة بيت الله ، فأرسل الجواب سريعاً من دار الخلافة إلى السلطان «مسعود» ، بأن الخليفة أمر «آل بويه» ، أن يعمروا طريق الحج ، ويرفعوا الموانع ، فلم تبق هناك موانع لحجاج «خراسان» ، و «ماوراء النهر» ؛ فأمر السلطان «مسعود» ، أن يتهيأ للحج من يريد الحج ، وجعل «على ميكائيل» ، أميراً للحج ، فسر من كان يرغب في الحج من أهل «خراسان» ، وعزم الرجال المتدينون من مدينة «هراة» ، على الحج ، ومن بينهم الإمام «أبو الفضل بن أبي سعد» (خال شيخ الإسلام «أبي عثمان الصابوني النيسابوري») الذي وصلت سنّه إلى ثمانين سنة في ذلك الحين ، فلما كبر سنّه أراد أن يكون معه في هذا السفر شاب رشيد ، فقبل «عبد الله الأنصاري» مرفقاً وارتاحلت قافلة الحجاج قاصدة بيت الله الحرام ، وبعد عشرة أيام وصل مع سائر الحجاج إلى مدينة «نيسابور» ، فسر «عبد الله الأنصاري» عندما رأى — مدينة «نيسابور» التي كان طالباً فيها منذ ست سنوات .

ولما وصل الإمام «أبو الفضل بن أبي سعد» مع رفيقه الرشيد «عبد الله الأنصاري» إلى مدينة «نيسابور» ، أخرج الإمام «أبو عثمان الصابوني» لحاله الإمام «أبي الفضل بن أبي سعد الزاهد» ، مجلساً في الحديث ليمليه — «بنيسابور»^(١) فنظر فيه الأنصاري ونبه على الخلل في رجال الحديث الذي وقع فيه ، فقبل الصابوني ، قوله ، وعاد إلى

(١) المقصود هو أن الإمام الصابوني «عقد لحاله في مدينة نيسابور» مجلساً لتوسيع الحديث الخاص الذي ذكر سنده أيضاً ، لكن يكتب الناس من كلام الإمام «أبي الفضل» في توسيع الحديث والتعليق عليه .

ما قال ، وأحسن الثناء عليه ، وأظهر السرور به ، وهذا أهل العصر بمكانته ، وقال : لنا جمال ، ولأهل السنة مكانة ، وارتفاع المسلمين بعليه ووعظه . وكان ذلك بشهد من مشائخ فيهم كثرة وشهرة وبصيرة^(١) .

ثم تحركت قافلة الحجاج من مدينة « نيسابور » ، فوصلت فيها بين شهر ذى القعدة سنة (٤٢٣ هـ) إلى مدينة « بغداد » (دار الخلافة) واستقبلت القافلة استقبالاً حسناً وكانت في مدينة « بغداد » مراسم لدفن الخليفة المتوفى « القادر بالله » وإنما أخرت هذه المراسم لكي يشارك أهل « خراسان » في مراسم دفن الخليفة المتوفى .

فبعد ما قررت قافلة الحجاج في مدينة « بغداد » جاء الخبر من « البصرة » أن طريق - الحج غير مأمون ومن جانب آخر كان في هذه السنة مرضًا الحصبة والجدري شائعين في كل الشرق حتى مات بسبب هذين المرضين فقط في « أصفهان » ما يقرب من أربعين ألف شخص . وعلى كل حال فقد حاول الخليفة بكل الوسائل أن يهرب الظروف للحجاج « خراسان » . لكن لم يقدر الله لهم الحج في تلك السنة ، فرجعت قافلة حجاج « خراسان » . من مدينة « بغداد » إلى « خراسان » ووصل « عبد الله الأنصاري » مع القافلة إلى مدينة « نيسابور » ، ففي هذا السفر وإن كانت مدة إقامته في مدينة « بغداد » قليلة إلا أن « عبد الله الأنصاري » استفاد من المحدث الشهير « أبي محمد » الذي وصلت سنه إلى واحد وسبعين سنة ، وزار

(١) من كتاب الذيل على طبقات الحنابلة - لابن رجب - المجلد الأول
ص (٦١) .

في الطريق مدن « بسطام » و « طوس » وبعض المحدثين^(١).

السفر الثاني لـ « عبد الله الأنصاري
بقصد الحج وملاقاته للصوفي الشهير « الخرقاني »
في سنة (٤٢٤ هـ - ١٠٣٣ م)
وعودته إلى مدينة هراة في هذه السنة نفسها

سافر « عبد الله الأنصاري » إلى الحج مرة ثانية في سنة (٤٢٤ هـ). لكن في هذه المرة أيضاً حدثت الموانع في طريق مدينة « الرى »، ولم يستطع أن يصل إلى بيت الله الحرام، ففي هذه الرحلة رأى « عبد الله الأنصاري » في مدينة « نيسابور » في خانقاه (تكييه) لـ « ابن باكويه » الصوفي الشهير « أبي سعيد بن أبي الحير »، وهو الذي زار في تلك الأيام الصوفي المجنوب « الخرقاني »، فذكر عند « عبد الله الأنصاري » من حكاياته، وزار في الطريق أيضاً الشيخ « محمد القصاب الأمل » - الذي كان تلميذه لـ « أبي العباس القصاب » - و « ابراهيم دهستاني »، الذي كان مرشداً روحانياً، فأخبر عبد الله الأنصاري أنه بريء من أهل الكلام.

وكان من أهم ما حدث لـ « عبد الله الأنصاري » هو أنه زار في هذا السفر الصوفي المجنوب « الخرقاني » زيارة قصيرة لكن أثر زيارته فيه تأثيراً عميقاً طول حياته، كما كتب « عبد الرحمن جامي » في كتابه « نفحات الأننس » عن « عبد الله الأنصاري » أنه قال:

(١) من كتاب « زندک »، خواجه عبد الله الأنصاري بالفارسية ص (٥٤-٥٧)

عزمت على الحج وذهبت إلى مدينة دري . لكن قافلة الحج لم يكن لديها القدرة والزاد في تلك السنة وفي العودة وصلت إلى مجلس « الخرقاني » ، فرأى وقال : تعال أنا معشوقك قد جئت من البحر ثم حكى عبد الله الأنصاري ، عن هذه الصحبة ، فقال : لا يعلم إلا الله ما قال من الغيب ، ويكتفى لكراماته أن قال لي : قد جئت من البحر ، وقال عبد الله الأنصاري أيضاً ، « لما سمعت منه ما قال صرت خرقاني » ، وذكر أنه يعظم كثيراً ولا يعظم سائر الناس مثله . وقد قال له الخرقاني في ضمن كلامه : « لا تعمل المراقبة معى ، لأنك عالم وأنا جاهل قال عبد الله الأنصاري ، قلت له : يا شيخ عندي سؤال ، قال : فسائل يا من أنا معشوقك » ، فسألته خمس أسئلة :

ثلاثة منها باللسان وأثنين منها بالقلب ، فأجاب على كل الأسئلة

(١) كتب « نيكولسن » في كتابه عن الصوفيين المسلمين الذي طبع في لندن سنة ١٩١٤ م أقوال « الخرقاني » وترجم باللغة الإنجليزية كلامات « الخرقاني » ، لكن ظن نيكولسن بأن « الخرقاني » كان من القائلين بوحدة الوجود خطأ لأن البسطامي و « الخرقاني » و « عبد الله الأنصاري » لم يكونوا من المعتقدين بوحدة الوجود . من كتاب « زندكي خواجه عبد الله الأنصاري المروي » ص (١٧٥) .

(٢) قوله : « صرت خرقاني » يظهر منه أن « عبد الله الأنصاري » كان في ذلك الحين يعتقد بعقيدة الفناء والخلو وهي أن المرشد يصل في مدارج سلوكه أولاً إلى مرتبة يصير وجوده عين وجود مرشيده ، لكن الأرجح أنه عبر عن شدة تأثير « الخرقاني » عليه ، وقول الخرقاني : « أنا معشوقك » دليل على أن « الخرقاني » عليه بأن مرتبة المرشد هي مرتبة المعشوق فقط .

لهم أخذ بيدي في نفذه وصوت صوتا هائلا وكان الماء يجري من عينيه
مثل النهر وهو يتكلم معى^(١).

وروى عن « عبد الله الأنصارى » أنه قال . لو أني ما رأيت
الخرقانى لما عرفت الحقيقة واحتلط على هذه بتملك ، يعني النفس
بالحقيقة .

وذكر « عبد الله الأنصارى » فيما يتعلق به « الخرقانى » ، أن
الخرقانى كان يقول : أنه افتدى به « البسطامى » الذى توفي قبله
بقرن واحد^(٢) .

وفي الحقيقة أنه كانت بينهما مشاركة في كثير من الأفكار
والآوصاف منها :

أن الخرقانى والبسطامى ، كلّاهما وصلا إلى الحق بالمجاهدة واتباع
الحق من غير المرشد ، وكلّاهما يعتقدان بأن الوصول إلى الحق باتباع

(١) روى : أن « الخرقانى » كان من أهل الحال ولم يكن من المفكرين الذين
شمروا الطريقة والسلوك في الرسائل أو الكتب ، فإذاً ما تردد « عبد الله
الأنصارى » عنه كان أكثره عبارة عما فهم أو عرف من حاله .

(٢) بسطام : قرية من قرى دخرا سار ، والشيخ « أبو يزيد البسطامي »
هو العارف الشهير الذى تداولت جوامع كله المأثورة عنه بين أهل السلوك وبين
عامة الناس ، لكن ثبت أن أكثر ما اشتهر عن « بسطامى » من الأقوال التي
لا تناسب مقام الألوهية هي في الحقيقة ليست من « بسطامى » ، وأن بعضها من قبيل
الرمزيات التى لا يفهمها إلا من كانت له معرفة بالرمزيات ، وتوفي « أبو يزيد
البسطامي » في ١٥ من شهر شعبان سنة (٨٦٠) .

السنة ، ومجاهدة النفس ، وبفضل الله تعالى ، ومنها أنهم يعتقدان
بأن الناس لا يمكن أن يصلوا إلى كنه مقام الالوهية لكن لطف الله
باتباع الحق يأخذ الناس ، فيصلهم إلى معرفته .

وَمَا يُعْتَقِدُهُ «الخُرْقَانِيُّ» مَا يُأْنِي (١) :

١ - من حصل عنده الأمل في الوصول إلى الله ، فأشره أن يحتذر من كل آماله فيما سواه .

٣ - إن السعي للكشف والمكاشفة لا فائدة منه ، والمطلوب
الحقيقة هو رضاء الله « تعالى » .

٤ - أن السلوك الحقيق هو التماقى الكامل بين الشريعة والحقيقة ، فمن ترك الشريعة فقد ترك الحقيقة .

٥ - يلزم على السالك في أي مرتبة كان أن يعتقد بعجزه ويهتم بذواته في طلب رضا المولى أينما كان .

روى عن « الخرقاني » أن رب العالمين كما هو موجود في الحجاز هو موجود في « خراسان » أيضا (٢) (يعني أنه يريد أن يقول أن

(١) من كتاب « زندگی خواجه عبد الله الانصاری »، ص (٦٢) .

(٢) قول «الخرقاني» هذا ليس انكاراً لبركة بيت الله ومدفن النبي - صلى الله عليه وسلم - ، بل مقصوده هو أن يعرف الناس أن الله - تعالى - موجود في كل مكان ، فمن لم يستطع أن يصل إلى بيت الله والأماكن المباركة لا ي Yas من رحمة الله سبحانه وتعالى - ومن وصل إلى الأماكن المباركة يلزم عليه أن لا يتصور أنه وصل إلى الهدف الأصلي ، لأن الهدف الأصلي هو الرجوع الخالص إلى الله - جل شأنه -

- ٥١ -

الهدف الأساسي هو الارتباط القلبي مع الله « تعالى » والانقياد له أينما كان الإنسان .

ولا شك أن بين « البسطامي » وبين « الخرقاني » مناسبات كثيرة لأن كلاهما من منطقة واحدة ولكلهما رمزيات متقابلة وعبارات مسجعة ، وكلها يعبد الله حق عبادته ويهدى الناس إلى الرابطة القوية مع الله « تعالى » ومع دين الإسلام ، ويعالج قلوب الناس من الأمراض الروحية ، فهـما في الحقيقة أطباء مجربون في معالجة ما يعرض للقلوب والأفكار والخواطر من العمل والضعف والجرائم المضرة بالروح ،

فيثبت من هذا أن تأثير « الخرقاني » على « عبد الله الانصاري » هو تأثير روحي ، وتأثير رباني ، فأثر في قلبه وفسكه وخواطره تأثيرا عميقا ، حتى لا يستطيع « عبد الله أن يشرح » ويعبر عنه . وحينما زار « عبد الله الانصاري » الشیخ الخرقاني ، كان « الخرقاني » كبير السن وقد توفي بعد مدة قليلة في العاشر من شهر المحرم سنة (٤٢٥ھ) .

وقد فارق « عبد الله الانصاري » مرشدـه الروحي « الخرقاني » مفارقة العاشق والمشوق ، ولعل هذه المفارقة بجازة « الخرقاني » لصلاحـة عامة الناس .

ولما فارق « عبد الله الانصاري » مرشدـه أراد أن يزور « أبا حامـم ابن خاموش » ، كما جاء في كتاب « الذيل على طبقات الحنابلة » ، لأن رجب ،^(١) ما يأتي : -

(١) المجلد الأول صفحة (٥٢-٥١) .

، قال محمد بن طاهر الحافظ في كتابه « المنشور من الحكايات والسؤالات » سمعت « عبد الله بن محمد الانصارى » يقول : لما زرت الشيخ « أبي الحسن الجركافى » الصوفى الشمير وعزمت على الرجوع وقع في نفسي أن أقصد « أبي حاتم بن خاموش » الحافظ به « رى » ، والتقى به ، وكان مقدم أهل السنة به « رى » .

وذلك لأن السلطان محمود بن سبكتكين لما دخل « رى » قتل بها الباطنية ومنعسائر الفرق من الكلام على المنابر غير « أبي حاتم » ، وكان كل من يدخل « رى » من سائر الفرق يعرض اعتقاده عليه ، فإن رضيه أذن له في الكلام على الناس وإلا منعه ، فلما قربت من « رى » كان معه في الطريق رجل من أهلها ، فسألني عن مذهبي قلت : أنا حنبلي ، فقال : هذا مذهب بك إلى الشيخ « أبي حاتم » ، وأخذ بشوبى ، وقال : لا أفارقك ، حتى أذهب بك إلى الشيخ « أبي حاتم » ، فقلت : خيرة ؛ لأنك كنت أتعب إلى أن التقى به ، فذهب بي إلى داره ، وكان له في ذلك اليوم مجلس عظيم ، فقال : أيها الشيخ هذا الرجل الغريب سأله عن مذهبه ، فذكر مذهبًا لم أسمع به قط . قال : ما قال ؟ قال أنا حنبلي . فقال : دعه لأن كل من لم يكن حنبلياً ليس بمسلم ^(١) ، فقلت في نفسي الرجل (أي أبو الحاتم) كما وصف لي ولزمه أياماً .

ثم عاد « عبد الله الانصارى » في طريق عودته — مرة ثانية إلى « نيسابور » وأقام فيها عند صديقه « ابن باكويه » ، ولما رأى الشيخ

(١) كان مقصود « أبي حاتم » أن أساس مذهب الحنبلي اتباع القرآن الكريم وألسنة ، فلا شك أن من لم يعتقد اتباع القرآن وألسنة فهو ليس بمسلم .

« ابن باكوبه » ، « عبد الله الأنصاري » ، نادى مهيباً إلى خادمه « أبي الفرج » ، فلما حضر قال له : « ماذا قلت لك حينما غادرنا » « عبد الله الأنصاري » ؟ ، فأشهد « أبو الفرج » ، أن الشیخ « ابن باكوبه » ، قال له في حفتك : « أنت يريد السفر . لكنه ليس مصنوعاً للسفر ولا يناسبه ، بل يناسبه ، أن تدور حوله حلقة ويتكلّم هو معهم من الله » .

ثم ذهب « عبد الله الأنصاري » ، مرة ثانية إلى مجلس « أبي سعيد أبي الحنفية » ، فاستقبله واحترمه احتراماً كبيراً وانعقدت بينهما اجتماعات ودارت بينهما الملاحظة واشتهد البحث ، كما تكلّم « عبد الله الأنصاري » معه بصرامة وأظمر رأيه واضحاً بشأن بعض عقائده في التصوف وفي طريقة بعض مشايخ عصره .

وقد جاء في كتاب « نفحات الأننس » ، لـ « عبد الرحمن جامي » ، عن « عبد الله الأنصاري » ، أنه قال : « كنت مع « أبي سعيد أبي الحنفية » مرتين (خدث يوماً) أنه أنزل عمانته من رأسه وأعطي له سجادته ووضع « الفت » المغلن في فمه ، . هذا يحمل ما حدث لـ « عبد الله الأنصاري » في سفره هذا ، فرجع في آخر سنة (٤٢٥ھ) إلى مدينة هرة ، .

فلما استقر بها بدأ في سنة (٤٢٥ھ) بالدرس^(١) وإصلاح النفوس ، واجتمع عليه كثير من الناس ، فانتشر صوت تعليمه إلى كل مكان كما سمع « اسماعيل جشتي » ، أو « خشتي » ، صيت تدريسه

(١) كان يدرس في هذه المرحلة من حياته الحديث ولم ير نفسه مهيئاً للدرس التمهيّن .

وإرشاده ، فطلبـه عنده ووضع كل أمواله في تصرـفه وخدمـته . وقد ثبت أنه في هذه المرحلة فارـشـاطه وجذـباته وجـده مـثـلـ فـورـان « الخـرقـانـ » ، وجـذـبـ كـلامـه وـتـدـرـيـسـه وإـرـشـادـه النـاسـ مـثـلـ المـغـنـاطـيسـ (١) .

حياة عبد الله الانصارى فى أيام (نبازان)

في فصل الشـتـاء من سـنة (٤٢٥ھ)

روى أن اسماعيل الجشـتـى في فـصـلـ الشـتـاءـ ، وـفـيـ الـأـيـامـ الـكـانـ البرـدـ فـيـهاـ شـدـيدـاـ وـيـنـزـلـ فـيـهاـ الثـلـيجـ أـخـذـ مـعـهـ « عبدـ اللهـ الانـصارـىـ » وـذـهـبـاـ إـلـىـ « نـبـازـانـ » (٢) وـعـقـدـاـ هـنـاكـ اجـتمـاعـاـ منـ كـبـارـ الرـجـالـ سـنـاـ وزـهـداـ وـمـنـ الـذـينـ كـانـواـ مـنـ أـهـلـ الـعـلـمـ وـالـفـضـلـ وـالـتـقـوـىـ وـالـكـرـامـةـ يـصـلـ عـدـدـهـمـ إـلـىـ اـثـنـيـنـ وـسـتـينـ شـخـصـاـ ، وـاستـمـرـتـ هـذـهـ الـاجـتمـاعـاتـ فـيـ « نـبـازـانـ » ، أـكـثـرـ مـنـ أـرـبعـينـ يـوـمـاـ ، فـقـيـ تـلـكـ الـاجـتمـاعـاتـ أـخـذـ « عبدـ اللهـ الانـصارـىـ » ، يـشـرـحـ لـهـمـ الـحـقـيقـةـ الـتـىـ تـعـلـمـهـاـ عـنـ « أـبـ الـحـسـنـ الخـرقـانـ » ، فـقـدـ أـثـرـ « عبدـ اللهـ الانـصارـىـ » ، فـيـهـمـ تـأـثـيرـاـ عـمـيقـاـ ، حـتـىـ صـارـ كـلـ وـاحـدـ مـنـهـمـ عـاشـقـاـ لـهـ وـأـعـطـواـ لـهـ الـهـدـاـيـاـ حـتـىـ وـصـلـ عـدـدـهـاـ إـلـىـ أـلـفـ وـمـاـتـىـ هـدـيـةـ مـنـ أـنـوـاعـ الـلـبـاسـ . لـكـنـ « عبدـ اللهـ الانـصارـىـ » ، لـمـ يـأـخـذـ مـعـهـ إـلـىـ مـدـيـنـةـ « هـرـاـةـ » ، شـيـئـاـ مـنـ تـلـكـ الـهـدـاـيـاـ إـلـاـ سـجـادـةـ قـدـيمـةـ .

وـمـنـ الـمـؤـسـفـ أـنـهـ لـمـ تـصـلـ إـلـيـنـاـ الـمـعـلـومـاتـ عـنـ هـؤـلـاءـ الشـيـوخـ إـلـاـ عـنـ الـأـرـبـعـةـ الـآـيـةـ أـسـمـاؤـهـ : -

(١) من كتاب « زندگی خواجه عبدالله الانصاری » بالفارسية ص (٥٨-٦٦).

(٢) نبازان أو نبادان أو نو أبادان : قرية من أعمال مدينة « هرآة » .

١ - الشيخ د أبو حفص بعاء دروان :

الذى كانت له روحانية كبيرة ، ووصفه « عبد الله الأنصارى » ،
بأنه كان شديد التوجه إلى كلامه ، وتوفي هذا الشیخ - رحمه الله -
في الأسبوع الذى افترق فيه « عبد الله الأنصارى » عنه .

٢ - الشيخ د بوبشر كواشانى : الذى تستأنس الطيور والحمام
لصوته .

٣ - الشيخ د أحمد كابد ستانى : صاحب الكرامة .

٤ - الشيخ د أحمد مرجانه : (١)

حياة « عبد الله الأنصارى »

بين سنة (٤٢٥ هـ) وبين سنة (٤٣٦ هـ)

وأهم ماحدث له في هذه المدة

وعاد « عبد الله الأنصارى » إلى « هرآة » وقد ثبت أنه بعد
ما راجع من « نباذان » تغيرت أوضاعه وصم على الدرس والتألقين
بنجاح يوافق الطريقة مع الشريعة ، حتى أنه أخذ في مدة عشر سنوات
(بين سنة (٤٢٥ هـ) وبين سنة (٤٣٦ هـ)) يدرس الأحاديث النبوية
ويرشد المسلمين ويسعى لتركيبة النفوس بتعاليم الشريعة ولم يحدث في
هذه المدة شيء من التحولات المهمة في نزح حياته ، و - أهم ماحدث
في هذه المدة هو الأحداث السياسية التي وقعت بين السلطان « مسعود »

(١) من كتاب « زندکی خواجه عبد الله الأنصاری » ص (٦٩ - ٧٠).

وبين « التركمان » و « السلاجقة » ، فحدث ما حديث من الاختلافات والمحروب والقتال والتخييب مما تذكره النقوس والعقول السليمة ، فمن أراد أن يعرفها بالتفصيل ، فعليه أن يقرأ تاريخ « أبي الفضل البهقي » .

وروى أنسه في سنة (٤٣٠ هـ) توفي والد عبد الله الأنصاري في مدينة «بلغن» وقد أثر هذا الخبر على قلبه تأثيراً شديداً.

وفي نفس السنة شكا مخالفوه من أهل البدعة والمعتزلة والأشاعرة إلى السلطان بأنه يتجاوز في درسه وتلقينه حدود الشريعة ، فطلبه السلطان « مسعود » وسأله : هل أفت قلت أن الله - عز وجل - يضع قدمه في النار ؟ ، فأجابه « عبد الله الأنصاري » بما حاصله : أن الله عز وجل لا يحس من النار الضرر ، وأن النار لا تضره وقال إن نبيه لا يكذب عليه وأن علماء هذه الأمة (العلماء الصالحين المتقيين) لا يكذبون عليه فيما روى عنه ولا يزيدون على كلامه شيئاً من عند أنفسهم ، فقنع السلطان بما أجابه ووادعه بعزة واحترام ، فلم يستطع أعداؤه بعد هذه المؤامرة أن يتآمروا عليه مرة أخرى في عصر السلطان « مسعود » ، فاطمأن في تدريسه وتلقينه وأزداد فيضه وذاعت شهرته يوماً في يوماً .

وَمَا يَلْزَمُ أَنْ أَذْكُرَهُ هُوَ أَنَّ الْخِتَالَاتَ بَيْنَ «عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيِّ» وَبَيْنَ الْأَشْاعِرَةِ إِنَّمَا كَانَ أَكْثَرُهَا لِأَجْلِ خَطَاً فِي التَّعْبِيرِ وَسُوءِ فِي التَّفَاهِمِ الَّذِي وَقَعَ يِنْهَى وَبَيْنَ أَتَابَعِ^(١) وَأَبْنَى الْحَسَنِ الْأَشْعَرِيِّ وَالْوَاقِعِ أَنْسَا

(١) المراد باتباعه أتباعه الجملاء وقد ثبت بالتجربة أن أكثر ما يصدر من اتباع الجملاء لا يرضي به المتبوع . لأنهم أقلة فهم يغيرون أصل الخطة المرسومة.

لو أمعنا النظر لو جدنا أن « عبد الله الأنصاري » ، كان تابعاً لمذهب « أحمد بن حنبل » ، أشد المتابعة وأن « أبو الحسن الأشعري » ، كان أول من كسر شأن المعتزلة ، وأعلن بأن مذهبهم وما يعتقد هو بعینه رأى « الإمام أحمد بن حنبل » ، ويعتبره الإمام الفاضل والرئيس الكامل الذي أبان الله به الحق عند ظمور الضلال ، وأوضح به المنهج ، وقع به بدع المبتدعين وزيف الزائرين ، وأبطل به شك المشككين .

وأن الخلاف الجزئي بين رأى « أبي الحسن الأشعري » ، ورأى « الإمام أحمد » ، لا محلص منه لأن « الأشعري » قد ثار يدافع ضد حملة المعتزلة على الفقهاء والمحدثين وضد حملة أهل البدع والأهواء على دين الإسلام ، فاضطره ذلك إلى أن يسلك في الاستدلال على العقائد مسلك النقل ومسلك العقل ؛ فلأجل ذلك تراه يثبت ما جاء في القرآن الكريم والحديث الشريف من أوصاف الله تعالى - ورسله ، واليوم الآخر ، والملائكة ، والحساب ، والعذاب ، والثواب بالنقل ، لكن يميل إلى الأدلة العقلية والبراهين المنطقية ؛ لكن يستدل بها على صدق ما جاء في القرآن والسنة عقلاً بعد أن وجب التصديق بها كما وردت نفلاً ، فهو لا يتخذ من العقل حاكماً على النصوص ليوها بل يتخذ العقل خادماً لظواهر النصوص .

مع هذا لا شك أن « الأشعري » استعان في سبيل ذلك بقضايا فلسفية وسائل عقلية التي خاض فيها الفلسفه وسلكها المناطقة وكان السبب الرئيسي في سلوكه ذلك المسلك العقلي ما يأتى : -

١ - أنه قد تصدى للرد على المعتزلة فلا بد أن يلحن بمثل حجتهم ،

وأن يتبع طرائقهم في الاستدلال ليفلج عليهم ويقطع شبهاتهم ويفحصهم بما في أيديهم ويرد حجتهم عليهم.

٢ - أنه قد تصدى للرد على الفلاسفة ، والقramطة ، والباطنية ، وغيرهم من أهل البدع والأهواء الذين لا يقنعهم ولا يفهّمهم إلا الأقىسة المنطقية والدلائل العقلية . لكن مع كل هذا فلا شك أن الأشعري ، خالف في بعض المسائل مذهب الإمام ، أحمد ، وأنه اتخذ من العقل حاكماً على النصوص وأولها في بعض المسائل بالعقل فقام ، عبد الله الانصارى ، ليدافع عن رأيه ويبين وجهة نظره في خلافته للأشعري كما سنوضح هذا الموضوع في موضع آخر من هذا الكتاب حينما أشرح آراء ، عبد الله الانصارى ، التي تتعلق بعلم الكلام .
 روى أنه في الثاني عشر من شهر المحرم سنة (٤٣٢ هـ) زاد الخلاف السياسي واشتدت المخاربة بين ، السلاجقة ، و ، الغزنوين ، وأخذ ، السلاجقة ، أكثر بلاد ، خراسان ، وانتزعوها من سيطرة ، الغزنوين ، وأرسل السلطان ، مسعود ، ولده الأمير ، مودود ، إلى مدينة ، بلخ ، ثم عزم على السفر إلى ، الهند ، فأخذ معه ما أخذ من الأموال والخدم وأهل بيته وغادر مدينة ، غزنة ، حتى وصل إلى قرب نهر ، السند ، لكنه حينما أراد أن يمر على نهر ، السيند ، تار عليه من كانوا معه واستولوا على ما كان عنده من الأموال وجعلوه معتقلاً ، حتى قتله أبناء أخيه الأعمى في (١١ من شهر جمادى الأولى سنة (٤٣٢ هـ) ، ونادوا بأبيهم الأعمى ، محمد ، سلطاناً على البلاد فحدث ما حدث بين الأمير ، مودود ، ابن ، مسعود ، وبين أبناء عميه ، حتى وصل الأمر في سنة (٤٣٥ هـ) إلى قطع سلطة سلاطين ، غزنة ، من بلاد ، خراسان ، فتصرف ، السلاجقة ، في جميع بلاده خراسان ، .

ولما تولى ، السلاجقة ، زمام الحكم في « خراسان » بدأ الخلاف بين « عبد الله الأنصاري » ومخالفيه ، حتى استطاع أعداؤه بمؤامراتهم أن يبعدوه عن مدينة « هراة » إلى نواحيها . لكن لم يصل هذا الإبعاد مدة طويلة فلم يتعد عدة شهور حتى رجع « عبد الله الأنصاري » إلى مدينة « هراة » في فصل الصيف وفي أوائل سنة (٤٦٠) لما استقر بدأ بتدريسه وتلقينه . لكنه في هذه المرة غير منهج تدريسيه من تدريس الحديث إلى تدريس التفسير ، فبدأ بتفسير القرآن الكريم من الأول باختصار وختمه في سنة واحدة (١) .

حياة عبد الله الأنصاري

بين سنة (٤٣٧ هـ) وبين سنة (٤٤٥ هـ)

وما حديث له فيما من المحن

روى أن « عبد الله الأنصاري » بدأ في فصل الصيف من سنة (٤٣٧ هـ) بتفسير القرآن الكريم من أوله مرة ثانية لكنه أخذ في هذه المرة يفسر طبقاً لمنهج أستاذه الجليل « يحيى بن عمار » في الفسیر ؛ وهو أنه يفسر القرآن الكريم بالشرح والتوضيح التام حتى استمر على هذا المنهج ما زاد على أربعين سنة ، وقبل أن يختمه توفي .

وروى أنه كان في بدايته للتفسیر يتكلم عن الشريعة كثيراً ويوضح حقيقة الدين والإيمان ، ويدافع عن الدين بمقاومة ما أشاعه أهل

(١) من كتاب « زندکی » خواجه عبد الله الأنصاري بالفارسية ص (٧٥-٨٩) مع التحقيق في المراجع الأخرى .

البدعة من البدع والأهواء ، فقام أهل البدعة والمعتزلة والأشاعرة بالعمل ضدّه ، إلى أن اعتقلته الحكومة بسبب مُؤامراتهم في محبس قرب بوشنج ، وظل فيه مدة سنة ، فوجد في أيام اعتقاله وعزله فرصة للتفكير والدقة ، ففكّر وبحث فيها ماضي من أعماله وحركاته من الصواب والخطأ ، حتى حدد أخيرا خططه للمستقبل عن : كيف يعبد ؟ وكيف يدرس ؟ وكيف يعامل ؟ .

وفي هذه المدة كان يفكّر في صورة والده وأفراده وصورة « الطاقى » و « الخرقانى » وصورة سائر أسانذه من الفقهاء والمحدثين وصور أصدقائه ومحبيه ويستمد منها الحكم والعبر ، ثم خرج من المحبس سنة (٤٣٩ھ) ، ورجع إلى مدينة « هرآة » وبدأ بتدريسه وتلقينه على نهج جديد وأخذ في تفسيره من الوقفة التي وقف عندها وبعد مدة وصل تفسيره إلى آية (١٦٥) من سورة البقرة وهي (والذين آمنوا أشد حبا لله) ، فقد اجتاز الكثير من تفسيرها واستمر في شرحها مدة طويلة ، كما وضح فيها من الحقيقة ومنازل السالكين ، وأثبت أن العبودية الحقيقية هي حب الله تعالى باتباع هدي القرآن الكريم وابتاع سنة النبي - صلى الله عليه وسلم - .

واستمر تدریسه لهذا الأسلوب إلى سنة (٤٤١ھ) وكان يعقد حلقات درسه في « خانقاه (تسكينه) لشيخ « عموم الذى كان يحب « عبد الله الانصارى » ويعامله معاملة الأب لابنه .

الحق أن الشيخ « عموم » ساعده في طفولته وفي مراحل حياته ودافع عنه ، حتى توفي .

ولما توفي الشيخ « عمرو » (١) تغيرت أوضاع « عبد الله الأنصاري » . وصادف في حياته صنوف الفقر والاحتياج مدة طويلة والسبب في ذلك هو أن « عبد الله الأنصاري » لم يكن يظمر احتياجه لأحد ولم يكن في الناس وقتئذ من يرافق أحواله وحواججه مثل الشيخ « عمرو » ، فوصلت حياته إلى آخر درجة من العسرة ، كما حكى عنه « عبد الرحمن جامي » في كتابه « نفحات الأننس » أنه قال : « لم تكن عندي في الشتاء حبة ، وأن البرد كان شديدا ، ولم يكن عندي في فصل الشتاء إلا حصيرا واحدا الذي كنت أنام عليه ، ولبدا صغيرا بحيث لو أغطى بها رجلي يكشف رأسي ولو أغطى بها رأسي تكشف رجلي وأضع تحت رأسي لبنة ، وكنت أعلق اللباس الذي أخرج به إلى المجلس على مسها في حانط البيت وقال أيضا . حضرت كثيرا إلى المجالس في لباس مستعار ، وكثيرا ما عشت مع من يأكل النباتات ، وكثيرا ما وضعت اللبنة تحت رأسي مع أنه كان عندي أصدقاء وأقرباء وتلاميذ في ذلك الوقت كانوا ذوى قدرة ومال ولو طابت منهم أى شيء لاجابوني إلى طلبي لكنى مأردت أن أظهر حاجتى لهم ، وكنت أقول (في نفسى) ولم هم لا يفكرون في أن ليس عندي شيء ويعرفون أن من عادى أن لا أسأل أحدا شيئا .

نعم : من المؤسف أن أصدقاءه وأقرباه وتلاميذه لم يفكروا في أمر حياته ومشكلاته ، ولم ينظروا إلى أنه وقف حياته ووهبها في سبيل إصلاح النفوس وخدمة العلم ومعرفة الحق وفي حب الله تعالى ، وأن

(١) توفي الشيخ « عمرو » في الثانى من شهر رجب سنة (٤٤١ هـ) وقد وصلت سنّه (٦٢) سنّة .

ليس له شغل آخر ، وأنه لا يجد الوقت للكسب معيشته ، فكان من الواجب عليهم أن يقوموا بما يكفل حياته .

وحكمى د عبد الله الأنصارى ، أنه لم يكن عنده فى هذه المدة قدرة ولا استطاعة لأن يعطى شيئاً للقراء وللطلاب الذين يقرءون ويتعلمون منه ولم يكن ليسأل أحدا حتى بجمع الأموال لهم .

فكان حزيناً لأنه لا يستطيع أن يقوم بهذه الخدمة للطلاب ثم حدث أن رأى أحد الناس في منامه « دانيال » نبى الله وهو يقول له أعط دكانك ١ د عبد الله الأنصارى » ، لكنه يصرف فلوسه على القراء ، فعمل بما رأى في المنام ، فكان يؤدى نقود دكانه للقراء .

وهكذا مرت عشر سنوات على « عبد الله الأنصارى » نى العسر والمشقة ، لكن مع كل هذه المتاعب والمشكلات ، والحبس ، والمصائب وضيق العيش ، والتحولات السياسية السيئة فى عصر « السلاجقة » استمر واستقر بفضل الله - تعالى - فى عبادة الله - تعالى - وفي تدريس تفسيره وتلقينه لأسرار الحب فى الشريعة والحقيقة كما كان ، حتى روى أنه حينما كان يضيق صدره وينقبض قلبه فى بعض الأحيان ، فإنه كان يتوجه إلى الله فيطمئن قلبه بذكر الله كما قال - تعالى - « ألا بذكر الله تطمئن القلوب » وكثيراً ما كان الله يفرج عنه كربه كما روى عنه أنه كان يوماً جالساً عند منزله ضيقاً صدره لأمر ما فهب الريح وألقى عليه ورقة مكتوبًا عليها (فرج - فرج) (١) .

(١) من كتاب « زندگى » خواجه عبد الله الأنصارى ، ص (٩٠ - ٩٧) .

حياة «عبد الله الانصارى» ،

بين سنة (٤٤٥ هـ) وبين سنة (٤٥٦ هـ) ونجاحه

روى أنه جاء الخبر من مدينة «نيسابور» إلى «عبد الله الانصارى» ، في فصل الربيع وفي أوائل سنة (٤٤٥ هـ) أن السلطان «طغرل ييك» ، أصدر أوامره بأن يجادل الصالحون أهل البدعة والضلال فوق المنابر ؛ لكي يكشفوا للناس عن ضلالتهم وهذا لأن أمينه العام «أبا نصر كنداري» ، في ذلك الحين كان مخالفًا لأهل البدعة من ناحية العقيدة ، كما أنه مخالفته مع «أبي سهل بن موفق» ، (الذي كان مرشحًا لكرسي الوزارة وينسب إلى أهل البدعة) اشتدت مخالفته لأهل البدعة والضلالة .

وقد أدهشت أوامر السلطان هذه أهل البدعة ومن يتعلق بهم .
وما يناسب أن أقول: أن هذه الحركة ليست في «خراسان» ،
وتحتها بل اشتتدت في العراق وفلسطين والهزار أيضًا ، فاعتقل من
اشتبه فيهم في مدينة «نيسابور» ، حتى ثار عامة الناس على بيت
رئيس «الفرانى» و «أبي القاسم القشيري» ، بفروهما إلى الحبس
وحاولوا أن يأخذوا إمام الحرمين «الجويني» ، الذي كان مشتبها فيه
ل لكنه قد علم بالأوضاع من قبل ، فاختفى ، ثم استطاع أن يفر
من طريق «كرمان» إلى الحجاز .

روى أن «أبا سهل بن موفق» ، الذي ينسب إلى أهل البدعة
كان في ذلك الحين خارج مدينة «نيسابور» ، فلما علم بهذه الحركة

استطاع أن يجمع عدداً من أعوانه ، فدخل مدينة « نيسابور » وأخرج بقوة السلاح أصدقاءه « رئيس الفراتي » وأبا القاسم القشيري من المحبس ، كما أنهما هرباً من مدينة « نيسابور » وأما « أبو سهل » فقد عزم على السفر إلى مدينة « رى » لكي يشرح للسلطان مبررات ما ارتكبه ، ويخبره بأن لالوم على الأشاعرة لكن لم تفده هذه المحاولة شيئاً بل اعتقل وأخذت الحكومة أمواله .

فلما منع الأشاعرة من أن يتكلموا ويظهرروا عقيدتهم بدأوا بالجادلة عن طريق الكتابة والقلم ، فكتبوا ما كتبوا ، كما كتب « القشيري » تحت عنوان « الشكایة من أهل السنة » رسالة .

وانتشرت في جميع البلاد الإسلامية ولقد دافع في رسالته عن التهم التي وجهت إلى الأشاعرة ^(١) .

كما كتب الإمام « أبو بكر البهرقي » رسالة إلى « أب نصر السكنداري » ، ونصحه لكي يتمتنع عن محاولة إيهام الأشاعرة ، لكنه لم يتمتنع ، وهكذا استمرت الأوضاع ، حتى جاءت سنة (٤٥٦ هـ) . وفي هذه السنوات العشر كان « عبد الله الانصاري » مشغولاً بالتدريس والإرشاد ، ومطمئناً من شر أعدائه الذين يخافون على أنفسهم ، فانتشر صيته وعلمه وتدريسه وتلقينه في جميع الجهات ، حتى روى أن كل من كان يمر في ذلك الحين على مدينة « هرآة » يحاول أن يصل إليه لزيارته ، كما زاره في سنة (٤٤٥ هـ) اثنان من الشعراء هما : -

(١) قد ذكر « ابن عساكر » في المجلد الثامن من كتابه المسمى بـ « التبيين » و « السيفي » في المجلد الثاني من كتابه « طبقات » التهم التي وجهت إلى الأشاعرة ومتذكرة في بحث آراء عبد الله الانصاري التي تتعلق بعلم الكلام .

١ - الشاعر «أبو الحسن البخاري» :

الذى زاره بمعرفة الأديب «أبي عاصم»، فأثرت عليه زيارة «عبد الله الانصارى» من ناحية قوته تدريسه وتلقينه تأثيرا عميقا.

٢ - الشاعر والأديب «أبو القاسم الزوزن» المشهور بلقب «بارع»،

وقد اعترف هذا الشاعر والأديب الشهير أنه لم ير مثل «عبد الله الانصارى»، إماما في مجلس من مجالس التدريس.

روى أن «أبا نصر كنديارى»، الذى كان وزيرا في ذلك الحين طلب صديقه «أبا الحسن البخاري»، لصاحبه في سفره إلى العراق، ف بهذه الوسيلة من غير تدخل من «عبد الله الانصارى» زاد حسن قبوله عند رجال الحكومة.

ومن أهم ماحدث في سنة (٤٤٦هـ) أن أصدرت الحكومة أمرها بقتل القاضى «أبي الفتح نصر بن سيار»، الذى كان حنفياً المذهب فقتل خنقاً في سوق «اسفزار» من مدينة «هراء» بمحضر العامة وفوضت وظيفة القضاء بدلاً عنه إلى أخيه المحدث «أبي العلاء ساعد بن سيار»، الذى قرأ الأحاديث في مدينة «نيسابور»، واستفاد من أساتذة كثيرين كان فيهم أساتذة «عبد الله الانصارى» مثل «أبي سعيد الصيرافي»، و«أبي الحسن الطرازى»، الخليل، فلأجل هذه العلاقة المشتركة بين «عبد الله الانصارى» وبين القاضى «سعاد ابن سيار»، حصلت بينهما رابطة وصداقة وتوثقت على مرور الأيام كما جاء في كتاب «الذيل على طبقات الحنابلة»، لـ «ابن رجب»^(١) ما يأتي:

(١) المجلد الأول ص (٥٩ - ٦٠).

هـ - المصوّف الكبير

قال الرهاوی : سمعت بعض الناس بـ « هرآة » يحکی : أن شیخ الإسلام دخل يوما على القاضی « أب العلامة ساعد بن سیار » وعلى يمینه رجل من « البوسعديه » (١) ، فجلس شیخ الإسلام على يسار القاضی ، فغضب « البوسعدي » وقال : أجلس أنا يمینك ويجلس هو عن يسارك ! (٢) فوثب شیخ الإسلام وجلس ناحیة ، وقال : الحدۃ ينبغي أن تكون في أكل البصل والشدة في تشقيق الخطب ، وأما الجلوس في المجالس فإنما يكون بالعلم ، وغضب القاضی (أيضا) من کلام الرجل ، وقال : أى شئ تذكر من حاله ؟ حيث لم يكن له مرکوب ولا ثیاب ، فأمر له بثیاب ومرکوب ، وجعل له في المسجد الجامع موضعًا يعظ فيه . قال الرهاوی : قد رأیت كرسی شیخ الإسلام في « الجامع » قلیل المرافق في زاوية من جامع « هرآة » والیاس يتبرکون به .

روى أن « عبد الله الانصاری » كان يجلس على الكرسي الذي صنعه القاضی « ساعد بن سیار » له ويعقد بجالس الدرس والتدذکر في المسجد الجامع الشمیر في مدينة « هرآة » ، حتى وصل تدریسه في سنة (٤٤٨ھ) إلى آیة (٣١) من سورة آل عمران الجزء الثالث من القرآن السکریم وهي « يحبکم الله ويغفر لكم ذنوبکم » ، في ضمن تفسیر هذه الآیة ذكر « عبد الله الانصاری » اجمالا منازل

(١) قد عبر عن هذا الرجل في كتاب سرذ بورکوی راهب دومینیکی « بأنه من تلاميذ» ، أبي سعید ثابت بوری « وكان من الاشاعرة لكن القاضی لم يكن يعرف منه هذا - من كتاب زندگی خواجه عبد الله الانصاری ، بالفارسیة ص (١٨٢) (٢) لأن الجلوس عن يسار الرجل الكبير في ذلك العصر كان دليلا على عظم القدر وأن من يقدر أحدا في مجلسه عن يساره إشارة إلى أنه قريب من قلبه .

الطريقة وحصرها في مائة منزل ، وأورد لاثبات كل منزل دليلا من القرآن الكريم ، وأدرج في كل منزل ثلاث مقامات ، وأشار إليها بكلمات وجيبة ومسجعة ، وكانت هذه المجالس تأثيرات عميقه على تلاميذه ، كما قال الشاعر والأديب المشهور « أبو الحسن باخرزى » ، في وصف مجلس تدريس « عبد الله الانصارى » ، ما يأتى : « كان مجلسه تذكيرا بدرجة علما ، وأنه كان في علم التفسير وحيد عصره ، وحسن كلامه كان يصيد قلوب الناس ، وببركة وعظمه يمحو المعاصى ولو أن « قس بن ساعدة » سمع أداء كلامه لم يخطب بعده في سوق « عكاظ » .

روى أن أعداء « عبد الله الانصارى » في ذلك الحين كانوا في أشد الغيط منه لكنهم لم يستطعوا أن يفعلوا به شيئا ، لأن السلطان كان بعيدا عنهم ومخالفها لهم والشكایة إلى وزيره « أبي نصر كنداري » ، أيضا لتفيد شيئا ، حتى جاءت سنة (٤٥٠ھ) وفي أواخر هذه السنة - حينما مر « ألب أرسلان بن داود » ، على مدينة « هرآة » (الذى كان هو القائد العسكري الكبير الفاتح في الحرب مع « العزنويين » ، وكانت له سلطة عظيمة في الحكومة ، كما طلب السلطان « طغرل ييك » ، في ذلك الحين لدفع ثورة أخيه « إبراهيم » - « شكي أعداء » عبد الله الانصارى « من مجالس تدريسه وتذكيره إليه لأنه كان مشهوراً في اتفاق نظره مع الأشاعرة ، لكن « ألب أرسلان » لم يلتفت إلى شكاياتهم ، لأن أفكاره كانت مشغلة في المسائل السياسية والحربيه ، ثم استمر الحال في حياة « عبد الله الانصارى » ، بنشاطه إلى آخر سنة (٤٥٥ھ) وفي آخر هذه السنة جاء الخبر بأن السلطان « طغرل ييك » توفي يوم ٨ من شهر رمضان ، ولما لم يكن لهذا السلطان المتوفى ابن ،

- ٦٨ -

فأوصى أن يكون خليفة في الحكم بعده « سليمان بن داود »^(١) . ولكن بعد ماتوفي السلطان حدثت اختلافات بسبب أن أكثر أركان الدولة لم يوافقو على هذه الوصية ، فباعوا « ألب أرسلان » أى مع الأخ الكبير له « سليمان بن داود » الذي كان ذا نفوذ كبير في القوات المسلمة وأركان الدولة والشعب ، حتى تم أمر خلافته ، فصار سلطاناً لبلاد « خراسان » .

روى أنه تغيرت الأوضاع في عهده حتى عزل « آبا نصر كنداري » عن منصب وزارته في يوم السبت ٧ من شهر المحرم سنة (٤٥٦) ، ثم اعتقله^(٢) وجعل « نظام الملك » وزيراً . وهكذا من الدهر وقلب الأمور ، فبدأت مرحلة جديدة في حياة « عبدالله الانصاري » ، وهي مرحلة النضج والكفاح^(٣) .

(١) السر الأصلي في هذه الوصية هو أن أم « سليمان » بعد وفاة أبيه « داود » . دخلت في عقد نكاح « طغرل بيك » ، وكان السلطان يحبها .

(٢) قتل « أبو نصر كنداري » ، بعد مرور سنة من اعتقاله في محبس « مسورو » .

(٣) من كتاب « زندكي » ، خواجه عبدالله الانصاري بالفارسية ص . (٩٨ - ١٠٥)

حياة عبد الله الانصاري

بين سنة (٤٥٦ هـ) وبين سنة (٤٦٢ هـ)

وخلافه مع أهل البدعة

روى أنه بعد ما جاءت الحكومة الجديدة وهي حكومة السلطان «ألب أرسلان»، وزارة «نظام الملك»، أصدرت التعليمات بإلغاء الأوامر السابقة التي كانت ضد الأشاعرة وتحذيرهم، فبعد إصدار الأوامر الجديدة منع الوعاظ أن يذكروا الأشاعرة على المنابر بكلام السوء. وعاد العلماء إلى بلادهم واستغلوا بتدريسيهم، فرجع «أبو القاسم الشيرفي» وإمام الحرمين، بعد عشر سنوات إلى مدينة «نيسابور»، وفي شهر ذي الحجة سنة (٤٥٧ هـ) بنى «نظام الملك» المدرسة النظامية، في «بغداد»، ليدرس فيها مذهب الإمام «الشافعى»، - رحمة الله تعالى - على نهج أصول «الأشعرى»، وهكذا بنى المدارس الأخرى باسم المدرسة النظامية في مدن أخرى مثل «بلغة»، و«نيسابور»، و«هراء»، و«أصفهان»، و«البصرة»، و«مورو»، و«أمل»، و«الموصل»، وغيرهما من البلاد.

فلما تحولت الأوضاع بهذا النزاج بدأ أعداء «عبد الله الانصاري» بمخالفته، فقد روى أنه في أواخر سنة (٤٥٦ هـ) اشتد الخلاف يوماً بعد يوم وحينها جاء السلطان «ألب أرسلان» إلى مدينة «هراء» اتفق أعداء «عبد الله الانصاري» وقدموا الشكایة إلى «نظام الملك»^(١)،

(١) وذلك حينما قمع السلطان «ألب أرسلان» الثورة الفاشلة لـ «قتلمنش»، ونجح في «آذربيجان»، بمقابلة البيزانطي «وذهب إلى»، «أصفهان» ثم إلى «كرمان»، ومنها إلى «مورو»، وكانت مدينة «هراء» في طريق زيارته لهذه البلاد.

وطلبوا منه أن يطلب « عبد الله الانصارى » لمخاصمه ويكلفه بالمناظرة معهم في حضوره ، فإن تغلب هو عليهم في الدليل ، فلنهم يتبعونه وإن تغلبوا عليه فليجبر على السكوت عما يضرهم إن لم يقبل أن يطعهم ، فطلب الوزير ، فلما حضر قال له : إن هؤلاء القوم اجتمعوا لمناظرتك ، فإن ثبت أن الحق معك يرجعون إلى مذهبك وإنما ذلك الاختيار إما أن ترجع وإنما أن تسكت عنهم ، فقام الانصارى وقال : أنا أناظر على ما في كمسي ، فقال له : وما في كميكي ؟ قال : كتاب الله وأشار إلى كه اليدين وسنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأشار إلى كه اليسار وكان فيه الصحيحان ، فنظر إلى القوم كالمستفهم لهم ، فلم يكن فيهم من يمكنه أن يناظره من هذا الطريق (١).

فاقتصر الأمر بنجاح « عبد الله الانصارى » وغادر السلطان ومن كانوا معه من مدينة « هرآة » إلى مدينة « مرو » ومنها إلى « ما وراء النهر » ومن هناك إلى منطقة « خوارزم » ثم رجع إلى مدينة « مرو » ، ففي هذه المدة كان « عبد الله الانصارى » مشغولاً بتدريسه وتذكيره إلا أنه لم يكن مطمئناً من كيد أعدائه ، فيرد في درسه وتذكيره على آراء مخالفيه صراحة ويشرح في اجتماعاته ماجاه في كتابه « ذم الكلام وأهله » (٢) ، فاشتد الخلاف حتى قدم أعداؤه الشكالية إلى « نظام الملك » وخوفوه بأنه يضر الأمن العام ، فأصدر الوزير تعليماته في سنة (٤٥٨هـ) بإخراج « عبد الله الانصارى » من مدينة « هرآة » ،

(١) كتاب الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب - المجلد الأول (ص ٥٤).

(٢) سأذكر مباحث كتاب « ذم الكلام وأهله » في موضع آخر من هذا الكتاب حينما أشرح آراء « عبد الله الانصارى » التي تتعلق بعلم الكلام.

فأخرج من مدينة « هراة »، وغادرها حسب الأوامر إلى مدينة بلخ (١).

قال الراوى : سمعت شيخنا « أبا طاهر السلفي » بالإسكندرية يقول : لما خرج شيخ الإسلام قال أصحابه وأهل البلدة لا يحمل على الدواب ، بل على الرقاب ، فجعلوه في محفظة ، وكان يتذمّر حملهم أربعة رجال حتى وصل « بلخ » نخرج أهلهما وهموا بترجمه ، فردهم ابن نظام الملك « جمال الملك » وقال : تربدون أن تكونوا مسبة الدهر ترجمون رجالاً من أهل العلم ؟ ثم سأله أن يعظ فقرأ :

(الله نزل أحسن الحديث كتبها متشابها الآية) ثم قال : كل المسلمين يقولون هذا إلا أهل « غورجه » ، و « غرجستان » ، و « فلانة » ، و « طالقان »

وقال الراوى : وإنما هم أهل بلخ بما هموا به ، لأن (أكثرهم) كان من المعزلة الشديدة في الاعتزاز ، وكان شيخ الإسلام مشهور في الآفاق بالحنبلة والشدة في السنة (٢).

ولما دخل « عبد الله الأنصاري » في مدينة « بلخ » زار قبر والده وقبور مشائخ والده الذين سمع أسماءهم من لسان والده في أيام طفولته وأقام فيها .

(١) وقد ثبت أن « عبد الله الأنصاري » أبعد من مدينة « هراة » إلى مدينة « بلخ » مرتين الأولى في سنة (٤٥٨) كما جاء في كتاب « زندكي »، خواجه عبد الله الأنصاري المروي « الذي ترجم بالفارسية من كتاب سرز بوركوي راهب دومينيكي »، والثانية في يوم الجمعة عشرين من رمضان سنة ثمان وسبعين وأربعين « كما جاء في الكتاب المذكور وأيضاً في كتاب « الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب »، إلا أن كتاب الذيل لم يذكر القول بابعاده في المرة الأولى وأن ما ذكره من المعلومات مختلف فيه بين الأولى والثانية.

(٢) كتاب الذيل على طبقات الحنابلة « لابن رجب »، المجلد الأول (٥٦ - ٥٧) .

وما يلزم أن أذكر أنه ليس جميع من في مدينة « بلخ » على مذهب الاعتزاز بل يوجد فيها من أهل السنة الذين يحترمونه مثل « أبي القاسم التميمي » الذي كانت له شهرة في العلم والكرم وكان صاحب القدرة والأموال الكثيرة ، ويدرس في المدرسة النظامية لمدينة « بلخ » بأمر « نظام الملك » وهو الذي أهدى له عبد الله الأنصاري ، كثيراً من المدايا تبلغ قيمتها ألف دينار .

وروى عن السلف أنه قال : لما أمر « نظام الملك » بإخراج الشيخ من مدينة « هرآة » سمع بذلك الشيخ « المنباني »^(١) ، فمضى إلى « نظام الملك » في أمره فدار ما دار بينهما من الكلام ، حتى كتب في الحال بردہ إلى بلده ، فرجع « عبد الله الأنصاري » قبل أن يتم سنة (٤٥٨)^(٢) إلى مدينة « هرآة »^(٢) ، ثم استغل بتدریسه وتلقينه كما كان من قبل ويحيط كل يوم أعداءه بما يشرحه في حلقات درسه ولكنهم لا يستطيعون شيئاً ، فيتقبون الفرصة للسكيد به .

وفي أوائل سنة (٤٥٩)^(٣) حينها كان السلطان « ألب أرسلان » يمر بعدينة « هرآة » كلفه أصدقاؤه أن يزور « نظام الملك » ويشكره لأجل أنه أصدر الأمر بعودته إلى مدينة « هرآة » ، فلما دخل على الوزير أكرمه وبجله وكان عنده أئمة من الفريقين في ذلك اليوم ، وقد علموا أنه يحضر ، فاتفقا واجتمعوا على أن يسألوه عن مسألة بين يدي الوزير ، فإن أجاب بما يحببه يسقط من عين الوزير ، وإن لم يحب

(١) نسبة إلى « لنبيان » وهي قرية كبيرة بأصفهان .

(٢) كتاب الذيل على طبقات المنازلة لابن رجب - المجلد الأول - ص (٥٧) .

يسقط من عيون أصحابه وأهل مذهبـ، فانتدبوـ له رجلاـ من أصحاب الشافعـي يعرفـ به العلوـي الدبوـسيـ،^(١) فقالـ :

هل يأذنـ ليـ الشـيخـ الإـمامـ فـيـ أـسـأـلـةـ ؟ـ فـقـالـ :ـ سـلـ مـاـ شـئـتـ فـقـالـ :ـ لـمـ تـلـعـنـ أـبـاـ الـحـسـنـ الـأـشـعـرـيـ ؟ـ فـسـكـتـ ،ـ وـأـطـرـقـ الـوـزـيرـ ،ـ ثـمـ بـعـدـ سـاعـةـ قـالـ لـهـ الـوـزـيرـ :ـ أـجـبـ ،ـ فـقـالـ :ـ لـاـ أـعـرـفـ الـأـشـعـرـيـ وـإـنـماـ أـلـعـنـ مـنـ لـمـ يـعـتـقـدـ بـأـنـ اللـهـ عـزـ وـجـلـ فـيـ السـمـاءـ وـأـنـ الـقـرـآنـ فـيـ الـصـحـفـ وـأـنـ النـبـيـ الـيـوـمـ نـبـيـ ،ـ ثـمـ قـامـ وـانـصـرـفـ ،ـ فـلـمـ يـمـكـنـ لـأـحـدـ أـنـ يـتـكـلـمـ بـكـلـمـةـ مـنـ هـيـبـةـ وـصـلـابـةـ وـصـوـلـةـ ،ـ فـقـالـ الـوـزـيرـ لـلـسـائـلـ وـمـنـ مـعـهـ :ـ هـذـاـ مـاـ أـرـدـتـمـ ،ـ ثـمـ بـعـثـ خـلـعـةـ خـلـعـةـ وـصـلـةـ لـكـنـهـ مـاـ قـبـلـهـاـ وـرـفـضـهـ مـعـتـزـاـ بـنـفـسـهـ .ـ

ثـمـ فـيـ سـنـةـ (ـ٤٦٢ـ)ـ أـرـادـ نـظـامـ الـمـلـكـ ،ـ أـنـ يـظـهرـ حـسـنـ سـلـوكـهـ مـعـ أـهـلـ السـنـةـ ،ـ فـتـسـبـبـ فـيـ أـنـ أـرـسـلـ خـلـيـفـةـ وـبـغـدـادـ ،ـ الـقـاـئـمـ بـأـمـرـ اللـهـ ،ـ الـخـلـعـةـ الـمـوـقـرـةـ هـدـيـةـ لـ عـبـدـ اللـهـ الـأـنـصـارـيـ ،ـ^(٢)ـ .ـ

حياة عبد الله الانصارى

بين سـنـةـ (ـ٤٦٣ـ)ـ وـبـيـنـ سـنـةـ (ـ٤٧٣ـ)ـ وـعـلـوـ شـأنـهـ

روـىـ أـنـهـ فـيـ سـنـةـ (ـ٤٦٣ـ)ـ تـغـلـبـ السـلـطـانـ ،ـ أـلـبـ أـرـسـلـانـ ،ـ عـلـىـ السـلـطـانـ ،ـ الـبـيـزـانـطـيـ ،ـ كـاـ اـعـتـقـلـهـ .ـ وـفـيـ ١٠ـ مـنـ شـهـرـ الـرـیـسـعـ الـأـوـلـ

(١) هو أبو القاسم على دبوسي الذي نصب فيما بعد أستاذًا في المدرسة النظامية ببغداد.

(٢) من كتاب زندگي خواجه عبد الله الانصارى بالفارسية ص (١٠٦ - ١١٥).

سنة (٤٦٥ هـ) قتل السلطان «ألب أرسلان» في ما وراء النهر وجلس ابنه «ملك شاه» الذي وصلت — سنة إلى مئتي عشرة سنة — على كرسيه سلطاناً للبلاد وبقي «نظام الملك» على منصب وزارته بل زادت قدرته ، لأن السلطان الشاب الجديد يحتاج إلى توجيهه ومساعدة كثيرة ، ففي هذه المدة كان شأن «عبد الله الأنصاري» يعلو يوماً فيوماً ، وكانت الخلافة في هذا الوقت بيد «القائم بأمر الله» ، ثم توفي في شهر شعبان سنة (٤٦٧ هـ) ، وقام المقتنى بدلـه — خليفة «بغداد» — وكان في هذه المدة يحاول «عبد الله الأنصاري» تصفية قلوب المسلمين ، وقد أثرت محاضراته في الناس تأثيراً عميقاً ، وكان يفسـر القرآن الكريم بكلـال العناية والإتقان ، كما قال : ابن طاهر الحافظ : سمعت شيخـنا «عبد الله الأنصاري» يقول : إذا ذكرت التفسـير فإـنـما أذـكرـهـ من سبعة ومائة تفسـير . وقال أيضاً : جـرـىـ يـوـمـاـ بـيـنـهـ وـبـيـنـ تـلـامـيـذهـ كـلـامـ - وـأـنـاـ بـيـنـ يـدـيـهـ - ، فقال : أنا أحـفـظـ إـلـيـ عـشـرـ أـلـفـ حـدـيـثـ أـسـرـدـهـ سـرـداـ ، وـقـالـ : ما ذـكـرـ قـطـ فـيـ مـجـلسـهـ حـدـيـثـاـ إـلـاـ يـاسـنـادـهـ ، وـكـانـ يـشـيرـ إـلـىـ صـحـتـهـ وـسـقـمـهـ .

وقال الرهاوي : سمعت «أبا بشر محمد بن هبة الله المذاني» بهـمـدانـ يقول : سمعـتـ بـعـضـ الـأـدـبـاءـ يـقـولـ : سـئـلـ شـيـخـ الإـسـلـامـ الـأـنـصـارـيـ عـنـ تـفـسـيرـ آـيـةـ ، فـأـنـشـدـ أـرـبـعـاءـةـ بـيـتـ مـنـ شـعـرـ الـجـاهـلـيـةـ ، فـكـلـ بـيـتـ مـنـهـ لـغـةـ تـلـكـ الـآـيـةـ ، وـهـكـذـاـ اـسـتـمـرـ فـيـ تـدـرـيـسـهـ وـتـلـقـيـنـهـ حـتـىـ جـاءـتـ سـنـةـ (٤٧٣ هـ) وـفـيـ هـذـهـ سـنـةـ وـصـلـ تـفـسـيرـهـ إـلـىـ آـيـةـ (إـنـ الـذـينـ سـبـقـتـ لـهـ مـنـاـ الـحـسـنـيـ أـوـلـئـكـ عـنـهـ مـبـعـدـونـ) ، فـبـنـىـ عـلـيـهـ ثـلـاثـأـمـةـ وـسـتـيـنـ مـجـلسـاـ(١)ـ .

(١) من كتاب الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب المجلد الأول ص ٥٨ - ٥٩ .

وقد ثبت أن « عبد الله الأنصارى » استطاع بعون الله تعالى - في تلك السنوات العشر أن يعبد الله ويخدم العلم ويصلح نفوس الناس ويظهر الحقائق ويعامل الناس حسن المعاملة ، كما قال ، المؤمن الساجي ، « كان يدخل عليه الجباررة والأمراء ، فما كان يبالي بهم وما يكاد يرى بعض أصحاب الحديث من الغرباء إلا ويكرمه إكراما يعجب منه الخاص والعلم . »

وقال : « ساعد بن سيار المروى ، في أماله : سمعت شيخ الإسلام الأنصارى يقول : إلهى (أطلب منك) العصمة أو المنفعة فقد صاق علينا طريق المعدنة . »

وما يناسب أن ذكر : أن « عبد الله الأنصارى » ساعده في هذه المرحلة أركان الدولة مثل « نظام الملك »^(١) وغيره . لكن هذه المساعدة في الحقيقة إنما كانت لأجل أنه صار مقبولا عند الخاصة والعامة ، ولأن أهل مدينة « هرآة » يحسبونه مرشدا ، وينظرون إليه بنظرية العزة والاحترام .

روى أن « عبد الله الأنصارى » في هذه المدة وصف مرة « نظام الملك » بقوله : إنه يقوم بالعدالة وآداء الحقوق . ولعل هذا لتشويقه

(١) قد ثبت أن « نظام الملك » كان رجلا ممقولا ، ومعتدلا ، وسياسيا وأنه يراعى الرأى العام ، فلما ذكر المدارس الكثيرة لمصلحة عامة الناس ، ويعامل الأشاعرة وعلماء الاحناف والشوافع وعلماء الخوابلة وأنهل السنة بحسن المعاملة ويحترم أهل الله الصالحين ، ويلاحظ اتجاه عامة الناس بحيث لا يؤدي إلى احتلال النظام السياسي والمدنى ، ولعله ينوي بمراعاة هذا السلوك رضاء الله - سبحانه - وخدمة مخلوقه وخير المسلمين جميعا .

وترغيه في خدمته لصالح الناس ، كما أنه وجه إليه النصائح مرة أخرى وكتب إليه : يا نظام حاول رعاية القلوب ، وأقبل المقدرة ، واستر عيوب الناس ، ولا تبع الدين بالدنيا .

وما يسرني ذكره : أن « عبد الله الانصارى » كان يعيش في هذه الفترة في سعة واطمئنان ، ونجا من ضيق الحياة المادية والروحية ، لأنه من ناحية سكت عنه أعداؤه ، ومن ناحية أخرى يساعده أصحابه كل المساعدة . كما أنهم يدافعون عنه ويقدمون إليه الأموال والمدايا الكثيرة ، وكان « عبد الله الانصارى » يصرف هذه المدايا والأموال في حوائجه الضرورية ، وفي حوائج تلاميذه ومربييه والفقراه كما يشاء . لا شك أنه لا يجمع الأموال ولا يدخلها ، ولم يكن قلبه معلقا بحب الدنيا وزخرفها .

يؤيد هذا ما كتب « عبد الرحمن جامي » في كتابه « نفحات الانس عن « عبد الله الانصارى » ، أنه قال بالفارسية : « هرگز در همه عمر خود الله تعالى مرانيم روز در طلب دنيا نديده واکنون بر من میکشا یند اما مرا ازا انجه، مید هند اکر نپذيرم کافر باشم و اکر ازا بر دل من هیچ قدر و خطر باشد کافر باشم » .

وحاصل ترجمة هذا النص ما يأن :

لم يرى الله - تعالى في كل حياته أن يكون مشغولا بطلب الدنيا مدة نصف يوم ، ولكنه يوسع على الآن ولذا ، فأنا متغير وأقول : إن لم أقبل بما يعطيني أكون كافرا « ومع القبول » لو كان لها أى قيمة في قلبي أكون كافرا » .

نعم مع العسر والوعرة كان يعيش كما كان في « خانقاه » ، (تسكعه)

كان فيها غرف كثيرة للإقامة ، وفيها مسجد صغير وصالة مشتركة كبيرة ، فهو بعد اليسر يسكن ويعيش مثل الفقراء ، وكان لباسه وأكاه مثل لباس تلاميذه وأكاهم ، فجميعهم يلبسون اللباس المروع ، ويجلسون لأكل الطعام سويا .

وما يلزم أن ذكره : أن حياته مع مریديه وتلاميذه كانت مطابقة لآداب الصوفية وبمثل ما كتبوا عنه في الرسالة « في آداب الصوفية » ، المسماة بـ « المختصر في آداب الصوفية والسائلين لطريق الحق » . وقد جامت فيها آداب الصوفية مطابقة للقرآن السكري ولسنة النبي — صلى الله عليه وسلم — .

وروى أنه كان في هذه الفترة يؤدب تلاميذه ومریديه بآداب الصوفية وأخلاقهم ، ويروى لهم في مجالسه أقوال الصوفيين الكبار وأخلاقهم وعاداتهم ، وكان يدرس لهم كتاب « طبقات الصوفية » لـ « عبد الرحمن السعدي » ، لكنه لم يكن مقيداً بنصه وتربيته ؛ لأنه كان في بعض المواقع من الكتاب يزيد عليه من معلوماته وتجاربه وعقيداته ، ويدرك الأشعار الاجتماعية والأدبية والروحية التي كان بعضها من أناشيده .

وروى أيضاً أن طريقة تدریسه وبجهه وتجهيزه كانت بطريقة الحرية حتى أن واحداً من مریديه وتلاميذه لو أراد أن يظهر رأيه أو أن يذكر الشعر المطابق للحال والمقام يستطيع أن يقول ، بل كان يفرح بحرية الرأي لتلاميذه ومریديه ، وما جمع من تلك المجالس صار كتاباً ضخماً يسمى بـ « طبقات الصوفية » ، لـ « عبد الله الانصارى » .

وروى أيضاً أن كتب بعض مریديه وتلاميذه عنه في تلك المجالس

هناجاته التي اشتهرت به « مناجاة عبد الله الأنصاري »^(١).

وكان من عادة « عبد الله الأنصاري » في هذه المدة أنه لا يكون في بيته طول اليوم ، بل يذهب لزيارة أصدقائه ، ويعقد بالاستمرار كل يوم في « المسجد الجامع » الشهير في مدينة « هرآة » حلقات تدريسه وتلقينه ، وحينما يريد أن يخرج من بيته يغير لباسه المرقع ، ويلبس لباسه الخاص وقباءه الموقر ، ثم يركب على فرسه الثمين الجيد ، ويمشي في الطريق بكل الوقار والعظمة . ويقول : « إنما أ فعل هذا لعز الدين ، ولأجل أن يكون حسرة على آباء الدين ؛ لكي يميلوا إلى الإسلام وإلى الحق .

وحينما يصل إلى المسجد الجامع يجد كثيراً من تلاميذه ومربيه في انتظاره ، فيجلس على كرسيه الكبير ، ويحلق من يريدون الاستفادة منه حوله على الأرض ، فيبدأ بتفسير القرآن الكريم ، ويأخذ في الشرح ، والتفصيل الذي تستثير به الأفكار ، والأذهان ، فهذا يسأل وهذا يستمع وهذا يظهر رأيه ، والشيخ يتكلم مع كل واحد حسب استعداده^(٢) .

وما يناسب أن أذكره أنه قال في هذه المدة يوماً : « من لم ير مجلس تدريسي وتدكيري ويسبني فلا لوم عليه لأنّه معذور .

فقوله هذا دليل على أن « عبد الله الأنصاري » لا يتجاوز

(١) سأذكر من مناجاته ما يتعلّق بأفكاره الروحية والصوفية في بحث آخر من هذا الكتاب تحت عنوان نبذة من مناجاة « شيخ الإسلام عبد الله الأنصاري ».

(٢) من كتاب « زندكي » خواجه « عبد الله الأنصاري » بالفارسية

في تدریسه حدود الشریعة وأن أقصى ما يريده في تدریسه وتلقینه أن يرضی الله — تعالى جل شأنه — عنه من طريق القيام بتذکیة النفوس وخدمة الخلق ، فـكان يلزم على الناس في عصره أن لا يعتمدوا بما يعبر عنه رجماً بالغیب وبما ینشر عنه أعداؤه ، بل يلزم أن يحضر من له شك إلى تدریسه وتلقینه ، لـکي يدقق النظر في قوله ، وفي آرائه^(١) .

نعم : لاشك أن السبب الرئیسي لما يحدث في الاجتماعات من المفاسد والمناعب هو أن أكثر الناس يتبعون الظن والأوهام ، ويتبعون ما قاله الفساق والفحار وأعداء الحق والیقين مع أن الله — تعالى جل شأنه — یوجهنا إلى التعلق والتفسـکـر والصبر والاستقامة ، والصلة والأخوة ، وإلى المصالحة والاعتدال .

فلاجل ذلك كان « عبد الله الانصاری » یوجـهـ الناس إلى اتباع القرآن السـکـرـیـمـ وأـحـادـیـثـ النـبـوـیـةـ ، وـیـنـبـهـ أـعـدـاءـ إـلـىـ آـنـهـ لـوـ حـضـرـواـ حلقات تدریسه وتلقینه لـعـرـفـواـ مـاـذـاـ عـنـهـ ؟ـ وـمـاـذـاـ یـشـرـحـ ؟ـ .

وعلى كل حال فقد ثبت أن هذه المرحلة من حياته كانت خصبة وأنه قد استفاد منه كـثـيرـ من الناس ، فـاشـتـهـرـ فيـ الآـفـاقـ ، وـزـادـ حـبـهـ فيـ قـلـوبـ عـامـةـ النـاسـ ، وـمـاـلـ إـلـيـهـ أـهـلـ الـقـدـرـةـ ، وـأـهـلـ الـعـلـمـ وـالـفـضـلـ ، وـأـهـلـ التـقـوـىـ وـالـسـلـوكـ ، وـذـاعـ صـيـةـ فيـ كـلـ النـوـاحـىـ ، وـأـيـدـهـ اللهـ — تعالى — ، وـأـعـزـهـ .

(١) أقول في عصرنا الراهن — عصر المؤامرات والدسائس — يلزم علينا أيضاً أن لازمـ بالـتعـبـيرـاتـ المـتـلـوـنةـ لـأـكـثـرـ النـاسـ ، بلـ يـحـبـ أنـ نـبـحـثـ عنـ الـأـسـابـ وـالـعـلـلـ وـنـصـلـ لـلـحـقـ وـالـیـقـيـنـ .

بعض أصدقاء عبد الله الانصارى ،

وتلاميذه في هذه المدة

لقد ثبت أن الدين استفادوا من حلقات درس « عبد الله الانصارى »
وجالس وعظه . وتذكره في هذه المدة أناس كثيرون . لكن أذكر
من جملتهم فيما يأتى الذين لهم شهرة وامتياز في حياتهم :

١ - « حافظ أبو الحير عبد الله بن مرزوق » معتق « عبد الله
الانصارى » الذى ولد في حوالي سنة (٤٤١ھ) ووصف بأنه كان
رجلًا صادقًا يعتمد عليه من يعرفه كل الاعتقاد وكان قد فقد حاسة
السمع في أوائل عمره لكن مع هذا استطاع أن يصبح أستاذًا
في علم الحديث .

٢ - « أبو نصر مؤمن الساجي » ولد في سنة (٤٤٧ھ) وكان
من أهل « العراق » وقد تعلم الأحاديث عن الأستانة في « بغداد »
« الشام » وأقام مدة في « بيت المقدس » ، ثم سافر لطلب العلم
إلى مدينة « أصفهان » ومدينة « نيسابور » وجاء إلى مدينة « هراة » ولما
التقى مع « عبد الله الانصارى » أثر عليه دقة درسه وحسن سلوكه ، فاستفاد
 منه استفادة كبيرة ، وكتب عنه كتابه « ذم الكلام » وبقي معه في مدينة
 « هراه » حوالي عشر سنوات .

وروى أنه كان ذا قوة في الذكاء والحفظ ، وأنه يحب العلم ويتحمل
المشكلات والمتاعب في هذه السبيل .

وروى أيضًا أنه قدم مرة إلى « عبد الله الانصارى » بعض ما كان
ناقصاً في سلسلة بعض الأحاديث وكانت له معلومات كثيرة في علم

الحاديـث مع الدقة والإتقان ، فلأجل ذلك كان « عبد الله الأنصارـي » يحبـه ويقدـره كثـيرـاً .

٣ - « حافظ محمد بن طاهر المقدس » ، وهو في الأصل من « بيت المقدس » ولقـى « عبد الله الأنصارـي » حينـها كان عمرـه إثـني عشرـ سنة ، فاستفادـ منه مـدة سـبع سـنوات ثم سـافرـ في طـلبـ الحـادـيـث إـلـى « بـغـدـادـ ». وروـى أـنه كانـ في كلـ حـيـاتـه دائـمـ الـارـتـحـال لـطـلبـ الـأـحـادـيـث النـبـوـيـة ، يـقطـعـ المسـافـاتـ الطـوـلـيـةـ ماـشـياـ ، وـيـحملـ معـهـ كـتـبـهـ ، وـكـانـ منـ عـادـتـهـ أـنـ لاـيـسـأـلـ أـحـدـاـ أـبـداـ ، وـيـطـلـبـ الرـزـقـ مـنـ اللهـ - تـعـالـىـ - .

وـقـدـ سـافـرـ في طـلبـ الـعـلـمـ إـلـىـ « بـيـتـ المـقـدـسـ » ، وـ« بـغـدـادـ » ، وـ« دـمـكـهـ » ، وـ« دـمـشـقـ » ، وـ« حـلـبـ » ، وـ« الجـزـيرـةـ » ، وـ« اـصـفـهـانـ » ، وـ« نـيـساـبـورـ » ، وـ« هـرـاءـ » ، وـ« بـوـشـنجـ » ، وـ« سـرـخـسـ » ، وـ« دـرـىـ » ، وـ« شـيرـازـ » ، وـ« بـصـرـةـ » ، وـغـيـرـهـ مـنـ الـمـدـنـ وـالـبـلـادـ .

وـهـوـ كـاـنـ يـسـعـيـ في طـلبـ الـحـادـيـثـ يـسـعـيـ أـيـضـاـ في كـتـابـةـ الـأـحـادـيـثـ ، كـاـنـ كـتـبـ صـحـيـحـ الـبـخـارـيـ ، وـصـحـيـحـ مـسـلـمـ سـبـعـ مـرـاتـ وـكـتـبـ كـتـابـ أـبـيـ دـاـودـ فيـ الـحـادـيـثـ عـشـرـ مـرـاتـ .

وـرـوـىـ أـنـهـ كـانـ يـحـبـ السـيـاعـ ، وـمـنـ عـادـتـهـ أـنـهـ لـاـ يـلـتـفـتـ إـلـىـ قـوـانـينـ الـصـرـفـ وـالـنـحـوـ وـالـتـجـوـيدـ فـيـ الـقـرـاءـةـ ، بـلـ أـنـهـ كـثـيرـاـ ، مـاـ يـنـطـقـ بـدـلـ الـحـرـفـ حـرـفاـ آخـرـ ، فـيـضـيـقـ قـلـبـ « عبدـ اللهـ الأـنـصـارـيـ » ، وـيـقـولـ :
« لـاحـولـ وـلـاـ قـوـةـ إـلـاـ بـالـلـهـ » ، وـهـوـ قدـ حـكـيـ مـاـ يـتـعلـقـ بـحـيـاةـ
« عبدـ اللهـ الأـنـصـارـيـ » ، مـنـ أـهـمـ الـمـطـالـبـ الـعـلـمـيـةـ وـالـرـوـحـيـةـ .

٤ - « حـافظـ أـبـوـ مـحـمـدـ عـبـدـ اللهـ السـمـرـ قـنـدـىـ » ، الـذـيـ وـلـدـ سـنةـ
٦ - الصـوـفـ الـكـبـيرـ

(٤٤٤ هـ) في دمشق ، و جاء في طلب العلم إلى مدينة هراء ، فاستفاد من « عبد الله الأنصاري » ، و صار ذا علم و فضل واستاذًا في الحديث ، حتى وصل إلى درجة أن « نظام الملك » كان يرسله باليابنة عنه إلى مجالس درس العلماء .

٥ - « أم الفضل بنت عبد الصمد » التي كانت كبيرة عن « عبد الله الأنصاري » في السن ما يقرب من ثلاثين سنة ، و لها شهرة في الحديث . و جاء في كتاب « مجالس العشاق » أنها أول من تكلم عند « عبد الله الأنصاري عن أوصاف الصوفي الشهير « الخرقاني » .

٦ - « عبد الرحمن بن منه » (١) الذي كان حنبلياً و مخالفًا لأهل البدعة ، وكانت العلاقة بينه وبين « عبد الله الأنصاري » بالمحكمة ، إلا أنه لم يكن بينهما توافق في النظر في بعض المسائل ، حتى أن « عبد الله الأنصاري » قال يوماً في حقه أنه لا يفيد الإسلام بل يضره ، وتوفي « عبد الرحمن بن منه » في مدينة أصفهان ، في شهر شوال سنة (٤٧٠ هـ) .

(١) عبد الرحمن بن الحافظ المعروف بـ أبي عبد الله بن منه : ولد في سنة (٣٨٣ هـ) وقد رحل في طلب الأحاديث النبوية أيام شبابه كثيرة ، ثم أقام في « أصفهان » ، قال « سعد الزنجاني » ، قد أعطى الله تعالى — الإسلام حارسين أحدهما في « أصفهان » ، و الثاني في « هراء » ، هما « عبد الرحمن ابن منه » ، و « عبد الله الأنصاري » ، لكن « ابن منه » لم يكن في منزلة « شيخ الإسلام » .

و قد وردت هذه المعلومات في الجلد الأول من كتاب الذيل على الطبقات « لا بن رجب » ، و كتاب « تذكرة الحفاظ » (للذهبي) و كتاب « طبقات » (لابن أبي يعلى) .

معاملة عبد الله الانصارى

مع أهل الحكمة والفلسفة في هذه المدة

روى أنه كان في عصره عبد الله الانصارى ، يعيش في مدينة هراة ، الفيلسوف الشهير ، ميمون بن نجيب الواسطى ، الذي كان تلميذاً لـ أبو علي بن سينا ، ويشغل في علم النجوم ، وعلم الطب .

وكان من عادته أنه يحب الانزواء عن الناس ، ولا يحب العلاقة مع أهل القدرة ، والأغنياء ، بل ينفر منهم (١) ، حتى أن شرف الدين ظمير الملك البيهقي ، أحضره بقوة عساكره الأتراك ، ليأخذ منه المعلومات عن أحواله بوساطة علم النجوم ، فلأجل أنه كان لا يضر بفلسفته وحكمته عقائد الناس لم يقل عبد الله الانصارى ، في حقه شيئاً ، ولم يكن مخالفاً لعلمه وفلسفته .

ولقد كان يعيش في عصر عبد الله الانصارى ، أيضاً الفيلسوف الآخر المعروف هو أديب اسماعيل ، الذي كان تلميذاً للفارابي ، وكانت له قوة شعرية فيشد الأشعار ويشغل في الطب ويحصل على الرزق من الطبابة .

وقد حدث أنه عالج مرة مريضاً مصاباً بمرض السكتة ، الذي ظن

(١) وذلك لقوة ارتباطه مع الله جل جلاله وعدم التفاته إلى الأعراض المادية ومع هذا يحاول بهذه الرواية أن يصلح نفوس أهل الدنيا بأن يجعلوا الدنيا وسيلة للآخرة .

الناس أنه مات ، فلما صح من غفوته وأثرت عليه معالجته اعتقاد بعض الناس فيه أنه يستطيع أن يحيي الموق ، ولما كانت هذه العقيدة تضر عقيدة المسلمين جادله « عبد الله الانصارى » وأحرق مریدوه كتبه. وروى أنه كان طيباً ما هرا ، وعنده من كثرة التجارب ما يجعل عامة الناس ترجع إليه في المعالجة حتى أنه لما عرض له عبد الله الانصارى ، المرض الشديد الذي لم يفده كثرة المعالجة ، واستينس من صحته أصدقاؤه قدم مریدوه زجاجة بوله من غير علمه إلى « أديب اسماعيل » باسم رجل آخر ، وطلبوها منه المعالجة ، فلما رأى « أديب اسماعيل » زجاجة البول قال : هذا ماء فلان قد عرض عليه مرضه ، فوافق ، وقال : يخالط مقدار استار من البندق مع مقدار استار من « السكر العسكري » ثم يأكله ، وتقولوا له يحب على الناس أن يعرفوا العلم ، وأن لا يحرقوا الكتب (١) ، فلما أكل « عبد الله الانصارى » هذا الدواء رفع مرضه ، ولكن لم تزد المعلومات هل مریدوه قالوا له ما قال : « أديب اسماعيل ، أم لا ؟ وعلمهم لم يحرقوا (٢) على ذلك طبنته في نقوشهم .

(١) لوقارنا مع امالة « عبد الله الانصارى » مع الفيلسوف والطبيب « ميمون ابن نجيب الواسطي » بمعاملته مع الفيلسوف والطبيب « الأديب اسماعيل » يثبت لنا أن « عبد الله الانصارى » لم يكن خالفاً لعمل الحكمة والفلسفة ، وكتبها ، وأهلها في الأمور المدنية للناس مادام لا يضرهم في أمور دينهم وعقيدتهم ، فإذا ذنعوا خالفة له « أديب اسماعيل » محدودة في دائرة الدين فقط ، وما حدت من إحراق كتبه إنما كان من جانب مریدوه ومن غير رضاه .

(٢) من كتاب « زندكي » خواجه « عبد الله الانصارى » بالفارسية .
ص (١٣٠ - ١٢٠) مع التحقيق في المراجع الأخرى مثل طبقات له « ابن رجب » .
وغيره .

أئم ماحدث في حياة

عبد الله الأنصاري

بين سنة (٤٧٣ هـ) حتى توفي في سنة (٤٨١ هـ)

روى أنه في سنة (٤٧٣ هـ) لما وصل تدریس عبد الله الأنصاري، في التفسير إلى الجزء الشامن عشر من القرآن الكريم، وإلى آية من سورة النور، وهي «يَكُاد سِنَا بَرْقَه يَذَهَبُ بِالْأَبْصَارِ»، حدث له أنه عجز بصره عن الرؤية، ولكن مع هذا استمر في تدریسه وتلقينه، بل زاد جهده ونشاطه في الدرس والتلقين، وتحمل المحن في العبادة والخدمة أكثر مما كان يتحمله من قبل، حتى تعد هذه الدورة من حياته أعظم إنتاجاً وأكثر ثمرة بالنسبة إلى كل مراحل حياته؛ لأنها بدأ يميل على تلاميذه الأحاديث والتفسير، ويشرح لهم الطريقة، وبلغ أشعاره وحكاياته عن أهل التصوف، وهو يكتسبون منه أولاً ثم يقررون عليه ثانياً، حتى يصحح ما كتبوا عنه.

فاستمر على هذا المنهج، وزادت شهرته واعتباره، ومآل الناس إليه من كل النواحي حتى ارتحل إليه الطلاب للاستفادة من الأوطان البعيدة، ومالت إليه الحكومة، فسعت لارضايه وتعاملت معه بالحسنى.

روى أنه حينما نجح السلطان «ملك شاء» فيما دار بيته وبين أخيه «تكش»، من الاختلافات والمحاربات، وأراد السلطان العودة إلى عاصمته «أصفهان»، فيما هو في طريق العودة عرف وزيره «نظام الملك» في مدينة «هراء»، حسن شمرة (عبد الله الأنصاري) وميل قلوب عامة الناس إليه.

فليما استقرت الأوضاع السياسية في خراسان، جاء «نفر الدولة»، الذي كان وزيراً لل الخليفة في ذلك العصر من «بغداد» إلى «أصفهان»، يطلب بنت السلطان للعقد عليهما لل الخليفة «المقتدى»، ففي ضمن المباحثات التي بحثها «نظام الملك»، معه طلب منه أن يقدر خليفة «بغداد» خدمات «عبد الله الأنصاري»، كاً قدرها الخليفة المتوفى، فاعتزم خليفة الإسلام المقتدى بتقدير خدمات «عبد الله الأنصاري»، ولأجل هذا قبل انتهاء سنة (٤٧٤ هـ) وصلت من جانب الخليفة إلى «عبد الله الأنصاري»، الخلعة المجلة باسم «شيخ الإسلام شيخ الشيوخ» والحكماء «أبو اسماعيل عبد الله بن محمد الأنصاري»، مع قيام أخرى باسم ابنه «عبد الهادي»، وأعطى له الخليفة المسلمين لقب «شيخ الإسلام»، وشيخ الشيوخ والحكماء رسمياً وعززه، فاشتهر في البلاد الإسلامية بشيخ الإسلام في عصره.

وما يلزم أن أذكره أن «عبد الله الأنصاري» لم تغره الألقاب، ولا المدعايا، ولا الشمرة، ولا الأعراض المادية؛ لأنه كان مشغولاً بحب الله - جل جلاله - وكان أهم شيء عنده أن يتم رسالة حياته فقط.

روى أنه أتجه «شيخ الإسلام عبد الله الأنصاري»، في هذه المرحلة من حياته حسب ما طلب منه تلاميذه مراراً أن يملى عليهم كتاب «منازل السائرين»، باللغة العربية . نعم : هم طلبوها منه مراراً أن يملى عليهم كتاباً أوضح من كتاب «صد ميدان»، الذي كتب في سنة (٤٤٨ هـ) باللغة الفارسية ، فأتمى «شيخ الإسلام» كتاب «كتاب»، «منازل السائرين»، على (عبد الملك كروخي) وأبي الوقت السجزي، و«محمد صيدلاني»، وختمه في سنة (٤٧٥ هـ).

روى عن « عبد الرزاق » الكاشاني أحد شراح كتاب « منازل السائرين » أنه رأى نسخة من كتاب « منازل الثائرين » التي وقع عليها « عبد الله الانصاري »، فيظهر لنا من هذا أنه وقتئذ لم يكن كفيها مطلقاً، ثم بعد أن تم كتاب « منازل السائرين » أمل شيخ الإسلام على تلميذه « السجزي » و « كروخي » كتاب « ذم الكلام وأهله »،

كما أمل على « كروخي » أيضاً كتاب « مناقب الإمام أحمد بن حنبل » وكتب عنه « محمد صيدلاني » قصيدة التونية في مدح الإمام « أحمد بن حنبل »، وأيضاً صحيح في هذه المدة ما كتب عنه تلاميذه كتابه « طبقات الصوفية » وهكذا استمر « شيخ الإسلام » يعمي في مسكنه على تلاميذه ومربيه ، ويلاقى في « المسجد الجامع ، الدروس والمحاضرات ، حتى وصل في سنة (٤٧٨ هـ) درس تفسيره إلى آية (فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة عين جراء بما كانوا يعملون) ، فقال تلاميذه : في كل اسم من أسماء الله – جل شأنه سر من أسراره ، فبدأ يشرح أسماء الله الحسنى ، وعقد من أجلها مجالس كثيرة ، حتى وصل تدريسه وشرحه إلى اسم الله – تعالى – « الموتى » أى إلى « أسماء » من أسماء الله الحسنى .

ثم حدثت في شهر رمضان سنة (٤٧٨ هـ) حادثة مفاجئة وهي أنه في هذا التاريخ بدأ أحد علماء علم الكلام والفلسفة بالتبليغ ، ووقع في تبليغه بعض الانحرافات عما يهدفه « شيخ الإسلام » ، فعلم « شيخ الإسلام » بهذا ، فتكلم يوماً في إحدى مجالسه عن سوء محاولة هذا المتكلّم والفلسفي ، فلما سمع أصدقاء « شيخ الإسلام » ومريدوه هذا الخبر تهيجوا زداد غضبهم وسارعوا إليه فضربوه وحرقوه بيته . فهرب هذا المتكلّم

من مدينة «هراء»، وحدثت ضجة كبيرة في مدينة «هراء»، فاضطر أعيان المدينة إلى عقد جلسة اضطرارية وتناقشوا فيها في أمر الحادثة ونسبوا إلى «شيخ الإسلام» اللوم والإلزام، ثم قرروا اخراجه فوراً من مدينة «هراء»، فأخرج مع أهله في يوم الجمعة ٢٠ من شهر رمضان سنة هـان وسبعين وأربعين قبل صلاة الجمعة، ولم يملوه للصلاة فأقام بقرب البلد. لكن لم يرضوا منه بذلك نخرج إلى مدينة بوشنج (١) ومن سوء الصدف أن ذلك المتكلم الفلسفي جاء أيضاً إلى هذه المدينة قبلهم، وأنه كان قد لجا هناك إلى بيت القاضي «أبي سعيد بن يوسف» الذي كان أستاذًا في المدرسة النظامية لهذا البلد، فلما علم تلاميذ «شيخ الإسلام» ومربيه بهذا توجهوا على الفور إلى بيت القاضي، فضربوا القاضي، وضيفه ضرباً شديداً، حتى أصابوهما بجرح، ثم كتب ولادة مدينة «هراء» إلى السلطان مذكرة بما حدث وشرحوا له الحادثة وجاء فيها: أنه لما كان وجود «شيخ الإسلام» «عبد الله الأنصاري» في مدينة «هراء» خطراً على الناظم العام، فلحفظ الأمان العام قررنا اخراجه فوراً من المدينة.

فإما جواب السلطان ووزيره «نظام الملك» بعد شهرين بإبعاد «شيخ الإسلام» وأهله وخدمه إلى «ماوراء النهر»، فقرىء السكتاب الوارد بذلك في الجامع على منبر «يحيى بن عمار» للحط من شأنه، ولتحويق العامة، فأخرج «شيخ الإسلام» ومن كان معه من مدينة «بوشنج» وسلمهم عساكر الحكومة إلى عساكر ولاية «نيسابور»، ثم وصلوا في سنة (٤٧٩هـ) إلى مدينة «مو الرود» ومنها وصلوا

(١) «مدينة بوشنج»، واقعة بالقرب من مدينة «هراء»، بمسافة يوم واحد.

من طريق «آمل» إلى «آمو»، وكان التصميم عندهم أن يسافروا إلى «بخارى». لكن ورد الأمر من «نظام الملك» بردهم إلى مدينة «بلخ»، فوصلوا إلى مدينة «بلخ» في فصل الصيف ولقي فيها أصدقاؤه وأحبابه الذين فارقهم منذ إحدى وعشرين سنة، لكن مع الأسف لم يكن في هذه المرة «جمال الملك» حاكماً لمدينة «بلخ» لأن السلطان جعله محبوساً في مدينة «نيسابور» في شهر رجب سنة (٤٧٥ھ)، كاً أنه قتل في نفس السنة مسموماً بـ«مؤامرة ملك شاه»^(١).

فلما استقر «شيخ الإسلام» في مدينة «بلخ» بدأ بمجاالت التدريس والتذكير وكان مریدوه يبحثون معه في مباحث كتاب «منازل السائرين» الذي قد دون قبل خمس سنوات، ثم بعد مدة قليلة وصلت التعليمات بأن يرجع «شيخ الإسلام عبد الله الأنصاري»، ومن معه إلى منطقة «مرwo الروd» ففرحوا بهذا؛ لأن مدينة «مرwo الروd» كانت في وسط الطريق بين مدينة «بلخ» وبين مدينة «هراء»، ففي هذه التعليمات إشارة إلى أنه قد خفف شدة الأمر، فهم يأملون بعدها أن يعودوا إلى مدينة «هراء»، فزار «شيخ الإسلام» قبر والده لآخر مرة وارتحل مع من معه من مدينة «بلخ»، حتى وصلوا إلى «مرwo الروd»^(٢).

واستقبل في هذه المدينة من جانب الشعب وأهل السلطة وأصحاب الفضل بالترحيب والإخلاص والصداقة كما قال : «الإمام أبو محمد

(١) من كتاب التاريخ لـ «كامل بن أبير».

(٢) المسافة بين مرwo الروd وبين «بلخ» في طريق «مرغاب» كانت (٢٦٠) كيلو متراً.

حسين بن مسعود البغوي ،^(١) الذي كان من أكابر المدينة له «شيخ الإسلام» في وقت استقباله : قد أراد الله تعالى أن يعطي لك جميع الفضائل ، فلما بقيت منها فضيلة واحدة هي آخر اجرك من الوطن الأصلي^(٢) أعطى الله تعالى لك هذه الفضيلة أيضاً ليتم فضائلك ، ثم استقر «شيخ الإسلام» مع أصحابه في مدينة «مرور الرود» إلى فصل الربيع ، حتى وصلت الأوامر برجوعه مدينة «هرة» ، فارتحل «شيخ الإسلام» وأصحابه من مدينة «مرور الرود» ووصلوا إلى مدينة «هرة» في يوم الأربعاء ٤٤٠ أربعة عشر من شهر المحرم سنة (٤٨٠ هـ) (٢١ من شهر أبريل سنة ١٠٨٧ م) ، فاستقبله عامّة الناس استقبالاً رائعاً ، ودخل مدينة «هرة» بالعزّة والاحترام.

وما يؤسف له أن «شيخ الإسلام» بسبب أنه تحمل متاعب السفر

(١) هو في الأصل من توابع مدينة «هرة» وكان فقيها في مذهب الإمام الشافعى ومحدثاً، وتعودت نفسه بعادات المقرباء من حيث الخلق والأوضاع، حتى لقبه الناس بـ «محى السنة» .

(٢) أخذت هذا من كتاب «زندگي خواجه عبد الله الانصارى هروى» ترجمة كتاب «سرز بورکوى» راهب دومينيكي من ص (١٤٢ - ١٤٣) . لكن قد ثبت عندي أن «عبد الله الانصارى» ، أخرج من وطنه الأصلى إلى مدينة «بلخ» مرتين ، فإذا ذكر لأموره لما قاله «الإمام أبو محمد حسين بن مسعود البغوى» في حق إخراجه هذه المرة الثانية لعله لا علم له بآخراته في المرة الأولى إلى مدينة «بلخ» أو اختلط على بعض الرواية ، فأخذوا الأخبار والمعلومات التي وردت في إخراج «عبد الله الله الانصارى» من مدينة «هرة» مرتين مختلفة . كما أحسمت هذا الاختلاط كثيراً في كتاب الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب ، وفي كتاب «سرز بورکوى» راهب دومينيكي أيضاً .

والمفارقة من الوطن والأحياء ، وأحس الظلم حتى في سن الضعف والشيخوخة ضعفت مقاومته جسمه وضعاف منه أكثر قوته ولكن مع هذا بدأ في مدينة « هرآة » بتدريسه لتفسير القرآن الكريم إلا أنه ترك في هذه المرة شرح أسرار الأسماء الحسنى ، وغير رأيه عن التفصيل الكثير في كل آية وكلمة من القرآن الكريم فأراد أن يفسر القرآن الكريم بسرعة . وكان يأمل أن يختتم تفسير القرآن الكريم في حياته، كما أنه أخذ يفسر في كل جلسة حوالي عشر آيات ، لكن لم يقدر له ختم تفسير القرآن الكريم ، فتوفي بعد ما انتهى من قول الله عز وجل - (قل هو نباً عظيم . أنت عنه معرضون) .

روى أنه كان يحضر إلى حلقة تدريس حديثه كثيرون من الناس حتى الأولاد والطلاب الذين هم في السن الابتدائية مثل « عبد الجليل بن أبي سعد » الذي وصلت سنّه إلى عشر سنوات ، و « أبي نصر فان » الذي كان أصغر من « عبد الجليل » بستين ، و « أبي الفتح بن قاضي ساعد ابن سيار » الذي وصلت سنّه إلى ست سنوات حينما توفي « شيخ الإسلام » وفي هذه السنوات من سنة (٤٨٢ هـ) إلى سنة (٤٨١ هـ) استفاد من مجالسه وحلقاته تدريسيه عدد كبير من طلاب المعرفة ومن جملتهم الطلاب الآية أسماؤهم : -

١ - « عبد الأول السجزي » ، الذي وصل سنّه سنة (٤٧٣ هـ) إلى خمس عشرة سنة وكان يطاب الأحاديث النبوية وطريق الحق ، و Ashton فيها بعد مثل أستاذه « عبد الله الأنباري » في التصوف وعلم الحديث ، وكان رجلاً متواضعاً وصاحب أخلاق وإيثار .

٢ - « أبو الفتح عبد الملك كروخي » ، الذي كان متمسكاً بعبادة الله

— تعالى — ومهما بكتابه الكتب والملفوظات ، وكان مثل «شيخ الإسلام» يحب كتاب «جامع ترمذى» ، كما أنه كتب بقلبه نسخة من كتاب «جامع ترمذى» وأهدأها للمسجد الجامع في مدينة «هراء» وأيضاً كتب رسالة «علل المقامات» تأليف «شيخ الإسلام» عن لسانه .

٣ - «أبو جعفر محمد صيدلاني» ، الذي كان في صغره يكتب الأحاديث عن عبد الله الانصارى وحفظ عنه الشعر الذى نشده في مدح مذهب الإمام ابن حنبل — رحمه الله تعالى — .

٤ - «أبو جعفر حنبل بن علي البخارى» ، مرید «شيخ الإسلام» الذي كان يعيش دائماً معه .

٥ - «أبو الفخر جعفر قايني» ، الذي وصلت سنه في سنة (٤٧٣هـ) إلى (١٤) سنة ونصب يوماً قاضياً لمنطقة «غورجه» .

٦ - «عبد الصبور بن عبد السلام» .

٧ - «حسين الكتبي» ، الذي وصلت سنه (٦٥) سنة حينما صار «شيخ الإسلام» أعمى ، فقام هو بخدمة الكتابة له ولزمه في السفر والإقامة ، فيروى عنه من أرشادات «شيخ الإسلام» أشياء كثيرة .

٨ - «أحمد قلansi» ، الذي كان خادماً لـ «شيخ الإسلام» ويستفید منه .

وروى أيضاً أنه في هذه المدة الأخيرة من حياة شيخ الإسلام «عبد الله الانصارى» ، سأله «الكر وخى» في حق التوحيد الذي جاء في آخر كتاب «منازل السائرین» فأملى في جوابه عليه رسالة صغيرة باسم «ذكر شيء من العلل التي تدخل في المقامات» ، وتخفي على المريد «المبتدئ» .

جاء في آخر الرسالة : فالإرادة ، والزهد ، والتوكّل ، والصبر ،
والحزن ، والخوف ، والرجاء ، والشّكر ، والمحبة والشوق متزاًّل أهل
الشرع السائرين إلى الحقيقة ، فإذا شهدوا عين الحقيقة أضحت ملهمة فيها
أحوال السائرين ، حتى يفني مالم يكن ويبيق مالم ينزل ، كما قال الله
— تعالى — : (ويبيق وجه ربك الآية) .

وبهذا قد تمت رسالة حياة شيخ الإسلام « عبد الله الأنصاري »،
فتوفي في فصل الرياح يوم الجمعة ٢٢ من شهر ذي الحجة سنة (٤٨١ھ)
إنا لله وإنا إليه راجعون .

وُدفن « شيخ الإسلام » « عبد الله الأنصاري » في منطقة شمال
مدينة « هرآة » التي تسمى بـ « كازركاه » ولقد ثبت أن حدثت ضجة
عظيمة في كل البلاد الإسلامية بموته ، فأقام المسلمون مجالس الأدعيّة
والتعزية ، وعبروا عن موته « أنها ضائعة كبيرة » للحياة العلمية
والروحية — غفر الله له وملئ نعيم منهجه إلى يوم الدين (١)

بناء مقبرة

« شيخ الإسلام »
« عبد الله الأنصاري »

بنيت أولاً مقبرة « شيخ الإسلام » في عصر سلاطين السلجوقية

(١) من كتاب « زندکی خواجه عبد الله الأنصاری » بالفارسية
ص (١٤٥ - ١٣١) .

ثم أقام ، الأمير عز الدين عمر المرغنى ،^(١) بجوار مرقده بناء مدرسة في عصر ، السلطان غياث الدين محمد بن سام الغوري ،^(٢) وبقى بناء مرقد ، شيخ الإسلام ، ومدرسته في عصر جنكيز ومتلقيه على حاله ؛ لما ظهر عندهم من بعض كراماته ، ثم في عصر السلطان ، شاه رخ ،^(٣) من السلاطين التيموريه صمم هذا السلطان ، شاه رخ ، في سنة (٨٢٩ هـ) على تعمير مرقده ، فبني مرقده بناء عظيماً وقيماً ، كما أنه بقى إلى الآن إلا أنه حصل فيه بعض الترميمات ، والتغييرات الجزئية .^(٤)

أهل بيت

، عبد الله الأنصارى ، وأولاده

روى أن ، شيخ الإسلام ، عبدالله الأنصارى ، قال يوماً في وقت
مناجاته بالأشعار الفارسية :

هرکس که ترا شناخت جازرا جه کند
فرزند ، وعیال ، وخانمان راجه کند ؟

دیواه کنی هرد وجه انش بخشی
دیوانه توهر دوجهان راجه کند ؟

(١) الأمير عز الدين عمر المرغنى هو جد سلاطين « السكرت » وكان رجلاً صالحًا اهتم في حياته ببناء المساجد والمدارس والأعمال الخيرية الأخرى .

(٢) ولد غياث الدين ، سنة (٥٥٨ هـ) وتوفي سنة (٥٩٩ هـ) .

(٣) ولد « شاه رخ » في سنة (٧٩٩ هـ) وتوفي سنة (٨٥٠ هـ) وكان سلطاناً صاحب الفضل والعدالة .

(٤) من كتاب « كازركاه » المطبوع في كابل شهر ميزان سنة (١٢٤١ هـ ش)

ص (١٢ - ١٠) .

- ٩٥ -

حاصل ترجمة هذه الأشعار :

كل من عرفك ماذا يفعل بنفسه ؟
يعني لا يلتفت إلى نفسه ؟
وهو ماذا يفعل بابنه وعياله وبيته ؟
يعني لا يهتم بها في مقابلة حب الله

ثم قال : إذا جعلته مجنونا (في حبك) تعطى له الدنيا والآخرة ؟
فالمحنون بحبك أى فائدة له في الدنيا والآخرة ؟ :

لكن مع هذا كان ، عبد الله الأنصارى ، يتبع الشريعة الإسلامية ،
فينظر إلى الدنيا من حيث الوسيلة ويأكل ، ويشرب ، ويمشى
في الأسواق ، ويعامل الناس أحسن المعاملة ، كما أنه تزوج وله ابنان
هما : « عبد المادى » و « جابر » اللذان دفنا بجواره في « كازركاه » .

وروى أن ابنه « عبد المادى » قتله الفرقـة الـباطـنية (١) في سـنة
(٤٩٠ هـ) (٢) .

(١) كتب « البغدادي » في كتابه « الفرق بين الفرق » ص (٢٢) في حق
الباطنية ما يلى : —

« ظهرت دعوة الـباطـنية في أيام المـأـمون من حـمـدان قـرمـطـ ، وـمن عـبدـ اللهـ بنـ
مـيمـونـ الـقـدـاحـ ، وـليـسـ الـبـاطـنيةـ مـنـ فـرـقـ الـمـلـمـيةـ ، بلـ مـنـ
فرـقـ الـجـوسـ .

(٢) من المـجلـدـ الثـانـيـ كـتـابـ طـبـقاتـ (لـابـنـ أـبـيـ يـعـلىـ) وـكتـابـ زـندـكـيـ خـواـجهـ
عبدـ اللهـ الـأـنـصـارـيـ ، بالـفـارـسـيـةـ صـ (١٨٧ـ ـ ١٨٨ـ) .

مذهب شيخ الإسلام «عبد الله الأنصاري»

روى أن «عبد الله الأنصاري»، كان يتبع في فروع الدين الإسلامي مذهب الإمام «الشافعى» - رحمه الله تعالى - وفي الأصول، والعقائد كان يعتمد على مذهب الإمام «أحمد بن حنبل» - رحمه الله تعالى - وإن ماجاء عنه في أوصاف الإمام «أحمد بن حنبل»، يرجع إلى مذهبه في العقائد، والأصول، كما ذكر الشيخ «أبو الحسن السكري»، شيخ الشافعية في بلاده في كتابه المسمى بـ «الفصول في الأصول»، أن «عبد الله الأنصاري»، أشد في معرض النصيحة لأهل السنة :

كُنْ إِذْ مَا حَادَ عَنْ حَدِّ الْمَهْدِ
أَشْعُرِي الرَّأْيِ شَيْطَانُ الْبَشَرِ
شَافِعِي الشَّرْعِ، سَنِي الْحَلِّ
حَنْبَلِ الْعَقْدِ، صَوْفِي السِّيرِ^(١)

لكن هذه الرواية لا تتطابق مع العقل والنقل؛ لأن ماروى أنه كان يتبع في فروع الدين الإسلامي مذهب الإمام «الشافعى»، وفي الأصول والعقائد يعتمد على مذهب «أحمد بن حنبل»، لا يطابق منهاج حياته وشهرته، والتواتر الموجود إلى الآن في مدينة «هراء»، بأنه على مذهب الإمام «أحمد بن حنبل»، أصولاً وفروعاً، كما أنه صراحة وصف مذهب الإمام «أحمد بن حنبل»، ويقر بأنه حنبل المذهب.

(١) المجلد الثاني من كتاب الذيل على طبقات الخنابة (لابن رجب) .
ص (٦٦) .

- ٩٧ -

لاشك أنه يعظم الإمام الشافعى ، لكن هذا لا يدل على أنه على مذهبه قال « ابن السمعانى » سمعت « أبا اسماعيل عبدالله بن محمد الانصارى » أنه قال : مذهب أحمد مذهب .

وروى عن « عبدالله الانصارى » أنه قال :

الهنا مرئى على العرش مستو كلامه أزلى ، ورسوله عربى –
كل من قال غير هذا أشعرى ومذهبنا مذهب حنبلى –
وأيضاً روى عنه أنه أنشد على المنبر في أحد أيام مجالسه
بمدينة هراة :

أنا حنبلى ماحيت وإن مت فوصى للناس أن يتحنبلوا

فبناء على هذا مانسب إلى « شيخ الإسلام » من الأشعار برواية « أبي الحسن الكروخي » ، شيخ الشافعية لا يقبله العقل لعل أتباع أبي الحسن الكروخي لأجل تأييد مذهبه أنشدوا هذه الأشعار من أنفسهم ، ثم نسبوها إلى « عبد الله الانصارى » ، فأخذ بها شيخهم أيضاً وأوردها في كتابه .

نعم علو مقام « شيخ الإسلام » ، لا يناسبه أن يعد الأشعري من « شيطان البشر » ، ونقل عن « شيخ الإسلام أبو العباس بن تيمية » في كتابه « الأجوبة المصرية » :

كان « شيخ الإسلام مشهوراً » ، معملاً (عند) الناس ، وهو إمام في الحديث والتصوف والتفسير ، وهو في الفقه على مذهب أهل الحديث ، يعظم الشافعى وأحمد ، ويقرن بينهما في أوجوبته في الفقه ٧ – الصوف الكبير

ما يوافق قول الشافعى تارة ، وقول أحمد أخرى . والغالب عليه اتباع الحديث على طريقة ابن المبارك ونحوه^(١) ، ويؤيد هذا أنه ليس في الفروع على مذهب الإمام الشافعى ، فقط غایة ما يظهر منه أنه كان مرة يعمل بمذهب الإمام الشافعى ومرة بمذهب الإمام أحمد ، والغالب عليه اتجاه أهل الحديث هو اتجاه «أحمد بن حنبل» .

والأرجح عندي ما جاء في كتاب الذيل على طبقات الحنابلة ، لابن رجب^(٢) ، الرأى الآخر : «كان سيداً عظيماً ، وإماماً عارفاً وعابداً وزاهداً ، ذا أحوال ومقامات وكرامات ومجاهدات ، كثير السهر بالليل ، شديد القيام في نصر السنة والذب عنها والقمع لمن خالفها ، وجرى له بسبب ذلك محن عظيمة ، وكان شديد الانتصار والتعظيم لمذهب الإمام «أحمد» ، أصولاً وفروعاً ، ولعله يميل في بعض المسائل إلى رأى الإمام الشافعى أيضاً .

(١) المجلد الأول ص (٥١) من كتاب الذيل :

(٢) من كتاب الذيل على طبقات الحنابلة — المجلد الأول ص (١٦) .

مؤلفات «شيخ الإسلام عبد الله الأنصاري» وآثاره

لو قرأنا حياة «شيخ الإسلام عبد الله الأنصاري»، نجد أنه ولد في بيئة العبادة والزهد والتقوى، ونشأ في الصحبة مع العلماء والصالحين والأولياء، فبدأ بالقراءة والكتابة، وأخذ يسلك سلوك أهل الفضل والمعرفة حتى وصل إلى درجة أنه يكتب الأحاديث بالإسناد، والمسائل العلمية النادرة، والمعلومات الموثوقة الأخرى، ثم سافر لطلب العلم إلى مدينة «نيسابور»، فاستفاد هناك من الأساتذة، والمشايخ العظام الكبار، كما أنه كتب عن الشيخ «ابن باكويه»، ثلاثين ألف كلمة، وثلاثين ألف حديث، لا شك أنه استطاع بقوة حافظته أن يحفظ الأحاديث بالإسناد والمتون، والتدقيقـات الكثيرة الأخرى بكمال دقة واتقان.

روى عنه أنه يحفظ اثنى عشر ألف حديث بالإسناد، وأنه لم يذكر في مجلسه حديث إلا بالإسناد، وكان هو يشير إلى صحته وسقمه.

وسئل يوماً عن تفسير آية فأنشد أربعهـات بيت من شعر شعراه الجاهليـة في كل بيت لغة لتلك الآية.

ثم لما وصل إلى سن الرشد العلمية ومرتبة الأستاذية نهج منهاج حياته على أصول الكتاب والسنة، وبني قصر تصوفه وأدوار حياته في عالم الروحانية على أسس القرآن الكريم والأحاديث النبوية، وبدأ بالتدريس والتلقيـن من سنة (٤٢٥ هـ)، فأخذ يدرس الأحاديث النبوية إلى عشر سنوات، ثم في سنة (٤٣٦ هـ) بدأ بتدريس التفسير، كما أنه أتم تفسير القرآن الكريم بالتوضيح والتفصـيل والتدقيقـ من المدارك والمراجع والـتفسـيرـ.

- ١٠٠ -

وقد ذكر ابن رجب عن «الكتبي»، أنه يفسر القرآن الكريم من سبع ومائة تفسير، واستمر في هذا النوع من التفسير ما زاد على أربعين سنة، حتى توفي قبل أن يختمه في آخر المرة.

والحقيقة أن كل حياته كفاح في سبيل الله، ومحاولة في خدمة المجتمع الإسلامي بالوجد والإخلاص.

نعم: هو وقف مواهبه واستعداداته وعقريته في هذا الطريق؛ لأجل الوصول إلى الحق، فؤيد الحقيقة ويسعى لأن يتألف المجتمع من الأعضاء الصالحين، فبقي لنا من آثاره كفاحه وجهاده الآثار الآتية:

وما يلزم أن ذكره أن آثاره على ثلاثة أقسام:

(أ) آثاره التي ثبت أنه كتبها بيده.

(ب) آثاره التي كتبها تلاميذه ومربيوه عنه، والتي اشتهرت بالأمالى (يعنى الآثار التي أملأها عبد الله الانصارى، على تلاميذه ومربييه).

(ج) الآثار التي تنسب إليه وفي إثبات انتسابها إليه اشتباه.

(أ) الآثار التي ثبت أنه ألفها عبارة عما يأتى:

تفسير القرآن الكريم (تفسير المروي) بالفارسية المشهور، به كشف الأسرار وعدة الأبرار، طبع في طهران باهتمام «جناب علي أصغر حكمة».

ذكر «الكتبي» في تاريخه: أن شيخ الإسلام لما رجع من محنته الأولى ابتدأ في تفسير القرآن الكريم، ففسره في مجالس

الذكير سنة ست وثلاثين وأربعين هجرية ، وفي سنة سبع وثلاثين
أعاد تفسير القرآن ثانية في مجالس الذكير .

وقال المكتبي : « وكان الغالب على مجلسه ، القول في الشرع ،
إلى أن بلغ إلى قوله - عز وجل - (والذين آمنوا أشد حباً لله) ،
فافتتح تجريد المجالس في الحقيقة ، وأنفق على هذه الآية من عمره مدة
مديدة ، وبنى عليها مجالس كثيرة ، وكذلك قوله - تعالى :
(إن الذين سبقت لهم منا الحسنة) بني عليها ثلاثة وستين مجلساً ،
فلما بلغ إلى قوله تعالى (يکاد سنابرقه يذهب بالأبصار) كف بصره سنة
ثلاث وسبعين ، ولما بلغ إلى قوله عز وجل .

(فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين) قال : في كل اسم
من أسماء الله تعالى سر خفي ، وأخذ يفسر خفايا الأسماء حتى بلغ إلى
«المميت» ، فآخر من البلد في الفتنة الأخير ، فلما عاد سنة ثمانين عقد المجلس
على أمر جديد من تدریسه وهو تفسير الآيات بالاختصار ، ولم يكمل
الكلام على الأسماء الحسنة ، فأخذ يستعجل في التفسير ويفسر في مجلس
واحد مقدار عشر آيات أو نحوها ، وكان يريد أن يختتم تفسير القرآن في
حياته . لكن لم يقدر له ذلك ، فتوفي بعد ما انتهى إلى قوله - جل جلاله .
(قل هو نباً عظيم أقلم عنه معرضون) (١) .

وقد كتب أحد مخلصيه «أبو الفضل رشيد الدين البيذى» في مقدمة
كتابه على شرح تفسير «عبد الله الانصارى» - - المجلد في عشر مجلدات - -
في سنة (٥٢٠هـ) أى بعد ما توفي «شيخ الإسلام» ، بـ (٣٩) سنة هذه العبارة .

«قرأت كتاب فريد العصر ، ووحيد الدهر ، شيخ الإسلام» ، أى
إسماعيل عبد الله بن محمد بن علي الانصارى ، في تفسير القرآن وكشف

(١) من كتاب الذيل على طبقات الحماة - المجلد الأول - ص (٥٨) .

معانيه الذى وصل فى اللفظ والمعنى والتحقيق والجمال إلى درجة الإعجاز إلا أنه لا يجازه واختصاره لا يستطيع الطالب أن يستفيدوا منه استفاده تليق به ، فبدأت لشرحه وتفصيله^(١) .

يثبت من هذا أن « عبد الله الأنصارى » ، ألف كتاب التفسير في القرآن الكريم ، وأنه كان مع « أبي الفضل رشيد الدين الميدنى سنة (٥٢٠) هـ لكن مع الأسف أن هذا التفسير ليس موجودا الآن ١ .

٢ - رسالة مناقب الإمام « أحمد بن حنبل » التي كتبها وأملاها على تلميذه « كروخى » .

٣ - رسالة « الأربعين في دلائل التوحيد » : هذه الرسالة مخطوطة توجد نسخة منها في الجامعة العربية في الشريط رقم (٤٣) .

وكتب العلامة « السبكي » أن بعض أهل البدعة سموها بـ « الأربعين في السنة » ، وقد أثبت « عبد الله الأنصارى » فيها صفات الله -- تعالى -- بالأحاديث النبوية .

٤ - باب في « الفتوة » : مخطوط في الجامعة العربية في الشريط رقم (٥٩) وفي آيا صوفيا من (تركيا) (٢٠٤٩) (١٤٥) (١٤٠) (٤١٧ + ٣٣) .

٥ - كتاب « الفاروق في الصفات » بالعربية : ذكره ابن رجب في ص (٥١) من كتابه الذيل على طبقات الحنابلة ، وأيضاً أشار إليه « إسماعيل باشا »^(٢) والعلامة « السبكي »^(٣) ، فيظهر أن هذا الكتاب غير كتاب « الأربعين في دلائل التوحيد » .

(١) من مقدمة كشف الأسرار (ج - ١) .

(٢) من كتاب (أسماء المصنفين) - المجلد الأول (ص ٤٥٢) .

(٣) طبقات الشافعية ج ١ ص (٤٢٠) .

٦ - كتاب « مجالس التذكير » : أشار إليه ابن رجب في كتابه الذيل على طبقات المذاهب ويحتمل أنه عبارة عن نفس ما قاله في مجالس تذكيره .
٧ - « مناجاة عبد الله الانصارى » (إلهي نامه) بالفارسية : توجد مراجاته الأصلية في كتاب « كشف الأسرار » للمبيذى ، وكتاب « طبقات الصوفية » وهي عبارة عن الأدعية والمناجاة مع الله بالفارسية ، وقد أدرج فيها مواجهاته والألطاف المموجة له ، وأدى فيها المعانى العالية بالكلمات التي تؤثر على السامع تأثيرا عميقا .

وقد اشتهرت مناجاته في بلاد أفغانستان وإيران وبакستان والهند ، حتى يذكر العلماء ، والفضلاء من مناجاته في كثير من محافلهم الأدبية . وما لاشك فيه أنه يظهر من حسن آداء مناجاته ، أن له قوة العلم والأدب ، وقوة الروحانية الكبيرة وسأذكر إن شان الله تعالى — فيما بعد بعضا من نصوص مناجاته في هذه الرسالة .

٨ - « شرح التعرف لمذهب أهل التصوف » ، وقد ألف أبو بكر محمد الكلبازى ، البخارى ، المتوفى سنة (٢٨٥ھ) ، التعرف لمذهب أهل التصوف ، بالعربية ، فلما قرأه عبد الله الانصارى ، هذا الكتاب أعجبه فكتب عليه الشرح .

ذكر « حاجى خليفة » أن شيخ الإسلام كتب على هذا الكتاب شرحا لطيفا^(١) وأيضا أشار إليه « إسماعيل باشا » وعدد من مؤلفاته^(٢) ، ولكن مع الأسف فقد هذا الشرح حتى لا يوجد مخطوطه .

٩ - كتاب « الخلاصة في حديث كل بدعة ضلاله »

ذكر حاجى خليفة أنه ابتدأ من « الحمد لله على أفضاله »

(١) من كشف الظنون .

(٢) من كتاب « أسماء المصنفين » ج ١ ص (٤٥٢) .

ونسأله لـ^(١) وعبر عنه « إسماعيل باشا » أنه خلاصة في شرح كل بدعة ضلاله^(٢).

١٠ -- « الرسالة باللغة العربية » : كتب « ريتز » أنه يوجد في د. كشك بغداد في رقم (٥١٠) رسالة عربية لشيخ الإسلام موضوع بحثها (إسناد الموجودات إلى الخالق)^(٣).

١١ -- القصيدة في الاعتقاد :

كتب « السبكي » : وله قصيدة في الاعتقاد ينفي عن العظام في هذا المعنى^(٤).

١٢ -- مذكرات شيخ الإسلام :

هي التي اشتهرت في الفارسية بـ (جزو های « شیخ الإسلام ») .
وهما يلزم أن أذكره أنه كان عند « شیخ الإسلام » ، كتاب نوت بوك أيض يكتب فيه بعض ما يريده من المعلومات كل يوم ، كما ذكر كاتب « طبقات الصوفية » ، أنه كان في « جزو های » شیخ الإسلام بخطه أسماء الفصول ، وأنه استفاد منها في شرح حال « الحلاج » .

١٣ -- كتاب ذم الكلام وأهله :

قد أمل « شیخ الإسلام » هذا الكتاب على تلميذه « السجزي »

(١) من كشف الظنوں ج ١ ص (٧٢٠) .

(٢) من « أسماء المصنفين » ج ١ ص (٤٥٢) .

(٣) من مجلة الإسلام وفيليوجيكا — تأليفات فارسي ٩٢٤/٢ ستوري .

(٤) من طبقات الشافعية ج ٣ - ص (١٨) .

وُكرر في سنة (٤٥٦هـ) أو بعدها بقليل، توجد النسخة المخطوطة منه في معهد المخطوطات بالجامعة العربية في الشريط رقم (٩٧)، وفي مكتبة الظاهرية من «دمشق»، تحت رقم (٢٢٧)، وفي المتحف البريطاني تحت رقم (٧٥٢٠)، وأيضاً توجد نسخة مخطوطة منه في معهد الإلهيات، «بانفروه»، واستفاد منه العلامة «السيوطى» المتوفى في سنة (٩١٤هـ) في كتابه «صون المنطق والكلام»، واستفاد أيضاً الأستاذ المرحوم «مصطفى عبد الرزاق» في كتابه «تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية» من مباحث كتاب «ذم الكلام وأهله»، لكنه لم ير أصل الكتاب «السيوطى»، — رحمه الله تعالى —.

وقد ذكر «شيخ الإسلام» في كتاب «ذم الكلام وأهله» بعض أسماء مؤلفاته قبل هذا الكتاب.

- (أ) - كتاب «مناقب أحمد بن حنبل».
- (ب) - كتاب «تكميل الجهمية».
- (ج) - كتاب الفدرية.
- (د) - كتاب «الفاروق».
- (هـ) - كتاب «القواعد».
- (وـ) - كتاب «مناقب الآثار»^(١).

و مما يلزم أن أذكره هو أنه يظهر من كتابه في ذم الكلام وأهله اتجاهه ومقاومته للمخالفين.

(١) من كتاب «نرصد مين سال وفات خواجه عبد الله الانصارى» بالفارسية ص (١١٦).

(ب) آثاره التي كتبها تلاميذه ومريدوه عنه

هذا القسم من آثاره هو ما كتبه عنه تلاميذه ومريدوه من مجالس تذكيره وتلقينه في الحديث والتفسير والتصوف والعقائد ، وتسمى بـ «الأمال» لأن أكثرها أملاه على تلاميذه ومريديه . وقد عبر عنها مولانا عبد الرحمن جامي ، أنها أذواقه ومواجide ، وهي عبارة عما يأتى :-

١ - كتاب «طبقات الصوفية» ، الذى ألقاه على تلاميذه ومريديه في «خانقاه» (تكيه) بين سنة (٤٦٣ هـ) وبين سنة (٤٧٣ هـ) في ضمن تدریسه لكتاب «طبقات الصوفية» باللغة العربية له «أبي عبد الرحمن محمد بن حسين السلى النيسابورى» ، المولود في سنة (٤٢٥ هـ) المتوفى سنة (٤١٢ هـ) وزاد عليه من أذواقه ومواجide ثم جمعه بعد موته أحد تلاميذه في سنة (٤٨١ هـ) . لكن جمعه لم يكن على أحسن الترتيب ، فجمع ورتب عبد الرحمن جامي ، هذا الكتاب بعد أربعة قرون من وفاة «شيخ الإسلام» على أحسن ترتيب ، وزاد عليه ذكر حال بعض المتصوفين الآخرين ، و Ashton كتاب جامي «هذا به نفحات الأننس» وطبع أصل كتاب «طبقات الصوفية» له عبد الله الأنصارى ، في «كابل» سنة (١٩٦٢ م) باهتمام عبد الحى حبibi ..

(٢) القصيدة التونية في مدح الإمام «أحمد بن حنبل» رحمه الله تعالى - التي كتبها تلميذه «محمد صيدلابي» عنه (١).

(١) جاء نص القصيدة في كتاب «الذيل على طبقات الحنابلة» لابن رجب ، ص (٥٣) .

٣ - الرسالة الصغيرة التي اشتهرت بـ «عمل المقامات» : وقد جاء فيها من العلل التي تدخل المقامات وتحقق على المريد المبتدى ، وأهملي «شيخ الإسلام» هذه الرسالة في آخر حياته على تلاميذه حينها سأله صالح أبو الفتح عبد الملك بن عبد الله بن أبي سهل الهروي كروخي ، عن آخر مقامات منازل السائرين أعني «التوحيد» ، وقد طبع متن الرسالة في «دمشق» سنة (١٩٥٦ م).

٤ - الرسالة المسماة بـ «المختصر في آداب الصوفية والسائلين لطريق الحق» ، أصل الرسالة بالفارسية ، وقد كتبها عنه أحد تلاميذه ، ثم ترجمت إلى العربية وطبعت في مصر سنة (١٩٦٠ م) وقد ذكر فيها من الآداب الظاهرية للصوفيين ما يأتي :

- ١ - في لبس الخرقة .
- ٢ - في آداب القيام ، والقعود .
- ٣ - في آداب الذهاب إلى البيت .
- ٤ - في آداب الأكل .
- ٥ - في آداب الضيافة .
- ٦ - في السماع .
- ٧ - في آداب السفر .

وقد ذكر في آخر الرسالة عن «شيخ الإسلام» ، أنه قال هذه الآداب هي الآداب الظاهرية للمريد التي يلزم على المريد مراعاتها ، ليكون مناسباً للصحبة ، وأما الآداب الباطنية فمی عبارة عن الأمور الأخرى و لها أبواب كثيرة ، ومقامات ، ومنازل لا تحصى .

٥ - كتاب «صد ميدان» بالفارسية :

بدأ «شيخ الإسلام» بتلقينه في سنة (٤٤٨هـ) في ضمن تفسير آية (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويعفر لكم ذنو بكم) (١).
 فذكر فيه أولاً مائة منزل في السير إلى الحق بكلمات وجينة، ثم قسم كل منزل من منازله على ثلاث مقامات، واستدل في اثبات كل منزل بالأيات القرآنية، فبدأ من «التوبة»، وختم بـ«البقاء» أو المحبة.
 توجد منه نسخ مطبوعة وخطوطة، كما أنه كتب «س، دى بور كوى» في سنة (١٩٥٤م) كتاب «صد ميدان» عن النسخة الخطوطة في «استانبول» وعن النسخة الخطوطة الموجودة في «باريس» ونشر من معهد «فرنسي» في القاهرة.

وقد ثبت أن كتاب «صد ميدان» من أوجز وأحسن آثار التصوف الإسلامي بالفارسية.

٦ - كتاب «منازل السائرين إلى الحق المبين» بالعربيه ، الذي أملأه «شيخ الإسلام» على تلاميذه «السجزي» و «الكرودي» و «محمد صيدلان» و تمت كتابته في سنة (٤٧٥هـ) ولذا تنسب المسنخ الخطوطة من منارل السائرين إليهم .

وروى عن «عبد الله الأنصاري»، أن تلاميذه ومربييه طلبوا منه مراراً المختصر في منازل الطريقة بحيث تكون فيه الأبواب والفصول منظمة بالنسبة إلى كتاب «صد ميدان»، لكي يسهل فهمها وحفظها، فأملأه عليهم بعد كتاب «صد ميدان» بـ (٢٧) سنة وقسمه إلى عشرة أقسام . -

(١) من سورة آل عمران - الجزء الثالث - الآية (٣١) .

- ١٠٩ -

- | | |
|-----------------|-----------------|
| ٢ - الأبواب . | ١ - البدایات . |
| ٤ - الأخلاق . | ٣ - المعاملات . |
| ٦ - الأدوية . | ٥ - الأصول . |
| ٨ - الولايات . | ٧ - الأحوال . |
| ١٠ - النهايات . | ٩ - الحقائق . |

ثم قسم كل قسم منها على عشرة أبواب ومنازل ، وقد جاء في كل منزل من منازله ثلاثة درجات بدأ من «البيضة» وختم بـ «التوحيد» .
وتوجد من كتاب منازل السائرين «نسخ مطبوعة كثيرة» .

وقد ذكر «الشيخ عبد الرزاق كاشاني» المتوفى في سنة (٥٧٣٠) في آخر شرح منازل السائرين أنه أدرك نسخة كتبت في سنة (٥٤٧٥) وكتب عليها «شيخ الإسلام» إجازته ، وقال «كاشاني» . أنه كتاب فاق على كل ما صنف في هذه الطريقة .

ولاشك أن هذا الكتاب من أنفس آثار التصوف الإسلامي ، فلأجل هذا شرحه كثير من العلماء ، واستفاد منه كثير من أهل الله .
وكتب مؤلف كتاب «كشف الظنون» أنه بلغ عدد شروحه
ثمانية عشر شرحا .

الفرق بين كتاب « صدميدان »

وبين كتاب « منازل السائرين »

الفرق بينهما هو أن « شيخ الإسلام » بعد مرور (٢٧) سنة على تأليف كتابه « صدميدان » حصل عنده التجربة في السلوك ، فغير رأيه في كثير من المسائل السلوكية ، كما أنه فكر بدقة واعترف بالفرق بين المريد والمراد ، فقسم الناس في هذه السبيل على ثلاث فرق : -

١ - الذي يسير إلى الحبة بين الخوف والرجماء يسمى بـ « المريد » .

٢ - الذي خرج من وادي التفرقة يسمى بـ « المراد » .

٣ - المفتون هو غير هذين الفريقين .

وفي الحقيقة أن « عبد الله الأنصاري » قسم مقامات منازل السائرين على ثلاث مراتب : -

١ - بداية العزم في السير .

٣ - الدخول في الغربة .

٣ - حصول المشاهدة الجاذبة في طريق « الفناء » وطريق « التوحيد » .

فعلى هذا الأساس أورد « عبد الله الأنصاري » التغييرات في كتابة « صدميدان »، بحيث أن (٢٥) ميداناً ومقاماً من كتاب « صدميدان » لم يذكر في كتابه « منازل السائرين »، وأن (٢٤) منزلًا من « منازل السائرين » ليس موجوداً في كتابه « صدميدان »، وأن (٥١) ميداناً ومنزلًا مشترك في كلا من كتابيه « صدميدان » و « منازل السائرين » .

(ج) الآثار التي تنسب إليه ولكن في إثبات انتسابها إليه اشتباه

ولما زادت شهرة «شيخ الإسلام عبد الله الأنصاري» وكثير في
البلاد من يحبون التعرف على كلامه نشر بعض الناس كثيراً من الرسائل
والكتب والكلمات ثم أخرجت المعلومات الآتية : -

١ - دواوين الأشعار :

وقد ثبت أن له «عبد الله الأنصاري» أشعاراً ومنظومات بالعربية
والفارسية إلا أنه لم يجعلها في دواوين ، كما أنه ذكر بين كلامه الأشعار
والرباعيات عن بعض الشعراء مثلاً جاء في كتاب «كشف الأسرار
للسيدي» ، الرباعي الفارسي الآتي : -

غم ک خورد آنکه شاد مانیش توفی یاکی مرد آنکه زند کانیش توفی
در نسیه آن جهان کجادل بندد آنکس که بنقد این جمایش توفی
حاصل الترجمة :

لم يخاف ويفتن من الذي أنت حياته؟ أو لم يموت من الذي أنت حياته؟
ولا يربط قلبه بالوعد المفروض في الآخرة من الذي أنت أهم حياته في الدنيا
وقد تحقق أن هذا الرباعي من «سنائى» كما يوجد في ديوان «سنائى»
أيضاً وكتب حاجى خليفة (١) أن له «عبد الله الأنصاري» ، ثلاثة
دواوين من الأشعار بالفارسية ، لكنه لم يذكر شيئاً من كلمات أول
صفحة من تلك الدواوين . كما هو عادته أنه يذكر من السكتب التي
قرأها شيئاً من أوائلها ، فثبتت أنه لم ير أصل هذه الدواوين .

(١) من كشف الظنون - المجلد الأول - ص (٧٩٩)

ومن المؤسف أنه قد نشر باسمه كثير من الأشعار التي ليست في الحقيقة له، كأن «كوف斯基» في سنة (١٨٩٥ م) نشر في مجلة «بترسيرك» عشرين قطعة من الأشعار باسمه ثم نشر «بوكم أنوف» تلك الأشعار مع ترجمتها بالإنجليزية سنة (١٩٣٩ م) في مجلة (جمعية آسيان بنكا) باسم «ترانه هاي بيرهرات» وقد أخذ أكثر هذه الأشعار من الكتاب المزيف المجعل باسمه هو كنز السالكين وزاد العارفين .. وهكذا نشرت باسمه الأشعار والرباعيات والمنظومات الأخرى التي يظهر من أدائها وفادتها والتحقيق فيها أنها ليست في الحقيقة له وأن القول بصحتها يقتضى كثيراً من البحث والتأمل.

٢ - كتاب نامه :

طبع ونشر هذا الكتاب «ملagan محمد فندهاري» التاجر للكتب في سنة (١٣٢٨) ونسبة إلى «عبد الله الانصارى»، وذلك لأجل الحصول على المال، فكل من يقرأ هذا الكتاب مع الدقة يتضح له أنه كتاب عادى ومبتدل ، وليس في الحقيقة من آثاره ؛ لأنّه جاءت في هذا الكتاب أشعار الشعراه الذين يعيشون بعده بقرون امثالاً جاء فيه شعر من كتاب «بوستان» لـ «سعدى» بالفارسية ونسبة إليه ، وإليك بهذا الشعر :

فروماند كان رادردن شاد كن زروز فرو ماند كي يادكن
حاصل الترجمة لهذا الشعر مايأني .

أبج قلوب الدين هم في مشقة الحياة (١)

وتذكر أيام أن كنت في مشقة الحياة

(١) خطاب لكل الأغنياء بأن يساعدوا الفقراء وينذروا من خواطر أيام مشقهم ؛ لكي يرحموا من كان في المشقة .

٣ - كنز السالكين :

يوجد بهذا الاسم كتاب في مكتبات «تركيا»، و«المهند»، و«أوربا»، ويعدونه من مؤلفات «شيخ الإسلام» جاء فيه كثير من النظم والنشر، فمن يطالعه ويقارنه بآثاره الأصلية يظهر له أنه مزيف وإنما اشتهر باسمه كذباً وخطأً، كما أن « حاجي خليفة»، و«إسماعيل باشا» لم يذكرها أن هذا الكتاب من مؤلفات «عبد الله الأنصاري» ومن المؤسف أنه نشر بعض من فصول هذا الكتاب في مجلة «شرقيات استانبول» باسم «شيخ الإسلام».

٤ - كتاب «أنس المریدین وشمس المجالس»

هذا الكتاب هو عبارة عن قصة «يوسف وزليخا»، ومع أن « حاجي خليفة»، و«إسماعيل باشا» قد أشارا إليه إلا أنه في الحقيقة ليس له كما صرحت «ر. لو» في مجلة «جمعية آسيان»، سنة (١٩٢٩ م) بأن انتسابه إلى «عبد الله الأنصاري» خطأً، وقد كتب هذا الكتاب في سنة (١٠١٣ م) وتوجد نسخة منه في «برهان بور من الهند»، في رقم (١٧٧٨).

٥ - النصيحة لنظام الملك أو نصيحة نامه وزير

وقد نشر «برتلس» في مجلة «أكاديمية ليننجراد»، سنة (١٩٢٦) رسالة بهذا الاسم ونسبها إلى «شيخ الإسلام»، كما طبع هذا الكتاب باسم «تحفة الوزراء» في «نولكشور»، الهند سنة (١٩٢٦ م) ولما كان لـ «شيخ الإسلام» من العلاقات الودية مع «نظام الملك»، يحتمل أنه كتب بعض هذه النصائح له إلا أنني لم أجده لاثباتها المتابع الموثوق بها.

٦ - أسرار نامه أو كتاب الأسرار :

يوجد في المصحف البريطاني كتاب «شيخ سليمان الهروي الانصارى» باسم «مقالات العارفين مرآة السالكين»، جاء فيه باب بعنوان «أسرار نامه»، نسبة إلى «شيخ الإسلام»، والحقيقة أن في هذا الكتاب اقتباسات من «سلسلة الذهب»، لمؤلفها «جامى»، فيثبت أنه قد دون بعد عصر «جامى» وأن مسألة انتسابه إلى «شيخ الإسلام» تقتضى البحث والدقة والتأمل.

٧ - الرسائل :

وقد نشرت هذه الرسائل في شيراز من «إيران»، سنة (١٣٥١ هـ، ق) ونسبت إلى «شيخ الإسلام»، لكن من يقرؤها يظهر له أن في إثباتها اشتباهاً يقتضي كثيراً من التحقيق.

٨ - الرسائل الأخرى :

وقد نشرت من إداره «أرمغان طهران الجموعة الأخرى من الرسائل» في سنة (١٣١٩ هـ، ش) وذكر فيها ثمانية من الرسائل بالتفصيل الآتي:

- (أ) «دلوجان» .
- (ب) «واردات» .
- (ج) «كونز السالكين» .
- (د) «قلائد رنام» .
- (ه) «هفت حصار» .
- (و) «محبت نامه» .
- (ز) «مقولات» .
- (ح) «الهى نامه» .

في هذه الرسائل وإن كانت منسوبة إلى «عبد الله الانصارى» إلا أنه في إثبات صحة انتسابها إليه اشتباه ، والقول الصحيح هو أن في هذه الرسائل توجد مختارات واقتباسات من كلامه، وليس كلها من كلامه .

٩ - پرده حجاب :

توجد في مكتبة «الشهيد على»، من «استانبول»، تحت رقم (١٣٧٢) مجموعة مخطوطة كتبت في سنة (٥٩٠٤ھ) ونسبت إلى «عبد الله الانصارى» جاء فيها من الرسائل الآتية :

- (أ) «صدميدان» .
- (ب) «واردات» .
- (ج) «كنز السالكين» .
- (د) «المى نامه» .
- (ه) «سؤال ازجان ، وجواب آن» .
- (و) «قلندر نامه» .
- (ز) «محبت نامه» .

(ح) «پرده حجاب حقيقة وحقيقة إيمان» .

وتوجد أيضاً نسخة من الرسالة «پرده حجاب حقيقة وحقيقة إيمان» في جامعة «بومبي»، والذي لاشك فيه أن رسالة «صدميدان» من آثار عبد الله الانصارى ، أما سائر الرسائل ، فتحتاج لإثبات صحة انتسابها إليه إلى كثير من الدقة والتحقيق ، لكن يميز أصل كلام «عبد الله الانصارى» ، عما اخترط به ونسب إليه ،

١٠ - الرسائل المخطوطة الأخرى :

توجد في مكتبة «مراد ملا» من «استانبول»، تحت رقم (١٧٩٦) من الآثار المنسوبة إلى «عبد الله الانصارى» ، الرسائل الآتية :-

- ٤ - الرسالة المكونة من أربعين فصلا في التصوف .
- ٢ - « صدميدان » ..
- ٣ - « الرسالة في المعارف »
- ٤ - « الرسالة في كلامات الحكمة والنصيحة والمناجاة » ..
- ٥ - « الرسالة في ماذا يقول الناس ؟ » ..
- ٦ - « مناجاة ، وفوائد » ..
- ٧ - « من كلامه قدس سره » ..
- ٨ - « من كلامه القدسية » ..
- ٩ - « من مقالاته في مواعظه لنظام الملك الطوسي » ..
- ١٠ - « الرسالة في عشر خصائص التي ترجم بها الحياة عن الموت » ..
- ١١ - « من مقولاته - رضى الله تعالى عنه - » ..
- ١٢ - « من أنفاسه الشريفة في النصيحة » ..
- ١٣ - « زاد العارفين » ..
- ١٤ - « قلندر نامه » ..
- ١٥ - « كنز السالكين » ..

هذه الرسائل والكتب كما قلنا في السابق تتطلب كثيراً من التحقيق والتدقيق، حتى يتضح منها أصل كلام « عبد الله الانصارى »، عما اخالط بكلام سائر الناس وما نسب إليه خطأ أو كذبا.

١١ - مناجاته التي ترجمت إلى الإنجليزية وعلق عليها الثائر الرعيم
المندى « غاندي » :

قال دكتور « تاراجند »، المندى في خطابه الذي ألقاه في المهرجان الكبير الذي انعقد في أفغانستان - كابل - سنة (١٣٤١ هـ)

بمناسبة مرور (٩٠٠) سنة على وفاة «شيخ الإسلام عبد الله الأنصاري»، أن «سر جوكندر سنك»، ترجم كتاب «مناجلة»، «شيخ الإسلام»، من الفارسية إلى الإنجليزية منذ ١٥ سنة تقريباً، ثم كتب الشاعر والزعيم الشهير الهندي «غاندي»، مقدمة وتعليقاً على هذه الترجمة، وطلب «غاندي»، من الهندوين أن يفكروا في التعليمات والمقالات التي صدرت من الأذهان العالية في كل المذاهب، ويقول:

يجب علينا أن لا نكون مثل الحيوان الصغير الذي يعيش في «البئر»، ويظن في الدنيا أنها عبارة عما أحاط بالبئر من الجدران بأن نفكر في أن مذهبنا فقط هو مذهب معرفة الحقائق وسائر المذاهب الأخرى كذب أو خطأ، ثم قال «غاندي»: «إنه ثبت من المطالعة الآمنية للمذاهب الأخرى أن مذاهبيم حققة كمذهبنا» (١).

١٢ - آثاره التي توجد في اتحاد الجمهوريات الروسية:

قال «پروفيسور عبد الغنى ديرزايف»، فيما يتعلق بالآثار المخطوطة لـ «عبد الله الأنصاري»، الموجودة في «الاتحاد الجمهوريات الروسية» في خطابه الذي ألقاه في المؤتمر الذي انعقد في أفغانستان، - كابل - سنة (١٣٤١هـ) بمناسبة مرور (٩٠٠) سنة على وفاة «شيخ الإسلام عبد الله الأنصاري»، أن (١٢٥) نسخة من الآثار المنسوبة إليه موجودة في «الاتحاد الجمهوريات الروسي»، ووضحتها كما يأتي:-

١ - توجد في مكتبة «انستيتوت خاور شناسی فرهنگسان علوم اتحاد الجمهوريات الروسية»، (٢٠) نسخة جاء فيها «أنيس المریدین»،

(١) من كتاب «نهضه مين سال وفاهه خواجه عبد الله الانصارى هروى» بالفارسية والبشتوي المطبوع في أفغانستان - كابل - سنة (١٣٤٢هـ، ش) ص (١٠١).

- ١١٩ -

و شمس المجالس ، و « كنز السالكين » ، و « أنوار التحقيق » ،
و « إلهي نامه » ، و « مناجاة » ، و « منازل السائرين » .

٢ - وتوجد في المكتبة الحكومية لمدينة لينينغراد ، خمس نسخ
فيها « أنوار التحقيق » ، و « تحفة الوزير » ، و « المقالات » ، وأيضاً يوجد
مخطوط في (٥٥٠) صفحة وهو المسمى بـ « منازل السائرين » ويعتقد
دروس زوكا ويسكي ، في حق هذا المخطوط أنه « مستجدلات » عبد
الله الانصاري ، التي ذكرها مؤلف « كشف الظنون » ، كما أنه انتخب
منه (١٥) قطعة من الأشعار ورباعيتين وبعض ح�ص من النثر ،
ثم نشرها مع ترجمتها بالروسية في سنة (١٨٦٥ م) .

٣ - وتوجد في مكتبة « دانشکده خاور شناسی » بـ لينينград ثلاثة
نسخ من الآثار المنسوبة إليه لكن يظهر من مطالعتم أن شخصاً آخر
أخذها من كلامه ثم ربها .

٤ - وتوجد في مكتبة « انتسيتوت خاور شناسی فرهنگستان العلوم »
لـ « أوزبكستان » (٥٨) نسخة من الآثار المنسوبة إليه جاء فيها
« منازل السائرين » بالعربيّة والفارسية « والهـى نامه و مناجاه » ، و رسالة ..
« دل وجـان » و « وـكـنجـ نـامـه » ، و « فـرـدوـسـ العـافـينـ » ، و « كـنـزـ السـالـكـينـ » .

٥ - وتوجد في المكتبة الحكومية لمدينة « دوشنبة » ، ثلاثة نسخ من
الآثار المنسوبة إليه وهي عبارة عن « أنيس المریدین و شمس المجالس » ،
ورسالة « دل وجـانـ » و « مناجاه » .

٦ - وتوجد في مكتبة « خاور شناسی فرهنگستان العلوم »
لـ « تاجكستان » (١١) نسخة جاء فيها « منازل السائرين » بالفارسية ،

وَكِنْزُ السَّالِكِينَ، وَ «مَنَاجَةً»، وَ «الْهَيْ نَامَهُ»، وَ ثَلَاثَ رِسَائِلٍ أُخْرَى بَدْوَنِ
عَنْوَانٍ وَنِسْبَتٍ كَلَّمَاهَا إِلَى «عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِي».

٧ - وَأَيْضًا تُوجَدُ فِي مَكَتبَاتِ جَمْهُورِيَّاتِ «كُرْخَسْتَانُ» وَ «أَرْمَنْسْتَانُ»،
وَ أَذْرَبَابِيَّاجَانُ مِنْ إِلْمَانَاطِقِ الْرُّوسِيَّةِ نُسْخَةٌ مِنَ الْمُخْطُوطَاتِ الْمُنْسُوبَةِ إِلَى «شِيخِ
الْإِسْلَامِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِي».^(١)

التعليق على الآثار المنسوبة إلى عبد الله الأنصاري

يُثْبَتُ مِنْ مَطَالِعَةِ الرِّسَائِلِ وَالْكِتَبِ وَالْمُؤْلِفَاتِ الَّتِي نُسِبَتْ إِلَيْهِ أَنَّ
«شِيخَ الْإِسْلَامِ عَبْدَ اللَّهِ الْأَنْصَارِي»، لِأَجْلِ شَهْرَتِهِ الْعَامَةِ حَوَلَ
الْمُؤْلِفُونَ وَالْكِتَابِ أَنْ يَأْخُذُوا مِنْ كَلَامِهِ شَيْئًا، ثُمَّ يَزِيدُوا عَلَيْهِ
مِنْ كَلَامِ الْعُلَمَاءِ وَالْمُسْتَصْوِفِينَ وَالشَّعْرَاءِ الْآخَرِينَ، ثُمَّ يَنْسِبُوا هَذَا كَاهِ
لِإِلَيْهِ؛ لِيَمْلِيَ النَّاسَ إِلَى مَا كَتَبُوا، وَمِنْ هَذِهِ الْآثَارِ تُوجَدُ نُسْخَةٌ كَثِيرَةٌ
فِي بَلَادِ «خَرْسَانَ»، وَ «أَفْغَانِسْتَانَ»، وَ «إِرَانَ»، وَ «بَاكِشَتَانَ»، وَ «تَرْكِيَا»،
وَ «دَمْشَقَ»، وَ «الْعَرَاقَ»، وَ «مَصْرَ»، وَ «رُوسِيَا»،

فَلِمَذَا أَرْمَتَ نَفْسِي أَنْ أَقْدِمَ الاقتراحَ فِي حَقِّ الْآثَارِ وَالْمُؤْلِفَاتِ
الْمُنْسُوبَةِ إِلَى «شِيخِ الْإِسْلَامِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِي»، كَمَا يَأْنِي؟ -

لَا كَانَ «شِيخُ الْإِسْلَامُ»، مِنْ كَبَارِ عُلَمَاءِ الْإِسْلَامِ وَلِهِ مُؤْلِفَاتٌ
كَثِيرَةٌ وَأَخْذَ كَثِيرًا مِنَ الْعُلَمَاءِ بِأَفْوَاهِهِ، فَيُجِبُ عَلَى الْمَرَاكِزِ الْعَلَمِيَّةِ أَنَّ

(١) مِنْ كِتَابِ «نَمَضَدِ مِنْ سَالٍ وَفَاتَ خَواجَهُ عَبْدُ اللَّهِ الْأَنْصَارِي هَرْوِي»
بِالْفَارِسِيَّةِ وَالْبَشْتُوِيَّةِ الْمُطَبَّوعَ فِي افْغَانِسْتَانَ - كَابل - سَنةُ (١٣٤٢ھ، ش)
صَ (١٣٥ - ١٣٩).

تكون لجنة من العلماء والخبراء للتحقيق والبحث في آثار «شيخ الإسلام عبد الله الأنصاري»، وكلماته القيمة الموجودة في البلاد ثم ينشر مثبتاً عنها من الحقائق فيما يتعلق بآثاره. لكي نميز آثار «شيخ الإسلام»، وكلامه من الآثار المزيفة المنسوبة إليه.

المقارنة بين آراء عبد الله الأنصاري

ـ التي تتعلق بالمسائل الكلامية وبين آراء الذين خالفهم في عصره، قد ثبت أن «عبد الله الأنصاري»، كان مختلفاً لآراء أهل الأهواء، والمبتدعة، والقدرية، والجبرية، والشيعة، والمعزلة، والأشاعرة، والماطريدية.

ـ وكان متمسكاً بالكتاب والسنة أشد التمسك، وأنه يتبع في الأمور العقائدية منهج الإمام «أحمد بن حنبل»، فيجب أن نشير أولاً إلى العقيدة الإسلامية وأركان الدين، وأسباب الاختلافات عموماً وأسبابها بين المسلمين خاصة، وثانياً إلى تلك الآراء والإختلافات الموجودة في الكلام اختصاراً، ونبينا رابعاً آراء «عبد الله الأنصاري»، التي تتعلق بالعقيدة والكلام، وبعدها نقدم التعليق الخاص على تلك الاختلافات، والمناقشات.

العقيدة الإسلامية:

ـ العقيدة الإسلامية هي :

ـ الاعتقاد الجازم الثابت المطابق للواقع بأن الله - تعالى - موصوف بجميع الصفات الكمالية ومنزه عن جميع النقصان والعيوب، وبأنه ملائكة - صلى الله عليه وسلم - رسوله الذي أرسله إلى كافة

الناس ؛ ليهديهم إلى سواء السبيل وينقذهم من الفضالة والانحراف ،
وبأن جميع ما جاء به من الله — جل شأنه — يلزم علينا اتباعه .

أركان الدين التي اتفق عليها جمهور أهل السنة والجماعة

قال « عبد القاهر بن طاهر البغدادي الأسفرائيني » المتوفى في عام
(٤٢٩ - ١٠٣٧ م) :

قد اتفق جمهور أهل السنة والجماعة على أصول من أركان الدين ،
كل ركن منها يجب على كل عاقل بالغ معرفة حقيقته ، ولكل ركن
منها شعب ، وفي شعبيها مسائل ، اتفق أهل السنة فيها على قول واحد ،
وضل من خالفهم فيها . وعدد « البغدادي » تلك الأركان والأصول
كما يأنى : (١)

١ - ثبات الحقائق والعلوم .

لأن انكارها يفضي إلى إنكار الله — تعالى — وإنكار الرسل وإنكار
الأديان جميعاً .

٢ - العلم بحدوث العالم في أقسامه من أعراض ، وأجسام .

٣ - معرفة صانع العالم وصفات ذاته .

٤ - معرفة صفاتِه الأزلية .

٥ - معرفة أسمائه وأوصافه .

٦ - معرفة عدله وحكمته .

٧ - معرفة رسالته وأنبئائه .

(١) من كتاب « المفرق بين الفرق » تأليف « البغدادي » ص (٢٢١ - ٣٢٢).

- ١٢٣ -

- ٨ - معرفة معجزات الأنبياء وكرامات الأولياء .
- ٩ - معرفة ما أجمعـت الأمة عليهـ من أركان شـريـعة الإـسـلام .
- ١٠ - معرفة أحـكام الـأـمـرـ والـنـهـىـ والـتـكـلـيفـ .
- ١١ - معرفة فـنـاءـ العـبـادـ وأـحـكـامـهـ فـيـ الـمـعـادـ .
- ١٢ - الـخـلـافـةـ وـالـإـمامـةـ وـشـروـطـ الـزـعـامـةـ .
- ١٣ - أحـكمـ الـإـيمـانـ وـالـإـسـلامـ فـيـ الـجـلـةـ .
- ١٤ - معرفة أحـكمـ الـأـوـلـيـاءـ وـمـرـاتـبـ الـأـمـةـ الـأـنـقـيـاءـ .
- ١٥ - معرفة أحـكمـ الـأـعـدـاءـ منـ الـكـفـرـ وـأـهـلـ الـأـهـوـاءـ .
لا شك أن تلك الأركان التي ذكرها «البغدادي»، يجب على كل مسلم وخاصة العلماء أن يعرفوها حق المعرفة؛ لكي لا يزيفهم زين الزائدين.

أسباب الاختلاف عموماً

لا شك أنه كـماـ أنـ صـورـ النـاسـ مـخـتـلـفةـ ،ـ كـذـكـ الـأـفـكـارـ مـخـتـلـفةـ
وـأـسـبـابـ الـأـخـلـافـ تـخـتـلـفـ بـاـخـلـافـ الـشـرـانـطـ وـالـظـرـوفـ وـالـبـيـنـاتـ ،ـ
لـكـنـ عـلـىـ الـأـكـثـرـ مـنـاشـيـ تلكـ الـإـخـلـافـاتـ عـبـارـةـ عـمـاـ يـأـتـيـ :ـ

- ١ - غـمـوضـ المـوـضـوعـ فـيـ ذـاـتـهـ .
 - ٢ - اختـلـافـ الرـغـبـاتـ وـالـشـهـوـاتـ وـالـأـمـزـجـةـ .
 - ٣ - اختـلـافـ الـمـناـهـجـ وـالـاتـجـاهـاتـ .
 - ٤ - تقـليـدـ السـابـقـيـنـ .
 - ٥ - اختـلـافـ الـمـارـكـ وـالـإـسـتـعـدـادـاتـ .
 - ٦ - الـرـيـاسـةـ وـحـبـ السـلـطـانـ وـالـمـسـائـلـ السـيـاسـيـةـ .
 - ٧ - وـقـعـ الـحـوـادـثـ وـالـثـورـاتـ وـالـانـقلـابـاتـ .
- فـلـتـكـ الـأـسـبـابـ وـأـسـبـابـ أـخـرىـ ،ـ اـخـلـافـ النـاسـ وـلـاـيـالـونـ مـخـتـلـفـينـ .
حتـىـ يـفـصـلـ اللهـ -ـ جـلـ جـلـالـهـ -ـ يـنـهـمـ .

أسباب الإختلاف بين المسلمين :

- ١ - العصبية والتفاخر بالأنساب والأحساب .
- ٢ - التنازع على الخلافة .
- ٣ - بجاورة المسلمين لكثير من أهل الديانات القديمة ، ودخول بعضهم في الإسلام .
- ٤ - ترجمة الفلسفة إلى العربية .
- ٥ - القصص والإسرائيليات .
- ٦ - ورود المتشابه في القرآن السكري .
- ٧ - استنباط الأحكام الشرعية .
- ٨ - إعجاب كل ذي رأي برأيه .
- ٩ - التعرض لبحث كثير من المسائل الغامضة بدون منهج صحيح .

ومن تلك الأسباب وغيرها أختلف المسلمين فظهر الفقهاء والمحدثون ، وجاءت فرق الشيعة والخوارج والقدرية والجبرية وأهل الأهواء ، ثم جاءت فرق المعزلة والأشاعرة والماتريدية والسلفية ، واختلفوا فيما اختلفوا ، حتى لا يصح لنا القول بأن كلامهم على الحق ، ولا أن نقول بأن كلامهم على الباطل ، بل أن نقول إن الحق دائـر فيما قالوا باتباع الكتاب ، والسنة .

اختلاف المسلمين حول المسائل العقائدية ، والسياسية ، والفقهية :

قد ثبت أن اختلاف المسلمين ليس في وحدانية الله — تعالى — وشهادة أن محمدا رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ، ولا في أن القرآن السكـريـم نـزـل مـن عـنـد الله — تـعـالـى — وـأـنـه مـعـجزـة النـبـي ،

ولا فيها ورد بالتوابير ولا في أصول الفرائض كالصلة والزكاة والمحظى والصوم ، وبعبارة أخرى لم يكن الخلاف بينهم في ركن من أركان الإسلام ، ولا في أمر قد علم من الدين بالضرورة كتعريض القتل ، وشرب الخمر ، وأكل لحم الخنزير والميتة ، والحصول على المال بالغدر . والخيانة ، وضياع الوقت فيها لا يعنى تحريم الأضرار والأعمال التخريبية والمقاسد الإجتماعية ولا في أصل العقود الإجتماعية ، والمسائل الأخلاقية ، والقواعد العامة للميراث .

وإنما الاختلاف بينهم في أمور لا تمس الأركان ولا الأصول العامة . ولكن مع هذا فلا شك أن الاختلاف الذي دار بين المسلمين حول بعض العقائد ، وحول بعض المسائل السياسية كان شرا ، كما روى الإمام «البخاري» عن زيد بنت جحش أنها قالت :

استيقظ النبي - صلى الله عليه وسلم - محمرا وجهه يقول : «لا إله إلا الله ويل للعرب من شر قد اقترب » ، ويشير النبي - صلى الله عليه وسلم - بهذا إلى ما يجرى بين المسلمين من خلاف بعده . وروى أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال :

افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة ، وافترق النصارى على اثنتين وسبعين فرقة ، وستفترق أمتي على ثلث وسبعين فرقة ^(١) .

وما يحدى القول به أن الاختلافات الفقهية بين أممتي المسلمين في غير ما جاء به نص من الكتاب والسنة حسن ؛ لأنها في الحقيقة دراسة عبقة لهم الكتاب والسنة ودين الإسلام ، ومناقشات لحل

(١) روى هذا الحديث على اختلاف في متنه ، بعدة أسانيد ولكن حديث

افتراق أمتي لم يرو في صحيح البخاري ولا في صحيح مسلم .
من حاشية كتاب المتفق من الضلال «للغزالى» ، ص (١٢) .

المشكلات في طريق تطبيق القوانين الإسلامية ، فلو لم تكن هذه المناقشات السلمية لوقع المسلمين في ضيق وحرج .
وما يلزم أن أذكره أن الاختلافات في المذاهب الإسلامية كلها تقع تحت ثلات شعب : -

١- الاختلافات السياسية : وهي عبارة عن المحاولات التي دارت حول الإمامة والخلافة ، كما حصل من فرق الخوارج ، وفرق الشيعة وغيرهم .

٢- الاختلافات الفقهية : وهي عبارة عن المباحثات التي دارت حول المسائل الفرعية للإسلام من الفرائض والواجبات والأوامر والنواهي مثلما حصل من الإمام « أبي حنيفة » والإمام « مالك » والإمام « الشافعى » والإمام « أحمد بن حنبل » .

٣- الاختلافات العقائدية : وهي عبارة عن المناقشات التي دارت في الأساسات الإسلامية مثلما حصل بين المعتزلة ، والأشاعرة ، والматريدية ، وغيرهم .

ولاشك أن مبادئ كل هذه المذاهب واتباع جميع هذه الاختلافات كانت موجودة في عصر «شيخ الإسلام عبد الله الأنصاري» حتى أن بلاد العراق و«خراسان» كانت تعد مهدًا لتلك الاختلافات والمحاولات والمباحثات والمناقشات .

مجمل الآراء والاختلافات التي دارت حول القضاء ، والقدر

ورأى « عبد الله الانصارى » في البحث عن هما

قد ثبت أن مسألة القضاء والقدر موجودة في كل دين من الأديان السماوية ، وأن البحث والمناقشة حولها كما وجد في عصر النبي - صلى الله عليه وسلم - وبعده كذلك وجد قبله في الأديان السابقة .

روى عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه منع الصحابة عن البحث فيهما .

وقد ثبت عندي أن البحث في هذه المعضلة لم تكن حاجة إليه في عهد النبي - صلى الله عليه وسلم - لاستطاعته إقناع الناس بالوحى والمعجزات .

أما البحث حول هذه المعضلة بعد الرسول لرد الشكوك والانحرافات ، وتفهم الموضوع بحيث لا يفضى إلى المغالاة ولا يخرج عن الحدود فامر ضروري .

إذ يلزم على المسلمين أن يعلموا أن قضية القضاء والقدر ليست كما فهمها الجبرية ، لأنهم سلبا الإختيار والحرية عن البشر ، ولا بدرجة إنكار القدرة لها حيث لا دخل للقضاء والقدر في أعمال العباد عندهم .

فلمذا ذكر فيها يأتي بجمل الآراء التي دارت حول هذه المعضلة : -

١ - قول جمهور الحكماء : وهو أن قضاءه - تعالى - عبارة عن حمله - بما ينبغي أن يكون عليه الوجود حتى يكون على أحسن نظام وأكمل الانظام ، وهو المسمى عندهم بالعنایة التي هي مبدأ فيضان الموجودات من حيث جعلتها على أحسن الوجه وأكلها .

وأن قدر تعالى - عبارة عن خروج عليه وعナイته إلى الوجود العيني .
بأسبابها على الوجه الذي تقرر في القضاء .

٢ - قول بعض الحكماء : وهو أن قضاهم - تعالى - عبارة عن
عليه الإجمالي وإن قدره - تعالى - عبارة عن علمه التفصيلي .

٣ - قول «أبي البقاء» الذي ذكره في بحث الكليات :

وهو أن القضاء ثبوت صور جميع الأشياء في القلم الأعلى على
الوجه الكلى ، وهو الذي تسميه الحكماء بالعقل الأول .

وأن القدر هو حصول صور جميع الموجودات في اللوح المحفوظ
على وجه التفصيل ، وهو الذي تسميه الحكماء بالنفس الكلية .

٤ - قول المحقق «صدر الدين الشيرازي» .

الذى اختاره فى رسالته التى سماها بـ «إثبات البارى» - تعالى -
«وهو أن القضاء عبارة عن اقتضائه - تعالى - فى الأزل لما سيكون
عليه الأشياء على وجوده معينة مخصوصة منطبقه على ما هي عليه
فى الوجود .

وأن القدر هو حصول الأشياء فى الكون على وفق ما فى القضاء .

٥ - قول المحقق «الطوسى» الذى ذكره فى شرح الإشارات :

لما كان جميع صور الموجودات الكلية والجزئية التى لانهاية لها
حاصلة من حيث هى معقوله فى العالم العقلى بابداع الأول الواجب
إياها ، وكان إيجاد ما يتعلق بالمادة فى المادة على سبيل الإبداع ممتنعا ،
إذ المادة غير متأتية لقبول صورتين معا فضلا عن تلك الكثرة .

— ١٢٩ —

وكان الجود الإلهي مقتضياً لتكامل المادة بابداع تلك الصور فيها وإخراج ما فيها بالقوة من قبول تلك الصور إلى الفعل قدر بلطف حكمته زماناً مستمراً التجديد غير مستقر الاتصال تخرج فيه تلك الأهور من القوة إلى الفعل واحداً بعد واحد، فتصير الصور في جميع ذلك الزمان موجودة في موادها، والمادة كاملة بها.

وإذا تقرر ذلك فاعلم أنَّ القضاء عبارة عن وجود جميع الموجودات في العالم العقلي مجتمعة وبجملة على سبيل الإبداع. والقدر عبارة عن وجودها في مواردها الخارجية أو بعد حصول شرائطها مفصلة واحداً بعد واحد، كما جاء في التزيل في قوله —
عَزْ وَجْلَ —

وَإِنْ مَنْ شَاءَ إِلَّا عَنْدَهُ خَزَانَةٌ وَمَا نَزَّلَهُ إِلَّا بِقَدْرِ مَعْلُومٍ

والجوهر العقلية وما معها موجودة في القضاء والقدر مرة واحدة باعتبارين والجسمانية وما معها موجودة فيهما مرتين^(١).

٦ - قول «صاحب القبسات» الذي اختاره وبالغ في تفصيله وحاصله بالاختصار ما يأتى : -

وهو أنَّ القضاء عبارة عن نسبة الفاعلية للباري - جل شأنه - على حسب علمه وعنياته إلى العالم في مرتبة شخصيته الوحدانية الجملية والقدر نسبة فاعليته إلى العالم في مرتبة ترتيب الأركان وتفصيل الأعضاء .

(١) من حاشية كتاب ابن سينا المسمى بـ «الasharat و التنبهات ، النط السابع ص (٧٢٨ - ٧٢٩) لحقه د الطوسى » .

٧ — قول «الصوفية» :

وهو أن القضاء عبارة عن الفيض الأقدس الذي به حصلت الأعيان الثابتة واستعداداتها الأصلية في العلم الأزلي ، وأن القدر عبارة عن الفيض المقدس الذي به حصلت تلك الأعيان في الخارج بوازمهما ولو أحقرها.

٨ — قول «الإمام الرازى» ، الذى ذكره فى شرح النسط السابع من الإشارات وحاصله :

أن القضاء هو المعلول الأول؛ لأن القضاء هو الامر الواحد الذى يترتب عليه سائر التفاصيل

وأما القدر فهو عبارة عن سائر المعلولات والتفاصيل الصادرة عنه طولاً وعرضًا؛ لأنها بالنسبة إلى المعلول الأول تجرى مجرّد تفصيل الجملة.

٩ — قول الأشعري وجمهور أهل السنة :

وهو أن القضاء إرادةه — تعالى الأزلية المتعلقة بالأشياء على ما هي عليه فيها لا يزال .

وأن القدر عبارة عن إيجاده — تعالى — إياها على قدر مخصوص في ذاتها ، وصفاتها ، وأفعالها ، وأحوالها ، وأزمنتها ، وأسبابها العادية .

١٠ — قول الماتريدية :

وهو أن القضاء هو الخلق الراجع إلى التكوين ، والقدر هو التقدير ، أى جعل كل شيء على ما هو عليه^(١) .

(١) من كتاب اللمعة في تحقيق مباحث الوجود والمحدث والقدر وأفعال العباد تأليف «الشيخ إبراهيم»، المطبوع في مطبعة الأنوار بالقاهرة ص (٢٦ - ٢٢) كما توجد أيضًا هذه الآراء في كتب مختلفة من الفلسفة والكلام وقد أشرت إليها في كتابي الذي ألفته باللغة «البشتون»، وحملته وزارة المعارف الافغانية في المناهج الدرامية الافغانية.

يُظْمِرُ مِنْ كُلِّ مَا ذَكَرْتُ أَنَّ مَسْأَلَةَ الْقَضَاءِ وَالْقَدْرِ مُخَالِفَةٌ لِمَا تَتَصَوَّرُهَا
الْجَبَرِيَّةُ : وَهُوَ قَوْلُهُمْ أَنَّ الْعَبْدَ لَا فَعْلَ لَهُ وَلَا قَدْرَةَ وَلَا اخْتِيَارَ ،
فَلَا تَأْثِيرٌ وَلَا كَسْبٌ وَلَا فَرْقٌ بَيْنَ الاضْطَرَارِيِّ مِنْ أَفْعَالِهِ وَبَيْنَ الْاخْتِيَارِيِّ ،
فَإِذْنَنَ تَكُونُ إِضَافَةُ الْفَعْلِ إِلَيْهِ بِمِنْزَلَةِ أَضَافَةِ الْفَعْلِ إِلَى الْإِجْمَادَاتِ ، كَمَا يُقَالُ
«جَرْيُ النَّهْرِ» ، وَهَذَا مَحَالٌ .

وَقَدْ ثَبَّتَ آنَفَّا أَنَّ قَضِيَّةَ الْقَضَاءِ وَالْقَدْرِ لَا تَتَنَافَى مَعَ الْاخْتِيَارِ
وَالْكَسْبِ ، فَلَا تَتَعَارَضُ — الْأَمْرُ ، النَّهْرُ ، وَالثَّوَابُ ، وَالْعَقَابُ ،
وَالْوَعْدُ ، وَالْوَعِيدُ .

وَمِنَ الْمَنَاسِبِ أَنْ أَذْكُرَ أَنَّ الْاِخْتِلَافَ فِي مَسْأَلَةِ الْقَضَاءِ وَالْقَدْرِ
قَدْ وُجِدَ فِي جَمِيعِ مَرَاحِلِ التَّارِيخِ الإِسْلَامِيِّ الَّتِي سَبَقَتْ عَصْرَ
«عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيِّ» .

إِلَّا أَنَّهُ فِي عَهْدِهِ أَعْنَى الْقَرْنَيْنِ الرَّابِعِ وَالْخَامِسِ ، أَخْذَ الْفَسْكُرَ
فِي هَذِهِ الْمَشْكُلَةِ طَابِعًا آخِرَ حِيثُ اشْتَدَ وَعْنُفُ ، فَلَأجلِ ذَلِكَ قَالَ
«عَبْدُ اللَّهِ الْأَنْصَارِيِّ» : لَا تَبْحُثُوا فِي هَذَا الْمَوْضُوعِ إِلَّا بِقَدْرِ مَا جَاءَ
فِي الْكِتَابِ وَالسُّنْنَةِ ، وَفَوْضُوا غَايَةَ عَلَيْهِ إِلَى اللَّهِ — سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى — .

الشيعة « وَعَبْدُ اللَّهِ الْأَنْصَارِيِّ »

الشيعة مذهب من أقدم المذاهب السياسية الإسلامية ، وقد ظهر
الشيعة بهذه لهم في آخر عصر « عثمان » رضي الله تعالى عنه ،
ونما في عهد على — كرم الله وجهه — . لكن من غير أن يعمل على
تنميته ، لأنَّه لما وصل « على » — رضي الله عنه — إلى الخلافة ،
وأختلط مع الناس ، وتعامل معهم بأحسن المعاملة أعجبتهم مواهبه ،
وقوتها عليه ، وذكائه ، ودينه .

ولما اشتدت المظالم على أولاد «علي»، -- كرم الله وجهه -- في عهد الأمويين، وكثير نزول الأذى بهم ثارت دفائن محبتهم لأولاد «علي»، رضي الله تعالى عنه وذرية الرسول -- صلى الله عليه وسلم --.

اتفق «الشيعة» على أن «علي بن أبي طالب» هو الخليفة المختار، وأنه، أفضل الصحابة كامم، وينقسم الشيعة إلى قسمين : --
١ -- الشيعة الذين غالوا في تقدير علي وبنيه، ومنهم فرقه «السبئية»، المنسوبة إلى «عبد الله بن سباء» اليهودي الأصل الذي حاول فتنته المسلمين وتزييق وحدتهم، وفرقه «الغرائية»، وفرقه «الكيسانية» .

٢ - الشيعة المعتدلون والمقتصدون :

وقد اقتصر المعتدلون على تفضيله على كل الصحابة من غير تكفير أحد ومن غير أن يجعلوه في درجة النبي، أو فوقه، أو درجة التقديس التي يعلو بها على البشر .

ومن فرق الشيعة المعتدلة فرقه «الزيدية»، الذين هم أقرب فرق الشيعة إلى الاعتدال .

وفرقه «الأمامية»، الاثنين عشرية، الذين يوجد منهم كثير من الناس في بلاد «العراق»، و«إيران»، و«أفغانستان»، و«باكستان»، وغيرها من الدول الإسلامية^(١).

وما ينبغي أن يأخذ المسلمون الآن بين الاعتبار هو ما قاله السيد «جمال الدين الأفغاني» .

(١) من كتاب «تاريخ المذاهب الإسلامية»، ص (٦٣ - ٣٦).

«أن مسألة تفضيل الإمام»، على كرم الله وجهه على سائر الصحابة والانتصار له في قتال «معاوية» — رضي الله تعالى عنه — لو سلمنا أنه كانت لها فائدة في ذلك الزمن، لاحقاق الحق، وازهاق الباطل.

أما اليوم فنرى أن بقاء هذه النعرة، والتمسك بهذه القضية التي مضى أمرها ليس فيها إلا محض الضرر، وتفكيك عرى الوحيدة الإسلامية. وقضية التفضيل لو استحققت البحث بعد تلك الأجيال لكتفى أن يقال لحل أشكالها «إن أقصر الخلفاء الراشدين عمراً تولى الخلافة قبل أطواعهم عمراً»، فلو تولى الخلافة بعد النبي — صلى الله عليه وسلم — «علي بن أبي طالب» — كرم الله وجهه — لمات «أبو بكر» و«عمر» و«عثمان» رضي الله تعالى عنهم، ولم يتيسر لهم خدمة الإسلام والمسلمين^(١). فعلى هذا اتضح أن «شيخ الإسلام عبد الله الأنصاري»، إنما خالف الشيعة لإنحرافهم في حب علي — كرم الله وجهه — عن حده ومرتبته.

ومن المناسب أن أذكره أن جميع هذه الفرق كانت موجودة في عصر «شيخ الإسلام»، ولها نشاط كبير في الدسائس والمؤامرات الخفية، حتى حينما طرد «عبد الله الأنصاري» إلى مدينة «بلخ» ووصل إليها أراد الشيعة والمعزلة أن يقتلوه، فعرف الوالي لمدينة «بلخ» جمال الملك هذا الأمر وقام بدفعهم، وكما قال «شيخ الإسلام» في حقهم «لعنة الله على أهل غورجه وغرجستان وفلانه وطالقان، وهذا لأن هذه المناطق في عصره كان يعيش فيها أهل الشيعة والاعتزال.

(١) من كتاب «نابعة الشرق» السيد جمال الدين الأفغاني، ص (١٠٠).

المعزلة وعبد الله الانصارى

بدأت المعزلة في أواخر العصر الأموي، وشغلت الفكر الإسلامي في العصر العباسي الزمن الطويل. وقد وجد في المعزلة معزلة السياسية ومعزلة الفكر.

روى أن واصل بن عطاء ليس أول من سمي معزلياً بسبب اعتزاله «الحسن البصري»، لقوله «أنا لا أقول أن صاحب الكبيرة مؤمن مطلقاً، ولا كافر مطلقاً، بل هو في منزلة بين المزلتين، لا مؤمن ولا كافر»، بل يقصد هذا الاسم في تاريخ الإسلام إلى سنة (٥٣٥) حينها بدأت الفكرة السياسية، وامتنع عدد من الأكابر عن مبايعة علي، وبابايعه عدد عن طيب خاطرهم وعدد من وراء قلوبهم، وظل كثير منهم على الحياد، فتناقلت الألسنة أنهم اعتزوا الخصومة القائمة.

كما أن سعد بن أبي وقاص، وعبد الله بن عمر، ومحمد بن مسلمة، وأسامة بن زيد كانوا من حزب المحايدين، ورفضوا المقابلة ضد «علي - كرم الله وجهه»، كما رفضوا القتال في صفه وإن كانوا قد أعلنوا أنهم معه بقلوبهم، فأطلق عليهم اسم المعزلة.
وهذا الصنف هم معزلة السياسة.

وأما واصل بن عطاء وأضرابه فيمكن أن يسموا بمعزلة الفكر، وقد شغل هؤلاء بمجادلة الزنادقة والروافض والشنية والمشبهة والجسمة والكفرة والفجرة وأهل الأهواء، وذلك لأنه دخل في الإسلام طائف من المجوس واليهود والنصارى وغيرهم، وكانت رموزهم ممتلئة بكل ما في هذه الأديان من التعاليم التي جرت في فوسفهم مجرى الدم

فهُم مِنْ كَانَ يَظْهَرُ الْإِسْلَامُ خَوْفًا وَرَهْبَةً ، أَوْ رَجَاءً لِنَفْعٍ دُنْيَوِيٍّ ،
أَوْ لِقَصْدِ الْفَسَادِ وَالْإِفْسَادِ وَتَضليلِ الْمُسْلِمِينَ .

وَقَدْ أَخْذَتْ هَذِهِ الْفَرَقُ تَنْشُرَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ مَا يُشْكِكُهُمْ فِي عَقَائِدِهِمْ ،
فَظَاهَرَتِ الْمُجْسَمَةُ وَالرَّافِضَةُ وَالرَّانِدَةُ وَسَائِرُ فَرَقِ الْفَسَادِ ، وَتَنْشَرُوا
خَرَافَاتِهِمْ وَتَضْلِيلَاتِهِمْ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَأَيْضًا بَعْدَ مَا تَرَجمَتْ كُتُبُ الْمَنْطَقِ
وَالْفَلْسَفَةِ إِلَى الْعَرَبِيَّةِ أَخَذَ بَعْضُ الْمُعَادِنِ طَرَقَ اسْتِدْلَالَاتِهِمْ مِنْ
السُّفْسُطَةِ ، فَتَجَرَّدَتِ الْمُعْزَلَةُ فِي مَقَابِلَتِهِمْ لِلدِّفاعِ بِاسْمِ الدِّينِ .

مذهب المعتزلة

قال «أبو الحسن الخياط» في كتابه «الإنصار» :

لِيَسْ أَحَدٌ يَسْتَحِقُ اسْمَ الْاعْتَزَالِ حَتَّى يَجْمِعَ الْقَوْلَ بِالْأَصْوَلِ الْخَمْسَةِ :
الْتَّوْحِيدُ ، وَالْعَدْلُ ، وَالْوَعْدُ وَالْوَعْدُ ، وَالْمَنْزَلَةُ بَيْنَ الْمَنْزَلَتَيْنِ ، وَالْأَمْرُ
بِالْمَعْرُوفِ وَنَهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ ، فَإِذَا جَمِعَتْ فِيهِ هَذِهِ الْأَصْوَلُ فَهُوَ
مَعْتَزِلٌ .

١ - «التوحيد» :

الْتَّوْحِيدُ هُوَ نَسْبَةُ الْوَحْدَانِيَّةِ لِللهِ - تَعَالَى - بِحِيثُ يَنْزَهُ مِنَ الْعِيُوبِ
وَلَا يَشَارِكُهُ أَحَدٌ فِي صَفَاتِهِ السَّكَالِيَّةِ ، وَحَاصِلُ مَا قَالُوا فِي التَّوْحِيدِ :
هُوَ أَنَّ اللَّهَ - تَعَالَى - مَنْزَهٌ عَنِ جَمِيعِ الْعِيُوبِ وَالنَّقَائِصِ ، وَأَنَّ
جَمِيعَ صَفَاتِ السَّكَالِ فِي الْحَقِيقَةِ ، هُوَ ذَانِهِ الْأَحَدُ لَا يَشَارِكُهُ أَحَدٌ فِي
صَفَاتِهِ ، وَيَبْيَنُونَ عَلَى ذَلِكَ الْأَصْلِ اسْتِحْالَةَ رُؤْيَاةِ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ -
يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؛ لَا قِضَاءَ ذَلِكَ الْجَسْمَيَّةِ وَالْجَهَةِ ، كَمَا بَنَوْا عَلَيْهِ أَنَّ الصَّفَاتِ

- ١٣٦ -

ليست شيئاً غير الذات وإنما تعدد القدماء ، وبنوا أيضاً أن القرآن مخلوق لله - سبحانه وتعالى - لمنع تعدد القدماء ، وينفي كثيرون منهم صفة الكلام عن الله - تعالى - .

٢ - « العدل » :

قال « المسعودي » في عدل الله - جل جلاله - :

إن الله - تعالى - لا يحب الفساد ولا يخلق أفعال العباد ، بل هم يفعلون بالقدرة التي جعلها الله - تعالى - لهم وركبها فيهم ، وأنه - تعالى - لا يأمر إلا بما أراد ولم ينها إلا عما كره ، وأنه - تعالى - ول كل حسنة أمر بها وبرىء من كل سيئة نهى عنها ، ولم يكلفهم مالا يطيقون ولا أراد لهم مالا يقدرون عليه ، وإن أحداً لا يقدر على قبض ولا بسط إلا بقدرة الله - تعالى - الذي أعطاهم إياها ، وهو المالك لها دونهم ي Finchها إذا شاء ، ولو شاء لجبر الخلق على طاعته ومنعهم اضطراراً عن معصيته ، ولكنه لا يفعل ؛ إذ كان في ذلك رفع للمحنة وإزالته للبلوى ^(١) .

وقد ردوا بهذا الأصل على الجبرية الذين قالوا : إن العبد في أفعاله غير مختار ، فعدوا العقاب على ذلك يكون ظلماً ؛ إذ لا معنى لأمر الشخص بأمر هو مضطر إلى فعله .

ولما بنوا على ذلك الأصل أن الإنسان خالق لأفعال نفسه ولا حظوا في ذلك تنزيه الله - تعالى - عن العجز ، فقالوا : إن هذا بقدرة أو دعم الله - في العباد ؛ ليتم التكليف .

(١) أصل النص من كتاب « مروج الذهب » ، وذكره كتاب تاريخ المذاهب الإسلامية في ص (١٥١) .

٣ - «الوعد والوعيد» :

المعزلة يعتقدون بأن الوعد والوعيد من الله - تعالى - لا محالة ،
فوعده بالثواب وقبول التوبة النصوح واقع ، ووعيده بالعقاب واقع أيضا .

فن أحسن بجازى بالإحسان إحسانا ، ومن أساء بجازى بالإساءة
عذابا أليما ، فلا عفو عن كبيرة من غير توبه ، كما لا حرمان من
ثواب من عمل خيرا ، وفي هذا رد على « المرجئة » ، الذين قالوا .

لا يضر مع الإيمان معصية ، كما لا تنفع مع الكفر طاعة ؛ إذ
لو صح هذا لكان وعيد الله - تعالى - في مقام اللغو - تعالى الله -
عما يقولون علوا كبيرا .

٤ - «المنزلة بين المزلتين»

بين « الشيرستاني » رأى « واصل بن عطاء » في المنزلة بين
المزلتين أنه قال :

إن الإيمان عبارة عن خصال خير إذا اجتمعت سمي المرء مؤمنا
وهو اسم مدح ، والفاشق لم يستكمل خصال الخير ولا استحق اسم
المدح ، فلا يسمى مؤمنا وليس هو بكافر مطلقا أيضا ؛ لأن الشهادة
وسائر أعمال الخير موجودة فيه لا وجه لانكارها . لكنه إذا خرج
من الدنيا على كبيرة من غير توبه ، فهو من أهل النار خالدا فيها ،
إذا ليس في الآخرة إلا فريقيان : « فريق في الجنة وفريق في السعير ».
لكنه يخفف عنه العذاب .^(١)

(١) من كتاب الملل والنحل للإمام الشيرستاني تحرير الأستاذ بدران ص (٥٢) .

والمعزلة مع اعتقادهم أن العاصي من أهل القبلة يقررون بأنه في منزلة بين المزليتين ، ويرون أنه لا مانع من أن يطلق عليه اسم المسلم تميزه عن الظاهرين لا مدحا ولا تكريما ، وأنه في الدنيا يعامل معاملة المسلمين ؛ لأن التوبة له مطلوبة والمدح لها مرجوة ، كما قال « ابن أبي الحديد » في ذلك .

إنا وإن كنا نذهب إلى أن صاحب الكبيرة لا يسمى مؤمنا ولا مسلما نجيز أن يطلق عليه هذا اللفظ إذا قصد به تميزه عن أهل الذمة وعابدي الأواثان .

٥ - « الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر » .

فقد اتفق المعزلة على هذا الأصل وقررها أن على المؤمنين أجمعين نشر دعوة الإسلام ، وهداية الضالين ، ودفع هجوم الذين يحاولون تلبيس الحق بالباطل ؛ ليفسدوا على المسلمين أمر دينهم ، ولذا تصدوا أمام سيل « الزندقة » ، في أوائل العصر العجمي .

وروى أن المعزلة كانوا معتمدین على العقل ، ويحكمون بحسن الأشياء وقبحها عقلا ، وكأنوا يقولون المعرف كلها معقوله بالعقل واجبة بنظر العقل ، وشکر المنعم واجب قبل ورود السمع ، والحسن والقبح صفتان ذاتيتان للحسن والقبح .

قال « الجبان » :

كل معصية كان يجوز أن يأمر الله - سبحانه - بها فهى قبيحة للنهى ، وكل معصية لا يجوز أن يبيحها الله سبحانه - فهى قبيحة لنفسها ، وكذلك كل ما جاز أن لا يأمر الله به فهو حسن الأمر

به ، وكل ما لم يجز أن لا يأمر الله - تعالى - به فهو حسن لنفسه .

وقد بنوا على هذا ما قرروه من أن فعل الصلاح والأصلح واجب لله - تعالى - ؛ إذ أَنَّ ما دام في الأشياء حسن ذاتي وقبح ذاتي ، فستتحيل أن يأمر الله - تعالى - بفعل ما هو قبيح لذاته وينهى عن فعل ما هو حسن لذاته ، وإن الله - سبحانه - لا يترك الأمر الحسن لذاته ، وذلك عبارة عما يسمى بـ فعل الصلاح ، كما قال جمورهم .

إن الله - تعالى - لا يصدر عنه إلا ما فيه الصلاح ، فالصلاح واجب له ، ولا شيء مما يفعله - جلت قدرته - إلا وهو صالح ، ويستتحيل عليه - سبحانه - أن يفعل غير الصالح^(١) .

أهم ما حدث من المعزلة

لا شك أن المعزلة جادلوا بقوية الفصاحة ، والبرهان ، والدليل ، والمنطق ، والفلسفة في مقابلة المحسوس ، والفنوية ، والجبرية ، وأهل الأهواء ، والسوفسيطانية .

مثلاً روى صاحب كتاب « سرح العيون » ، محادثة « إبراهيم النظام » ، تلميذ « أبي الهزيل » ، مع « صالح بن عبد القدوس » ، الذي كان « سوفسيطانياً » ، يشك في كل شيء وينكر حقائق الأشياء ، فيقول .

إن صالح بن عبد القدوس قد مات له ولد فضى إليه « أبو الهزيل » العلاف ، و « النظام » معه - وكان غلاماً حدثاً وتابعاً له ، فرأى « أبو الهزيل » ، « السوفسيطاني » ، محترقاً ، فقال له « أبو الهزيل » .

(١) من كتاب « تاريخ المذاهب الإسلامية » ، ص (١٥٣ - ١٥٤) . كما توجد أيضاً هذه المطالع في ملخص الكتب التي تشرح آراء المعزلة .

— ١٤٠ —

لا أدرى لجذرك وجها إذا كان الناس عندك كالزرع ، فقال « صالح » .

يا « أبو المزيل » إنما أجزع عليه ؛ لأنه لم يقرأ كتاب الشكوك .

فقال : « أبو المزيل » وما كتاب الشكوك ؟ .

قال : كتاب وضعته من قرأه شك فيها كان ، حتى يتوهّم أنه لم يكن ، وفيها لم يكن حتى يتوهّم أنه كان .

قال « النظام » : فشك أنت في موت ابنك واعمل على أنه لم يمت وإن مات ، وشك أيضاً في إيه قرأ هذا الكتاب ولم يكن قد قرأ ،^(١)

يظهر من هذا أن المعزلة لم يكونوا في الأوائل منحرفين كل الانحراف لكنهم بعدها افتقروا إلى عشرين فرقة وجماع كل فرقة بخلافات وانحرافات كثيرة حتى أنزلوا في عصر قدرتهم على أهل الحديث والفقه مخناً كثيرة خصوصاً على الإمام « أحمد بن حنبل » ، في مسألة خلق القرآن الكريم ، ويعد ذلك الخلاف لإحدى المسائل التي صارت موجبة لفشل المسلمين ، وضياع وقتهم فيما لا يعني ، كما قال بعض العلماء أن الاختلاف في مسألة خلق القرآن وقدمه يرجع إلى النزاع اللغظي ، والتزاع اللغظي لا يليق بشأن العقولاء .

نعم : وصل الاختلاف في مسألة خلق القرآن الكريم إلى حد المزل ، كما روى أنه دخل مضحوك اسمه « عبادة » على « الواثق » ، فقال .

يا أمير المؤمنين أعظم الله أجرك في القرآن .

(١) من كتاب « تاريخ المذاهب الإسلامية » ، ص (١٦٨) .

فقال ، الواثق ، : والك القرآن موت ؟

قال يا أمير المؤمنين : كل مخلوق يوم ، ثم قال : بالله يا أمير المؤمنين من يصلى بالناس التراويف إذا مات القرآن فضحك ، الواشق .
وقال : قاتلك الله أمسك .

روى أن « الواثق » رجع في آخر حياته عن إزال الحنة بمن لا يرى هذا الرأي؛ إذ دخل عليه يوم شيخ من نزلت بهم الحنة لعدم قولهم بخلق القرآن، فقال له « أحمد بن أبي دؤاد » الذي كان من كبار علماء المعتزلة، ويحكم على الذين لا يقولون بخلق القرآن الكريم.

ذلك الأمر شيء لم يدع إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أبو بكر ، ولا عمر ، ولا عثمان ، ولا علي ، وتدعوا أنت الناس إليه ، فلييس يخلو الأمر أن تقول : عاملوه أو جهلوه ؟ فإن قلت علموه وسكتوا عنه ، فيبوعسى وإياك السكوت مثلما كان بوسع القوم .

وإن قات جهلوه وعلمه أنت فيالـكع بن لـكع يجهـل النـبـي - صـلـى اللهـ عـلـيهـ وـسـلـمـ - وـالـخـلـفـاءـ الرـاشـدـونـ - رـضـىـ اللهـ عـنـهـمـ - شـيـئـاـ تـعـلـمـهـ أـنـتـ ، فـلـامـاـ سـمـعـ «ـ الـوـاـقـقـ »ـ ، ذـلـكـ وـثـبـ منـ مـجـلسـهـ ، وـعـفـاـ عـنـ الشـيـخـ ، وـرـجـعـ عـمـاـ كـانـ يـفـعـلـ كـاـرـوـيـ عـنـهـ اـبـهـ ، المـتـدـىـ ، أـنـهـ رـجـعـ .

• المسائل التي خالف فيها (عبد الله الانصارى) المعنزة ، :

وَمَا يُلْزِمُ أَنْ ذَكْرَهُ هُنَا أَنَّ «الْمَعْتَزَلَةَ»، كَانُوا مُوجُودِينَ بِكَثِيرٍ
فِي عَصْرِ «عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيِّ»، فِي «خَرَاسَانَ»، وَمِدِينَةِ «هَرَاءَ»،
وَحَوْلِيهَا وَسَاعِرِ الْبَلَادِ، وَأَنَّهُ كَانَ مُخَالِفًا لِآرَاهُمْ وَفَقِيْهَا إِلَيْهِمُ الْإِمَامُ

، أَحْمَدُ بْنُ حِنْبَلٍ ، لَهُمْ . وَمِنْ جَمِيلَةِ تَلْكَ الْمَسَائِلِ الَّتِي كَانَ مُخَالِفًا فِيهَا
لِآرَائِهِمُ الْمَسَائِلُ الْآتِيَةُ : -

١ - مَسَأْلَةُ صَفَاتِ اللَّهِ ؛ لَأَنَّ «عَبْدَ اللَّهِ الْأَنْصَارِي» يُعْتَقِدُ بِصَفَاتِ
اللَّهِ - تَعَالَى - مِثْلُهَا جَاءَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنْنَةِ .

٢ - مَسَأْلَةُ أَفْعَالِ الْعَبَادِ ؛ لَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَرَى أَنَّ يَكُونَ الْعَبْدَ مُخَالِفًا
لِأَفْعَالِهِ وَيُقْرَرُ بِإِخْتِيَارِ الْعَبْدِ .

٣ - مَسَأْلَةُ «الْمُعْصِيَةِ الْكَبِيرَةِ» ؛ لَأَنَّهُ كَانَ لَا يَرَى أَنَّ يَكُونَ
صَاحِبُ الْكَبِيرَةِ فِي مَنْزِلَةِ بَيْنِ الْمَنْزَلَتَيْنِ بِحِيثُ لَا يَكُونُ مُؤْمِنًا وَلَا كَافِرًا
وَيَفْوَضُ أَمْرَ الْعَفْوِ عَنِ الْكَبِيرَةِ إِلَى اللَّهِ - تَعَالَى - .

٤ - مَسَأْلَةُ «الاعْتِمَادُ عَلَى الْعُقْلِ» ، وَمَا يَتَرَبَّعُ عَلَيْهِ ؛ لَأَنَّهُ لَا يَعْتَمِدُ
عَلَى الْعُقْلِ فَقَطْ وَمُخَالِفٌ أَيْضًا لَا يَتَرَبَّعُ عَلَى الاعْتِمَادِ عَلَى الْعُقْلِ .

٥ - مَسَأْلَةُ خَلْقِ الْقُرْآنِ الْمَكْرِيمِ «كَمَا سَنَوْخَهُ فِيهَا بَعْدَ فِي آرَائِهِ
وَآرَاءِ الْإِمَامِ «أَحْمَدَ بْنَ حِنْبَلٍ» رَحْمَهُ اللَّهُ - تَعَالَى - .

٦ - كَانَ «عَبْدُ اللَّهِ الْأَنْصَارِي» مُخَالِفًا عَوْمَمَا لِلإِخْتِلَافَاتِ فِي
الْمَسَائِلِ الْكَلَامِيَّةِ الْعَوِيْصَةِ الْخَارِجَةِ عَنْ حَدُودِ الْكِتَابِ وَالسُّنْنَةِ ، فَلِأَجْلِ
هَذَا قَامَ «شِيَخُ الْإِسْلَامِ» بِمُخَالَفَةِ الْمُعْتَزَلَةِ ، وَشَدَّ الدِّكْرَ عَلَيْهِمْ .

«الأشاعرة وعبد الله الأنصاري»

قَدْ قَلَنَا فِيهَا سَبْقُ أَنَّ الْمُعْتَزَلَةَ فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ كَانُوا يَدْافِعُونَ عَنِ
الْإِسْلَامِ ، لَكِنَّ مِنْ سُوءِ الْحَظِّ وَجَدَ يَدِيهِمُ التَّشَتِّتُ ، وَالْأَنْحرَافُ
عَنِ الْحَقِّ ، وَالْأَفْرَاطُ وَالتَّفْرِيْطُ ، حَتَّى صَارُوا سَبِيلًا لِشَقَاءِ الْفَقِيمَاءِ

والمحذفين ، ولم يسلم من حملتهم فقيه معروف أو محمدث مشهور إلى أن جاء عصر «المتوكل» ، وفك قيود العلماء ، فلأجل ذلك جاد لهم «أبو الحسن الأشعري» .

وقد ولد «أبو الحسن الأشعري» في «البصرة» سنة (٥٢٦) وتوفي سنة نيف وثلاثين وثلاثمائة بعد الهجرة، وكان تلميذاً لـ «أبي علي الجبائني» المعزلي المعروف، وكان «الأشعري» لنصاحته وقوته استدللاه يتولى الجدل نائباً عن شيخه، ولقد نال من ثمرات التفكير المعزلي، ثم وجد ميلاً إلى آراء الفقهاء والحدّثين؛ ولذا عَكَف في بيته مدة وأذن فيها بين أدلة الفريقيين، ثم بعد الموازنة خرج إلى الناس، فناداهم بالاجتماع إليه، ورقى المنبر يوم الجمعة في المسجد الجامع في «البصرة»، وقال:

«أيها الناس من عرفني فقد عرفني ، ومن لم يعرفي فأنا أعرفه بنفسي
أنا ، فلان» بن «فلان» ، كنت أقول بخلق القرآن ، وأن الله - تعالى -
لا يرى بالأبصار ، وأن أفعال الشر أنا أفعلها ، فأنا تائب ، مقلع ،
متصد للرد على المعتزلة ، مخرج لفضائحهم : معاشر الناس . . . إنما
تغيبت عنكم هذه المدة ، لأنني نظرت ، فـ كافأت عندي الأدلة ،
ولم يتراجع عندي شيء على شيء ، فاستشهدت الله - تعالى - بهـ فـ
إلى اعتقاد ما أودعه كتبـ هذه ، وانخلعت من جميع ما كنت اعتقادـ على
خلاف طريقة الجماعة من الفقهاء والمحدثين اـ هـ .

وقد جاء في مقدمة كتابه «الإبانة»، بعد أن حمد الله - تعالى -،
وأني عليه ما يأتى :

أما بعد : فإن كثيرا من المعزلة وأهل القدر مالت بهم أهوافهم إلى التقليد لرؤسائهم ومن مضى من أسلافهم . فتأولوا القرآن على آرائهم تأويلا لم ينزل الله - تعالى - به سلطانا ، ولا أوضح به برهانا ، ولا نقلوه عن رسول رب العالمين ، ولا عن السلف المتقدمين ، بخالفوا رواية الصحابة عن النبي - صلى الله عليه وسلم - في رؤيته بالأبصار ، وقد جاءت في ذلك الروايات من الجهات المختلفة ، وتوارت الآثار ، وتتابعت الأخبار .

وأنكروا شفاعة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، وردوا الرواية في ذلك عن السلف المتقدمين ، ووجهوا عذاب القبر وأن الكفار في قبورهم يعذبون ، وقد أجمع على ذلك الصحابة والتابعون . ودانوا بخلق القرآن نظيرًا لقول إخوانهم من المشركين الذين قالوا : « إن هذا إلا قول البشر » ، فزعموا أن القرآن كقول البشر . وأثبتوا وأيقنوا أن العباد يختلفون الشر نظيرًا لقول المجوس الذين يثبتون خالقين : أحدهما يخلق الخير والآخر يخلق الشر . وزعموا أن الله - عز وجل - يشاء مالا يكون ويكون مالا يشاء خلافا لما أجمع عليه المسلمون من أن ما شاء الله كان وما لا يشاء لا يكون ، وردا لقول الله - تعالى - :

« وما تشاءون إلا أن يشاء الله » ، ولقوله - تعالى - « ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها » ، ولقوله - تعالى - : « فعال لما يريد » ، ولقوله مخبرا عن شعيب ، أنه قال : « وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا » .

— ١٤٥ —

ولذا سماهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - «جوس هذه الأمة»؛
لأنهم دانوا بديانة المحوس وضاهوا أقوالهم ، وزعموا أن للشر والخير
خالقين . كما زعمت المحوس ، وأنه يكون من الشر مالا يشاء الله كما
قالت المحوس ، وزعموا أنهم يملكون الضر والنفع لأنفسهم ردًا
لقول الله - تعالى - :
«قل لا أملك لنفسي ضرًا ولا نفعًا إلا ما شاء الله» .

وانحرافًا عن القرآن وعما أجمع عليه المسلمين ، وزعموا أنهم ينفردون
بالقدرة على أعمالهم دون ربهم ، وثبتوا لأنفسهم غنى عن الله - عز وجل - ،
وصفوا أنفسهم بالقدرة على مالم يصفوا الله بالقدرة عليه ، كما ثبت
المحوس للشيطان من القدرة على الشر مالم يثبتوه الله - عز وجل - ،
فكأنوا جوس هذه الأمة؛ إذ دانوا بديانة المحوس ، وتمسّكوا
بأقوالهم ، ومالوا إلى أضاليلهم ، وقنطوا الناس من رحمة الله ،
وآيسوهم من روحه .

وحكموا على العصاة بالنار والخلود خلافا لقول الله - تعالى - :
ويغفر مادون ذلك لمن يشاء» ،

وزعموا أن من دخل النار لم يخرج منها خلافا لما جامت به الرواية
عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بما معناه «أن الله - عز وجل -
يخرج من النار قوما بعد ما صاروا حمما» .

ودفعوا أن يكون الله - عز وجل - وجه مع قوله - تعالى - :
«ويبيق وجه ربك ذو الجلال والإكرام» ، وأنكروا أن يكون الله
يدان مع قوله - تعالى - «لما خلقت بيدي» .

وأنكروا أن يكون الله عين مع قوله - تعالى - « تحرى بأعيننا ، وقوله - تعالى - « ولتصنع على عيني » .

ونفوا ماروى عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « أن الله ينزل إلى السماء الدنيا » ، وقد قال « الأشعري » :

« قولنا الذى نقول وديانتنا التى ندين بها هو المتسك بكتاب الله وسنة نبئه - صلى الله عليه وسلم - ، وبما روى عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث ، ونحن بذلك معتصمون ، وبما كان عليه « أحمد بن حنبل » - نصر الله وجهه - » .

وقد سلك « الأشعري » في الاستدلال على العقائد مسلك النقل ومسلك العقل ، فهو يثبت ما جاء في القرآن الكريم : الحساب والعقاب والثواب ، ويتجه إلى الأدلة العقلية والبراهين المنطقية يستدل بها على صدق ما جاء في القرآن والسنة عقلاً بعد أن وجّب التصديق بها كما هي نقلًا ، فهو لا يتخذ من العقل حاكماً على النصوص لبيوتها ، أو يمضى على ظاهرها ، بل يتخذ العقل خادماً لظواهر النصوص ويويدها ، وفي الحق أنه قد ضعف شأن المعزلة في القرن الثالث والقرن الرابع الهجري ، فلما ضعف شأنهم لابد أن يكون بين علماء الإسلام من يتصدى للرد على أهل الأهواء ، وعلى الذين يهاجرون الإسلام ، فتقدم « أبو الحسن الأشعري » لذلك العمل بعد أن زالت دولة المعزلة ، وقد نال « الأشعري » بذلك منزلة عظيمة ، وصار له كثير من الأنصار ، ولقى من الحكماء تأييدها ونصرة ، فتعقب خصومه من المعزلة وأهل الأهواء والكفار ، وبث أنصاره في الأقاليم ، ولقبه أكثر علماء عصره « يمام أهل السنة والجماعة » (١) .

(١) من كتاب تاريخ المذاهب الإسلامية ص (١٩١ - ١٩٤) .

أسباب الخلاف بين الأشاعرة و «عبد الله الأنصاري»

وما يلزم أن أذكره أن «الأشعرى» وإن كان يتبع مذهب الإمام «أحمد بن حنبل» لكن جاء منه ومن أتباعه بعض مالا يوافق مذهب الإمام «أحمد بن حنبل»، وأيضاً اشتهر عن «الأشعرى» كثير من الآراء التي تسبيت في الجدل الكبير، وهذه الآراء عبارة عما يأتي : -

١ - أن «الأشعرى» بحث في المسائل السلالمية العویصة بالعقل والاستدلال مع أن العقل عند المحدثين لا اعتماد عليه ، وأن العقيدة في قوتها وصفاتها لا تحتاج إلى الدلائل العقلية السخيفة .

٢ - أن «الأشعرى» وإن كان يدعى أنه يستخدم الأدلة العقلية لإثبات النقل إلا أن ذلك الفكر ساقه أخيراً إلى التأويل ، فأول ما ورد في الكتاب والسنّة من الألفاظ الموهمة للتشبّه مثل اليمد في «يد الله فرق أيديهم» بالقدرة كما أوردها «المعزّلة» .

٣ - «قال ابن حزم» إن رأى «الأشعرى» في أفعال العباد حيث يلزم من قوله أنه لا يثبت للعباد اختيار كان مثل رأى «الجبرية» .

٤ - عدد «ابن حزم» رأيه في مركب الكبيرة أنه قريب لرأى «المرجئة» .

٥ - جاء بعد الأشعرى بعض أتباعه باسم مذهبه بأراء من عند أنفسهم ، كما جاء «أبو بكر الباقلاني» المتوفى سنة (٤٠٢ھ) ، فأوجب على الناس اتباع مذهب «الأشعرى» حتى اتبع ماسقه «الأشعرى»

من المقدمات في الاستدلال على المسائل الكلامية ، ولذلك خالفة « الغزالى » أشد الخالفه .

٦ - اشتهر بين الناس عن « الأشعرى » الآراء التي رد « القشيرى » - في رسالته - (١) انتسابها إليه ، وتلك الآراء عبارة عمما يأتى : -

(أ) الرسول بعد موته لم يكن رسولا .

(ب) أن المكافآت والجزاءات من الله - تعالى - لم تكن لإطاعة العباد وعدم إطاعتهم .

(ج) أن موسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام لم يسمع صوت الله - تعالى - .

(د) القرآن الكريم ليس هو عبارة عما عندنا في الأوراق والمجلدات .

(هـ) عامة الناس الذين لهم عقيدة التقليد كافرون .

فالأجل ذلك خالف « شيخ الإسلام عبد الله الانصارى ، الأشاعرة ، الموجودين في عصره مختلفة شديدة .

(١) فليرجع إلى المجلد الثاني من كتاب « التبيين » لـ « ابن عساكر » ، والمجلد الثاني من كتاب « الطبقات » للسبكي .

«الماتريدية وعبد الله الأنصاري»

الماتريدية هم أتباع «محمد بن محمد بن محمود» المعروف بـ«منصور الماتريدي» الذي ولد بما ترید وهي محلة بسميرقند فيما وراء النهر، وقد ثبت أنه توفي سنة (٥٢٢هـ) في العصر الذي كانت المعزلة فيه ينالون غضب الشعب جزاء ما أنزلوا بالفقماء والمحظيات في الثالث الأول من هذا القرن نفسه، ولا يعرف بالضبط عصر ولادته لكن يقال:

إنه ولد حوالي منتصف القرن الثالث ، وقد ثبت أنه تلقى الفقه الحنفي وعلم الكلام على «نصر بن يحيى البخاري» المتوفى سنة (٢٦٨هـ) ، وقد عاش «الماتريدي» في زمن كان السباق فيها لنتائج الفكر والعقل ، وكان حنفي المذهب ، وقد بلغت جولاته في أصول الدين إلى حد يشار إليه بالبنان ، وكانت له رحلات إلى البصرة للمناظرة في العقائد بلغت نحو اثنين وعشرين رحلة ، وقد نقل عن «أبي حنيفة» رسائل صغيرة في هذا العلم هي : «الفقه الأكبر» ، و«الفقه الأبسط» ، ورسالة «أبي حنيفة» إلى «عمان النبي» ، ووصيته رحمة الله تعالى - عنه لشيمته «يوسف بن خالد السمعي» ، و«كتابه» ، العلم برا ، وبحرا ، وشرقا ، وغربا ، وبعدا ، وقربا ، لكن في إثباتها له اشتباه ، والماتريدي ألف كتاباً كثيرة منها : كتاب «تأويل القرآن» ، وكتاب «أخذ الشرائع» ، وكتاب «الجدل» ، وكتاب «رد أوائل الأدلة» ، للكعبي ، وكتاب «رد تهذيب الجدل» ، للكعبي ، وكتاب «رد الأصول الخمسة» ، لـ «أبي محمد الباهلي» ، وكتاب الإمامة بعض الروافض» ، و«الرد على القرامطة» .

منهج الماتريدي :

لاشك أن «الأشعرى» و«الماتريدى» كلّيما يحاولان إثبات العقائد
التي وردت في الكتاب والسنة بالعقل والبراهين المنطقية لكن
«الماتريدى» أعطى للعقل سلطاناً أكثر مما أعطاه «الأشعرى» مثلاً
كلّا هما قال :

معرفة الله - تعالى - واجبه بالشرع ، ثم قال «الماتريدي» اتباعاً لنهج أبي حنيفة ، العقل يدرك هذا الوجوب ، وهو الأشعرى ، لا يقر بذلك ؛ لأن الأشاعرة لا يعتبرون للأشياء حسناً ذاتياً يدركه العقل من غير أمر الشارع ، و«الماتريدي» يعتبرون للأشياء حسناً ذاتياً يدركه العقل .

الحق أن الخلاف بين «الأشاعرة» و«الماتريدية» ليس كبيراً كما قال «الإمام الشيخ محمد عبده» في تعليقاته على «العقائد العضدية» :

أن الخلاف بين «الماتريدية» و«الأشاعرة» لا يتجاوز عشر مسائل داهه.

المسائل الخلافية بين «الماتريديّة» و«المعزلة» و«الأشاعرة»

ولما كان من ذكر بعض الاختلافات التي دارت بين «الماتريديه» و«المعزلة»، و«الأشاعرة» يحصل لنا التعرف على دوافع انكار «عبد الله الانصارى» وكراهيته للاختلافات «الكلامية»، فإننا نخاطب شرحها كما يأتى : -

١ - قال «الماتريدي» :

معرفة الله - تعالى - يمكن أن يدرك العقل وجوبها كما أمر الله - تعالى - بالنظر في ملائكة السموات والأرض ووجوبهم إلى أن العقل لو اتجه اتجاهها مستقىً ما خالياً من الهوى والتقليل يصل إلى الإيمان بالله - تعالى - ومعرفته ، فذلك تحقيقاً للنصوص القرآنية ، وترك النظر يكون أهلاً لها ، وعدم اعتبار العقل سبيلاً لمعرفة الله - تعالى - يكون تعطيلاً للنتائج التي رتبها سبحانه - تعالى - على الناظر ، فلو كانت المعرفة لا تترتب على الناظر لكان ذلك قطعاً للنتائج التي قرر الله - تعالى - أنها نتائج للنظر لكن مع أن العقل يمكن أن يستقل عند «الماتريدي» بمعرفة الله - تعالى - ، كما هو رأي «أب حنيفة» لا يجوز أن يستقل بمعرفة الأحكام التكليفية؛ لأن الوجوب لا يكون إلا من يملك الإيجاب ، وما يملك الإيجاب هو الله - تعالى - .

٢ - يثبت «الماتريدي» للأشياء حسناً وقبحاً ذاتياً ، وأن العقل عندهم يستطيع أن يدرك حسن بعض الأشياء وقبحها ، وأن الأشياء عندهم ثلاثة أقسام :

(أ) أشياء يستطيع العقل البشري إدراك الحسن فيها.

(ب) القبح فيها.

ج - أشياء يصعبهم وجه الحسن ووجه القبح فيها ، ولا يعرف الأمر فيها من حيث الحسن والقبح إلا من الشارع :

والمعزلة يقسمون الأشياء إلى هذه الأقسام أيضاً لكنهم يرتبون على التقسيم أن ما يدرك العقل حسنه يكون واجب الفعل بتكليف

العقل ، وما يدرك العقل قبحه يكون منها عنه . والماتريدي تبعا للإمام «أبي حنيفة» يقول :

ومع أن العقل يدرك الحسن والتقييم لكن العقل لا يمكن أن يستغل بالتكليف الديني فقط ؛ إذ الحكم في التكليف الديني هو الله - تعالى - و«الأشعرى» لا يرى للأشياء حسنة ذاتيا أو قبحا ذاتيا ، بل يقول :

إن التحسين بأمر الشارع والتقييم بنوى الشارع ، فالحسن حسن ؛ لأن الله أمر به ، والقبح قبح ، لأن الله - تعالى - نهى عنه .

٣ - يرى «الأشاعرة» أن أفعال الله - تعالى - لا تعلم ، لأنها لا يسأل عنها يفعل ، وهم يسألون ، وقال «المعتزلة» .

إن الله - تعالى - يعمل الأعمال معللا بمقاصد وأغراض ، لأنه حكيم لا يصدر عنه فعل جزافا ، بل قدر كل شيء تقديرًا ، ثم يصلون من هذا إلى القول بوجوب الصلاح والأصلاح ، فإنه بمقتضى أن الأشياء لها حسن ذاتي وقبح ذاتي ، وبمقتضى أن الله - تعالى - لا يفعل إلا ما يكون فيه حكمه ، فستحيل أن يأمر بغير الصالح ، وأن ينهى عن الصالح ، فيجب له الصلاح ، ويجب له الأصلاح .

و«الماتريدي» يخالف الفريقين ، فيقول :

إن الله تعالى منزه عن العبث ، وأن أفعاله - سبحانه وتعالى - تكون على مقتضى الحكمة ، لأن الله حكيم العليم ، كما وصف نفسه ، فاذن هو - جل شأنه - في حكمه التسلبي ، وفي أفعاله التسليبية قد أراد هذه الحكمة وقصدها . لكنه - تعالى - غير مجبور عليها ، ولا ملزم بها ، لأنها مختار وفيمال لما يريد ، فلا يقال : أنه يجب عليه فعل الصلاح

أو الأصلح لأن الوجوب ينافي الاختيار والإرادة ، ويستلزم أن يكون لغيره حق عليه ، والله - سبحانه وتعالى - فوق عباده لا يسأل عما يفعل ، والوجوب عليه يقتضي أن يسأل عما يفعل - تعالى عن ذلك علواً كبيراً . ؟ - أجاز «الأشاعرة» أن يخلق الله - تعالى - الناس ولا يكفهم شيئاً ، إذ أن التكليف بارادة الله - تعالى - ، فيجوز أن يريد غيرها .

قال «الماتريدية» .

إرادة الله - تعالى - لحكمة اختارها ، ولا يريد - سبحانه - غير الحكمة التي قررها وأرادها ، وأيضاً أجاز «الأشاعرة» - بفرض عقل لا شرعى ونقل - أن الله - سبحانه وتعالى - يجوز له أن يعاقب الطائع ويثيب العاصي ، لأن إثابة الطائع بفضل رحمة ، وعقوبة العاصي بمحض إرادته ولا معقب له على ما يفعل وما يريد .

ويقول «الماتريدية» إن ثواب الطائع وعقاب العاصي لحكمة قصدها وإرادة أرادها ، إذ أن الله - سبحانه - حكيم عليم ، وكثيراً ما ذكر بعد العقاب والثواب وصفه بالحكمة ، كما قال الله - تعالى - :

والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله
وأله عزيز حكيم .

وأجاز «الأشاعرة» أن يخالف الله وعيده إجازة عقلية لا شرعية ، ومنع «الماتريدية» ذلك ، لأن الله - تعالى - وعد بمقتضى حكمته ، وقد قال - تعالى - .

«إن الله لا يخلف الميعاد» ، وعلى ذلك فلا خلف منه لافي الوعد ،
ولافي الوعيد .

- ١٥٤ -

هـ - اختلف «المعتزلة»، و«الأشاعرة»، و«الماتريدية»، في مسألة
الجبر والاختيار ، فالمعتزلة يقولون ،

إن العبد يخلق أفعال نفسه حتى يمكن أن يخاطب ويتم التكليف ،
وأن هذه القدرة التي بها يخلق أفعال نفسه هي من خلق الله - تعالى -
التي أودعها إياه .

والأشاعرة قالوا :

إن الفعل مخلوق الله - تعالى - ، والكسب من العبد ، وبالكسب
يكون التكليف ، ويكون الثواب ، ويكون العقاب .

والماتريدي يقول :

إن الله - تعالى - خالق الأشياء كلها ، فلا شيء في هذا الوجود إلا وهو
مخلوق الله - تعالى - لاشريك له - سبحانه - ، وإثبات الخلق لغيره إثبات
للسري克 ، وذلك غير معقول ولا مقبول ، ثم يقول أيضاً .

إن حكمة الله - تعالى - تقضى ألا يكون ثواب إلا للعبد اختيار
فيما يستحق عليه الثواب ، فلا عقاب بالأولى إلا فيما يكون للعبد فيه
اختيار ، وذلك فوق أنه مقتضى الحكمة هو مقتضى العدالة أيضاً ، ولكن
كيف يوفق بين اختيار العبد وبين كون الفعل بقدرة الله - تعالى -
ومخلوق له - سبحانه - ؟

فيقول «الماتريدي» في ذلك ما قاله «الأشاعري» .

إن العبد له الكسب وهو مختار فيه ، وبهذا الكسب يكون الثواب
والعقاب ، لكن سرعان ما يفترقان :

فالأشعرى يقرر أن ذلك الـكـسب هو الاقتـران بين الفعل الذى هو مخلوق لله - تعالى - واختـيار العـبد من غير أن يكون للعـبد تأثير في هذا الـكـسب ، وعلى ذلك يكون الـكـسب مخلوق لله - تعالى - كالـفـعل نفسه . وقد قرر العـلمـاء أن ذلك الرأـي يؤـدى إلى الجـبر لا محـالة ، إذ لا معنى لاختـيار العـبد في العمل ، ولذلك يقولون :

إنه الجـبر المـتوسط ، ويـقول «ابن حـزم» و «ابن تـيمـية» «إنه الجـبر الـكـامل» .

أما الـكـسب عند المـاـتـريـدـى ، فإنه يكون بـقـدرـةـ أـوـدـعـمـاـ الله - سـبـحـانـهـ وـتـعـالـىـ - فـيـ العـبـدـ بـجـيـثـ يـسـتـطـيـعـ العـبـدـ أـنـ يـكـسـبـ الفـعـلـ بـقـدرـةـ مـخـلـوقـةـ فـيـهـ ، وـيـسـتـطـيـعـ أـنـ لـاـ يـكـسـبـ بـهـذـهـ الـقـدـرـةـ ، فـهـوـ حـرـ خـتـارـ فـيـ هـذـاـ الـكـسبـ إـنـ شـاءـ فـعـلـ وـإـنـ شـاءـ تـرـكـ ، وـبـذـلـكـ يـكـوـنـ الثـوابـ وـيـكـوـنـ الـعـقـابـ ، فـيـنـتـدـ لـاـ يـتـنـافـ كـوـنـ اللهـ خـالـقـاـ لـأـفـعـالـ الـعـبـادـ مـعـ اـخـتـيـارـهـ ، وـهـذـهـ الـقـدـرـةـ هـىـ الـاسـتـطـاعـةـ الـىـ بـهـ يـكـوـنـ التـكـلـيفـ عـنـدـ أـبـىـ حـنـيفـةـ ، وـتـكـوـنـ عـنـدـ الـفـعـلـ ؛ لـأـنـهـ الـقـدـرـةـ الـمـتـجـدـدـةـ الـخـادـةـ ، فـلـاـ يـلـزـمـ أـنـ تـكـوـنـ قـبـلـ الـفـعـلـ .

وـالـمـعـزـلـةـ قـرـرـواـ أـنـ الـاسـتـطـاعـةـ تـكـوـنـ قـبـلـ الـفـعـلـ ؛ لـأـنـ التـكـلـيفـ وـالـخـطـابـ بـهـ يـكـوـنـ قـبـلـ الـفـعـلـ لـاـ بـعـدـهـ .

٦ - نـفـيـ المـعـزـلـةـ الصـفـاتـ ، وـقـالـواـ لـاـشـىـ غـيرـ الذـاتـ ، وـأـنـ المـذـكـورـ فـيـ الـقـرـآنـ مـثـلـ قـوـلـهـ - تعالى - عـلـيـمـ ، وـخـبـيرـ ، وـحـكـيمـ ، وـسـمـيعـ ، وـبـصـيرـ هـوـ أـسـمـاءـ لـهـ - تعالى - .
وـأـثـبـتـ الـأـشـاعـرـةـ ، الصـفـاتـ وـقـالـواـ :

إِنَّهَا شَيْءٌ غَيْرُ الدَّازِ فَأَثْبَتُوا الْقُدْرَةَ، وَالْإِرَادَةَ، وَالْعِلْمَ، وَالْحَيَاةَ،
وَالسَّمْعَ، وَالبَصَرَ، وَالْكَلَامَ، وَقَالُوا: إِنَّهَا شَيْءٌ غَيْرُ الدَّازِ .^(١)

وَأَثْبَتَ «الماتريدي» أَيْضًا هَذِهِ الصَّفَاتَ لِسَكْنِهِ قَالَ:

لَيْسَتْ شَيْئًا غَيْرُ الدَّازِ، فَهِيَ لَيْسَ صَفَاتٍ قَائِمَةً بِذَاتِهَا وَلَا مُنْفَكِّةً
عَنِ الدَّازِ، فَلَيْسَ هَذَا كَيْنَوْنَةً مُسْتَقْلَةً عَنِ الدَّازِ، حَتَّى يَقُولَ: إِنْ تَعْدُهَا
يُؤْدِي إِلَى تَعْدُدِ الْقَدْمَاءِ .

٧ - أَنْكَرَ «الْمُعَزَّلَةُ»، أَنْ يَكُونَ اللَّهُ - تَعَالَى - صَفَةً اسْمَهُ الْكَلَامُ
تَكُونُ مُسْتَقْلَةً عَنِ الدَّازِ، وَقَالُوا:

إِنَّ الْقُرْآنَ مُخْلُوقٌ، وَنَحْجُ «الْأَشَاعِرَةِ»، فِي هَذِهِ الْقَضِيَّةِ مِنْهُجُ الْفَقِيهِ
وَالْمُحَدِّثِينَ، وَقَالُوا:

إِنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللَّهِ - تَعَالَى - وَهُوَ غَيْرُ مُخْلُوقٍ، وَإِنْ لَمْ يَصْرِحُوا
بِأَنَّهُ قَدِيمٌ .

وَقَالَ «الماتريديَّة» .

إِنَّ كَلَامَ اللَّهِ - تَعَالَى - هُوَ الْمَعْنَى الْقَائِمُ بِذَاتِهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -
وَصَفَةٌ مِنْ صَفَاهُ مُتَصَلَّةٌ بِذَاتِهِ قَدِيمَةٌ بِقَدْمِ الدَّازِ غَيْرُ مُؤْلَفَةٌ مِنْ حُرُوفٍ
وَلَا كَلَمَاتٍ؛ لَأَنَّ الْحُرُوفَ وَالْكَلَمَاتَ مُحَدَّثَةٌ وَالْحَادِثُ لَا يَقُولُ بِالْقَدِيمِ
الْوَاجِبُ الْوُجُودُ، لَأَنَّ الْحَادِثَ عَرَضٌ مِنَ الْأَعْرَاضِ وَالْعَرَضُ لَا يَقُولُ
بِذَاتِهِ - تَعَالَى - .

(١) وقد كتب ملا أحمد الجندي .. في حاشيته على شرح العقائد النفسية تحت
قول النسفي «والأشاعر» إلى نفي غيريتها وعينيتها، أى قدماه الأشاعرة وأما المتأخر من
هم فذهبوا إلى مغايرتها .

٨ - يقرر «الماتريدي»

تنزيه الله - تعالى - عن الجسمية وعن المكان والزمان ويقف من الآيات التي تشتمل على أوصاف خبرية بأن الله - سبحانه - وجلها ويدا وعينا إلى آخره موقف المؤول ، ويسير على مبدأه وهو حمل المتشابه من القرآن على الحكم ، فيفسر قوله - تعالى - «ثم استوى على العرش» بأنه يحتمل أن يكون قاصد إليه ، وخلقه سويا مستقيما مستقرا ، ويفسر قوله - تعالى - «ونحن أقرب إليه من حبل الوريد» بأنه إشارة إلى سلطانه ، وكامل قدراته ، وهكذا يقول كل خبر فيه ما يوهم التشبيه ، أو «التجسم» ، أو «المكان» ، أو «الزمان» .

أما «الأشعرى» فقد روى عنه رأيان :

أحدهما ما ذكره في «الإبانة» ، من أنه لا يقول ، بل يقول إن الله يدا لا نعلمها ، ولكنها لا تشبه يد المخلوق؛ إذ يقول - سبحانه وتعالى - «ليس كمثله شيء» .

والآخر ذكره في «اللمع» ، وهو أن هذه الآيات التي فيها ما يوهم التشبيه تحمل على الحكم كما سلك «الماتريدي» .

٩ - نفي «المعزلة» رؤية الله - تعالى -؛ لأن الرؤية تقتضي مكاناً للرأي ومكاناً للمرأى ، فتقتضي لامحالة أن يكون الله - تعالى - مكان ، والله - تعالى - منه عن أن يكون في مكان ، وأن يعيشه تقلب الزمان «وأثبت» «الأشعرى» ، و«الماتريدي» رؤية الله - تعالى - يوم القيمة؛ لأن النصوص التي وردت تثبت الرؤية مثل قوله - تعالى -

«وجوه يوهند ناضرة إلى ربه ناظرة» ، ويجيب «الماتريدي» ، «عما ألم به» «المعزلة» ، بأن رؤية الله - تعالى - يوم القيمة هي من أحوال

القيامة ، وأحوال القيمة قد اختص علم الله - تعالى - بـ كيفيتها وأحوالها ، وفوق ذلك ، فإن المعتزلة يقيسون رؤية الله تعالى ، على رؤية الأجسام ، أي يقيسون رؤية ما ليس بجسم على رؤية الجسم ، وذلك قياس مع الفارق ، وقياس الغائب على الشاهد يصح إذا كان الغائب من جنس الشاهد أما إذا لم يكن من جنسه فالقياس لا يستوفي أركانه ، وعلى ذلك يقرر الرؤية ، ويقرر أنها من أحوال القيمة ، فمن حاول معرفة كيفيتها سلباً أو إيجاباً ، فقد تعدد حده وطلب ما ليس له به علم قال الله تعالى : « ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفهم كل أولئك كان عنده مسؤولاً » .

١٠ - أجمع علماء المسلمين على أن المؤمن لا يخلد في النار لكن اختلفوا في أن المؤمن الذي لا يخلد في النار هو من؟ .
قال « الخوارج » مرتکب الذنب صغيراً أو كبيراً كافر لا مسلم ولا مؤمن .

وقال « المعتزلة » مرتکب الكبيرة لا يعد مؤمناً ، وإن كان يعد مسلماً ، فإذا لم يتتب توبه نصوها يخلد في النار لكن عذابه يكون أخف من عذاب من لم يؤمن بالله ورسوله .
لا يخرج « الأشاعرة » و « الماتريدية » من يرتكب المعاصي صغيرة أو كبيرة عن دائرة الإيمان ، وإن كان له حساب وعقاب ، وقد يتغمده الله برحمته ، ويقول « الأشاعرة » و « الماتريدية » .

إن مرتکب الكبيرة لا يخلد في النار ولو مات من غير توبه ، فعلى ذلك الاختلاف يقولون :
إن « الخوارج » و « المعتزلة » يعدون العمل جزءاً من الإيمان ، و « الأشاعرة » و « الماتريدية » لا يعدون العمل جزءاً من الإيمان .
قال « الماتريدي » مستدلاً على أن مرتکب الكبيرة لا يخلد في النار

ولو مات من غير توبة ، بـأَنَّ اللَّهَ - تَعَالَى - قَدْ بَيْنَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ
أَنَّهُ لَا يَجْزِي عَلَى السَّيِّئَةِ إِلَّا بِمُثْلِهَا ، فَقَالَ - تَعَالَى -

« وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يَجْزِي إِلَّا مُثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ » .

وَلَا شَكَ أَنَّ مَنْ لَا يَكْفُرُ بِاللَّهِ وَلَا يُشْرِكُ بِهِ يَكْوُنُ ذَنْبَهُ دُونَ
ذَنْبِ الْكَافِرِ وَالْمُشْرِكِ ، وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ - تَعَالَى - التَّخْلِيدَ عَقْوَبَةَ الشَّرِكِ
وَالْكُفُرِ ، فَلَوْ عَذَبَ صَاحِبُ الْكَبِيرَةِ مَعَ وُجُودِ التَّصْدِيقِ مُثْلُ عَذَابِ
الْكَافِرِ لَكَانَتْ عَقْوَبَتِهِ زَانَةً عَلَى قَدْرِ ذَنْبِهِ ، وَهَذَا خَلْفٌ فِي الْوَعْدِ ،
وَاللَّهُ - تَعَالَى - لَا يُظْلِمُ الْعِبَادَ ، وَلَا يَخْلُفُ الْوَعْدَ ، ثُمَّ الْمَسَاوَةُ فِي الْجَزَاءِ
بَيْنَ الْكَافِرِ وَالْمُؤْمِنِ الْعَاصِيِّ مَا يَخْالِفُ حَكْمَةَ اللَّهِ - تَعَالَى - وَعْدَ لَهُ ؛
لَأَنَّ الْمُؤْمِنَ الْعَاصِيَ قَدْ جَاءَ بِمَا هُوَ أَعْظَمُ الْخَيْرِ وَهُوَ الإِبَانَ ، وَلَمْ يَأْتِ
بِأَقْبَحِ الشَّرِ وَهُوَ الْكُفُرُ فَلَوْ خَلَدَهُ اللَّهُ فِي النَّارِ أَبْدًا لَجَعَلَ جَزَاءَ أَقْبَحِ الشَّرِ
بَدْلَ ثَوَابَ أَفْضَلِ الْخَيْرَاتِ ، وَمَقْتَضَى الْعِدْلِ وَالْحَكْمَةِ الْجَزَاءُ بِالْمُثْلِلِ
لَا بِالْزِيَادَةِ إِلَّا فِي الثَّوَابِ » ، ثُمَّ قَالَ - رَحْمَهُ اللَّهُ - تَعَالَى :

وَالْحَقُّ فِي أَصْحَابِ الذُّنُوبِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ تَفْوِيضُ أَمْرِهِمْ إِلَى اللَّهِ
- تَعَالَى - إِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُمْ فَضْلًا مِنْهُ وَإِحْسَانًا وَرَحْمَةً ، وَإِنْ شَاءَ
عَذَبَهُمْ بِمَقْدِرِ ذُنُوبِهِمْ فَلَا يَخْلُدُونَ فِي النَّارِ ، فَيَكُونُ أَهْلَ الْإِيمَانِ بَيْنَ
الرِّجَاهِ وَالْخَوْفِ ، فَيُجُوزُ لَهُ - تَعَالَى - الْعِقَابُ عَلَى الصَّغِيرَةِ وَالْعَفْوُ عَنِ
الْكَبِيرَةِ ، كَمَا قَالَ اللَّهُ - تَعَالَى -

إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرِكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ
يُشْرِكُ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَى إِلَيْهَا عَظِيمًا » (١)

(١) مِنْ كِتَابِ تَارِيخِ الْمذاهِبِ الْإِسْلَامِيَّةِ ص (٢٠٧ - ٢٢٣) مَعَ بَعْضِ
التَّغْيِيرِ الْفَقْطِيِّ .

وَمَا يلزم أَنْ ذَكْرَهُ هُوَ أَنْ بِلَادَ «خَرَاسَانَ»، كَافِتَ مُثْلُ الْمَدِّ
لِمَذْهَبِ «الْمَاتَرِيدِيِّ»، وَكَانَ فِي عَصْرِ «عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيِّ»، كَثِيرٌ مِّن
النَّاسِ فِي مَدِينَةِ «هَرَةَ»، وَسَائِرُ مَدِينَاتِ «خَرَاسَانَ»، وَ«أَفْغَانِسْتَانَ»،
يَعْتَقِدُونَ مِذْهَبَ الْإِيمَامِ «الْمَاتَرِيدِيِّ»، وَقَدْ عَرَفْنَا سَابِقًا أَنَّ هَنَاجَ
«الْمَاتَرِيدِيِّ»، أَعْطَى لِلْعُقُولِ سُلْطَانًا كَبِيرًا وَيَحْاولُ، فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ
الْكَرِيمِ وَشَرْحِ الْأَحَادِيثِ، مَا اسْتِطَاعَ: أَنْ يَحُولَ الْمُتَشَابِهِ إِلَى الْمُحْكَمِ،
حَتَّى أَنَّهُ فِي مَعْرِفَةِ اللَّهِ - تَعَالَى - يَقُولُ بِأَنَّهُ مَصْدِرًا آخَرَ أَيْضًا غَيْرِ
النَّقْلِ وَهُوَ الْعُقْلُ، فَيَنْجُدُ «الْمَاتَرِيدِيِّ» يَعْتَرِفُ بِأَنَّ النَّقْلَ مَصْدِرٌ،
وَالْعُقْلُ أَيْضًا مَصْدِرٌ.

وَلَا كَانَ ذَلِكَ الرَّأْيُ خَالِفًا لِآرَاءِ الْمُحَدِّثِينَ الَّذِينَ لَا يَعْتَمِدُونَ عَلَى
الْعُقْلِ وَيَخْشَوْنَ عَلَيْهِ الزَّالِ خَالِفٍ «عَبْدَ اللَّهِ الْأَنْصَارِيِّ»، «الْمَاتَرِيدِيِّ»،
وَاسْتَدِلُّ فِي الْمَسَائلِ الْأَعْتَقَادِيَّةِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنْنَةِ، وَأَثَبَتَ مَا ثَبَّتَ عَنْهُ
مِنَ الْعِقِيمَةِ إِلَيْهَا لِلْأَوَّلِينَ، وَأَظْهَرَ أَسْرَارَ الْمَنَاهِجِ الَّتِي بُنِيتَ عَلَى
الْاعْتِمَادِ عَلَى الْعُقْلِ فِي الْمَسَائلِ الْأَعْتَقَادِيَّةِ، ثُمَّ كَشَفَ النَّقَابَ عَنِ الْمَفَاسِدِ
الَّتِي حَصَّلَتْ مِنْ تِلْكَ الْاحْتِلَافَاتِ الْفَلَسُوفِيَّةِ وَالْمَنْطَقِيَّةِ وَالْكَلَامِيَّةِ
فِي تَضَعِيفِ الْعِقِيمَةِ إِلَيْهَا الْحَالَةُ، فَأَعْلَمَ أَنَّ أَكْثَرَ الْمُبَاحِثِ
الْكَلَامِيَّةِ فِي عَصْرِهِ بَدْعَةٌ وَفَتْنَةٌ فِي إِلَيْسَامٍ، وَحاوَلَ أَنْ يَبْيَنِ عَقِيدَتَهُ
عَلَى مِذْهَبِ الْإِيمَامِ «أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلَ».

«الْإِيمَامُ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ حَنْبَلٍ» وَ«عَبْدُ اللَّهِ الْأَنْصَارِيِّ»

لَمَا كَانَ «عَبْدُ اللَّهِ الْأَنْصَارِيِّ» أَعْلَمَ أَنَّ مِذْهَبَهُ هُوَ مِذْهَبُ الْإِيمَامِ
«أَحْمَدَ» لَزِمَّ عَلَيْنَا أَنْ نُعرِضَ إِجْمَالًا لِحَيَاةِ الْإِيمَامِ «أَحْمَدَ» وَآرَاهُ لِكِ
نَعْرُفُ أَيْ مَنْهَجَ اتَّبَعَ «عَبْدُ اللَّهِ الْأَنْصَارِيِّ».

حياة الإمام «أحمد بن محمد بن حنبل» :

ولد «أحمد بن حنبل» في شهر ربيع الأول سنة (١٦٤ هـ) في «بغداد» وتوفي في سنة (٢٤١ هـ) وكان جده واليًا على ولاية «سرخس» من ولايات خراسان، وكان أبوه قائدًا من قواد المسلمين. وقد وجده «أحمد» منذ صباه إلى الدراسة الإسلامية، فحفظ القرآن الكريم، وأخذ يدرس العربية، والحديث، وآثار الصحابة والتابعين، وسيرة النبي – صلى الله عليه وسلم –، وسيرة صحابته المقربين والتابعين، وقد اشتهر بين الأقران بالتفوي والصبر واحتمال المكاره، ولعل ذلك من فرط اعتماده على نفسه واحساسه بالاستقلال النفسي.

ولقد اتجه إلى الفقه الجامع بين الرواية والدرائية، تم اختياره أن يكون محدثًا، فطلب علم الحديث والفقه من الأساتذة العظام، وكان في جملتهم «أبو يوسف» تلميذ «أبي حنيفة» رحمة الله تعالى – ولقد التق لأول مرة بالإمام «الشافعى» – رحمة الله تعالى – في المسجد الحرام بمكة سنة (١٨٧ هـ)، ثم التق به بعد ذلك في مدينة «بغداد» عندما جاء إليها لينشر مذهبه. وقد حج خمس مرات قاصدًا للحج وطلب حديث النبي – صلى الله عليه وسلم –.

ولقد طاف «أحمد بن حنبل» في الأقاليم الإسلامية طلباً للعلم بحيث أنه كان يحمل حقائب كتبه على ظهره، ورد رحمة الله تعالى – مرة على جواب من كان معترضاً عليه ومستكتراً ما حفظ وما كتب وما روى : مرة إلى السكوفة، ومرة إلى البصرة ! إلى متى ؟ فقال رحمة الله – تعالى – .

♦ مع الخبرة إلى المقبرة ♦ .

وروى أنه كان يعرف اللغة الفارسية، ويتحدث بها أيضاً، وكان في عصر الإمام «أحمد بن حنبل»، رحمه الله تعالى. «يوحنا» الدمشقي يبيث بين علماء النصارى في البلاد الإسلامية طرق المناظرات التي تشكل المسلمين في دينهم، وينشر بين المسلمين الأكاذيب عن نبيهم، فكثير في عصره الكلام في العقائد، حتى من غير التزام باتباع الكتاب والسنة، بل خاضوا في أمور حول العقيدة مثل الخبر والاختيار، ومثل الكلام في أسماء الله تعالى المذكورة في القرآن «أهي صفات الله تعالى - غير الذات؟ أو هي والذات شيء واحد؟

وهل الكلام من صفات الله - تعالى - ؟ ثم هل القرآن قديم؟ أو هل القرآن مخلوق؟ وغير ذلك مما كان يخوض فيه العلماء الذين سموا بعلماء الكلام، ويعدهم من أهل الزيف.

ومن سوء الحظ أنَّه كان في ذلك العصر على رأس الحكومة العباسية «عبد الله المأمون بن الرشيد» الذي يعد نفسه من المعزلة وعالماً من علماءها، فيعقد المناظرات؛ لتأييد مذهب الاعتزال، ويشير المناوشات حول كون القرآن مخلوقاً أو غير مخلوق؟، حتى اتجه في آخر حياته إلى إكران العلماء من الفقهاء والمحدثين على ذلك القول ومن هنا نزلت المحنة بالإمام «أحمد بن حنبل»، حتى سجن واستمر في محبسه ثمانية وعشرين شهراً، وفي هذه المدة أخذوا يضربونه بالسياط مرة بعد أخرى، ولم يترك في كل مرة إلا بعد أن يغمى عليه، فلما استيقنوا منه، وأنه لن يرجع إلى القول بخلق القرآن الكريم أطلقوا سراحه وأعادوه إلى بيته، ثم بعد مدة عاد إلى الإفناه، كما كان حتى

جاء عصر «الواثق»، فنفعه من الإجتماع بالناس والتحدث إليهم والفتوى، حتى مات «الواثق» فلما جاء «المتوكل» رفع المخنثة، وقرب الفقهاء، والمحذفين وطرد المعزلة، وأخرجهم من القوة التي كانوا فيها.

آراء أهل السنة وآراء الإمام «أحمد بن حنبل»

لما كان للإمام «أحمد بن حنبل» وأهل السنة آراء بمقابلة آراء الخالفين أردت ذكر أهمها فيما يأتى :

(الاعتقاد) والإقرار بـ«الله وملائكته وكتبه ورسله، وبما جاء من عند الله، وما رواه الثقات عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لا يردون من ذلك شيئاً، وأن الله - سبحانه - إله واحد فرد صمد، لا إله غيره ، لم يت忤ذ صاحبة ولا ولدا ، وأن محمداً عبده ورسوله - وأن الجنة حق، وأن النار حق وأن الساعة آتية لا ريب فيها ، وأن الله يبعث من في القبور .

(الاعتقاد) والإقرار بـ«أن الله - سبحانه - على عرشه ، كما قال : «الرحمن على العرش استوى» .

وأن له يدين بلا كيف ، كما قال : «خلقت بيدي» ، وكما قال : «بل يداه مبسوطةان» .
وأن له عينين بلا كيف ، كما قال : «تجرى بأعيننا» .

وأن له وجه كما قال : «ويق وجه ربك ذو الجلال والإكرام» .
وأن أسماء الله لا يقال أنها غير الله ، كما قالت المعزلة والخوارج ، وأقرروا أن الله - سبحانه - علما كما قال : «أنزله بعلمه» ، وكما قال : «وما تحمل من أشي ولا تضع إلا بعلمه» .

وأثبتو له - تعالى - السمع والبصر ، ولم ينفوا ذلك عن الله كما
نفته المعذلة ، وأثبتو لله القوة ، كذا قال :

« أو لم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة » .
وقالوا : إنه لا يكون في الأرض من خير ولا شر ، إلا ما شاء الله ،
وأن الأشياء تكون بمشيئة الله ، كذا قال - عز وجل - :
« وما تشاءون إلا أن يشاء الله ، وكذا قال المسلمين : « ما شاء الله كان
وما لا يشاء لا يكون » .

وقالوا : إن أحدا لا يستطيع أن يفعل شيئاً قبل أن يفعله ، ولا يكون
أحد قادرآ بأن يخرج عن علم الله ، أو أن يفعل شيئاً علم الله أنه
لا يفعله .

وأقرّوا أنه لا خالق إلا الله ، وأن سمات العباد يخلقها الله ، وأن
أعمال العباد يخلقها الله - عز وجل - ، وأن العباد لا يقدرون أن
يخلقوا منها شيئاً .

وأن الله وفق المؤمنين لطاعة ، وخذل الكافرين ولطف بالمؤمنين
ونظر لهم وأصلاحهم وهداهم ، ولم يلطف بالكافرين ولا أصلاحهم ولا هداهم
ولو أصلاحهم لكانوا صالحين ، ولو هداهم لكانوا مرتدين ، وأن الله - سبحانه -
يقدر أن يصلح الكافرين ويلطف بهم ، حتى يكونوا مؤمنين ، ولكنه
أراد أن يكونوا كافرين كما علم ، وخذلهم ، وأضلهم ، وطبع على
قلوبهم .

وأن الخير والشر بقضاء الله وقدره ، ويؤمنون بقضاء الله وقدره
خيره وشره حلوه ومره ، ويؤمنون أنهم لا يمكنون لأنفسهم نفعاً

وَلَا ضرًا إِلَّا مَا شاءَ اللَّهُ كَمَا قَالَ ، وَيَلْجَنُونَ أَمْرَهُمْ إِلَى اللَّهِ - سُبْحَانَهُ -
وَيَنْبَغِي لِلْحَاجَةِ إِلَى اللَّهِ فِي كُلِّ وَقْتٍ ، وَالْفَقْرُ إِلَى اللَّهِ فِي كُلِّ حَالٍ .
وَيَقُولُونَ : إِنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللَّهِ غَيْرُ مُخْلُوقٍ ، وَلَا يَقُولُ : لِلْفَظِ الْقُرْآنِ أَنَّهُ
مُخْلُوقٌ ، وَلَا غَيْرُ مُخْلُوقٌ .

وَيَقُولُونَ : إِنَّ اللَّهَ - سُبْحَانَهُ - يَرَى بِالْأَبْصَارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، كَمَا يَرَى
الْقَمَرَ لِلَّهِ الْبَدْرُ ، يَرَاهُ الْمُؤْمِنُونَ وَلَا يَرَاهُ الْكَافِرُونَ ; لَا نَعْلَمُ عَنِ اللَّهِ
مُحْجُوبِيُّونَ ، قَالَ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - :

«كَلَّا لِإِنْهُمْ عَنِ رَبِّهِمْ بِوْمَئِذٍ لَمْ يَحْجُوُنَّ ، وَأَنْ مُوسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ -
سَأَلَ اللَّهَ - سُبْحَانَهُ - الرُّؤْيَا فِي الدُّنْيَا ، وَأَنْ اللَّهَ - سُبْحَانَهُ - تَحْكُمُ لِلْجَهَنَّمَ ،
فَعَلَهُ دَكَّا فَأَعْلَمُهُ بِذَلِكَ أَنَّهُ لَا يَرَاهُ فِي الدُّنْيَا ، بَلْ يَرَاهُ فِي الْآخِرَةِ .
وَلَا يَكْفُرُونَ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ الْقَبْلَةِ بِذَنْبٍ يَرْتَكِبُهُ كَمَنْحُوا الرُّبَّانِيَّةَ وَالسُّرْقَةَ
وَمَا أَشْبَهُ ذَلِكَ مِنَ الْكُبَّارِ ، وَهُمْ بِمَا مَعَهُمْ مِنَ الْإِيمَانِ مُؤْمِنُونَ وَإِنَّ
أَرْتَكُبُوا الْكُبَّارِ .

الْإِيمَانُ عِنْدَهُمْ هُوَ الْإِيمَانُ بِإِلَهٍ ، وَمِلَائِكَتِهِ ، وَكِتَابِهِ ، وَرَسُولِهِ ، وَبِالْقَدْرِ
خَيْرِهِ وَشَرِهِ ، حَلُوهُ وَمُرْهُ ، وَأَنْ مَا أَخْطَأْتُمُ لَمْ يَكُنْ لِي صِيرَتُهُمْ ، وَأَنْ
مَا أَصَابُهُمْ لَمْ يَكُنْ لِي خَطَّطُهُمْ^(١) .

وَالْإِسْلَامُ هُوَ : أَنْ يَشَهِدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنْ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ،
عَلَى مَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ ، وَالْإِسْلَامُ عِنْدَهُمْ غَيْرُ الْإِيمَانِ .

وَيَقُولُونَ بِأَنَّ اللَّهَ - سُبْحَانَهُ - مَقْلُوبُ الْفُلُوبِ ، وَيَقُولُونَ بِشَفَاعَةِ
رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ، وَأَنَّهَا لِأَهْلِ الْكُبَّارِ مِنْ أُمَّتِهِ ،

(١) لا يتعارض هذا القول بما يأتى بعد من أن الإيمان قول وعمل، لأن المراد هنا بيان ما يؤمن به بالاعتقاد.

وبعذاب القبر ، وأن الموت حق ، والصراط حق ، والبعث بعد الموت حق ، والمحاسبة من الله - عز وجل - للعباد حق ، والوقوف بين يدي الله حق .

ويقرون بأن الإيمان قول وعمل ، يزيد وينقص ، ولا يقولون : مخلوق ولا غير مخلوق ، ويقولون : أسماء الله هي الله ، ولا يشتمدون على أحد من أهل الكبائر بالنار ، ولا يحكمون بالجنة لأحد من الموحدين حتى يكون الله - سبحانه - ينزلهم حيث شاء ، ويقولون ، أمرهم إلى الله ، إن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم ، ويؤمنون بأن الله - سبحانه - يخرج قوما من الموحدين من النار ، على ماجامت به الروايات عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، وينكرون الجدل والمراء في الدين ، والخصوصية في القدر ، والمناظرة فيما يتناظر فيه أهل الجدل ويتنازعون فيه من أمر دينهم ، بالتسليم للروايات الصحيحة ولما جاءت به الآثار التي رواها الشفات عدلا عن عدل ، حتى ينتهي ذلك إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، ولا يقولون كيف ؟ ولا لم ؟ لأن ذلك بدعة ، ويقولون : إن الله لم يأمر بالشر ، بل نهى عنه ، وأمر بالخير ، ولم يرض بالشر وإن كان مريرا له .

ويعرفون حق السلف الذين اختارهم الله سبحانه ، لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم ، ويأخذون بفضائلهم ، ويمسكون بما شجر ينهم صغيرهم أو كبيرهم ، ويقدمون «أبا بكر» ، ثم «عمر» ، ثم «عثمان» ، ثم «عليا» ، رضوان الله عليهم .

ويقولون أنهم الخلفاء الراشدون المهديون ، أفضل الناس كاهم بعد النبي - صلى الله عليه وسلم - .

ويصدقون بالأحاديث التي جاءت عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

أَنَّ اللَّهَ - سُبْحَانَهُ - يَنْزِلُ إِلَى السَّمَاوَاتِ الْدُّنْيَا فَيَقُولُ : هَلْ مَنْ مُسْتَغْفِرٌ ؟
كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ، وَيَأْخُذُونَ
بِالْكِتَابِ وَالسُّنْنَةِ ، قَالَ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - :

«فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرْدُوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ» ، وَيَرَوْنَ أَنْبَاعَ
مِنْ سَلْفِهِمْ مِنْ أُمَّةِ الدِّينِ وَأَلَا يَبْتَدَعُوا فِي دِينِهِمْ مَمْلُكَةً يَأْذِنُ بِهِ اللَّهُ .

وَيَقْرُونَ أَنَّ اللَّهَ - سُبْحَانَهُ - يَحْيِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، كَمَا قَالَ :

«وَجَاهَ رَبَّكَ وَالْمَلَكَ صَفَا صَفَا» . وَأَنَّ اللَّهَ يَقْرُبُ مِنْ خَلْقِهِ كَيْفَ شَاءَ ،
كَمَا قَالَ :

«وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ» ، وَيَرَوْنَ أَدَاءَ العِيدِ وَالْجَمَادَةِ
وَالْجَمَاعَةِ خَلْفَ كُلِّ إِمَامٍ بِرٍّ وَفَاجِرٍ ، وَيَثْبِطُونَ أَنَّ الْمَسِحَ عَلَى الْحَفَّيْنِ
سَنَةً ، وَيَرَوْنَ أَنَّهُ فِي الْأَهْضَرِ وَالسَّفَرِ ، وَيَثْبِطُونَ فِرْضَ الْجِهَادِ مِنْذَ بُعْثَاثَ
اللَّهِ فَيْهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِلَى آخِرِ عَصَابَةِ تَقَاتَلَ الدِّجَالَ
وَبَعْدَ ذَلِكَ .

وَيَرَوْنَ الدُّعَاءَ لِأُمَّةِ الْمُسْلِمِينَ بِالصَّالِحِ ، وَأَلَا يَخْرُجُوا عَلَيْهِمْ بِالسِّيفِ ،
وَأَلَا يَقْاتِلُوا فِي الْفَتْنَةِ ، وَيَصْدِقُونَ بِخُروجِ الدِّجَالِ ، وَأَنَّ عِيسَى
ابْنُ مَرْيَمَ يُقْتَلُهُ .

وَيَؤْمِنُونَ بِعَنْكَرٍ وَنَكِيرٍ ، وَبِالْمَعْرَاجِ وَالرُّؤْيَا فِي النَّاَمِ ، وَأَنَّ الدُّعَاءَ
لِمُوتَى الْمُسْلِمِينَ وَالصَّدَقَةَ عَنْهُمْ بَعْدَ مَوْتِهِمْ تَصْلُ إِلَيْهِمْ .

وَيَصْدِقُونَ بِأَنَّ فِي الدُّنْيَا سُحْرَةً وَأَنَّ السَّاحِرَ كَافِرٌ ، كَمَا قَالَ اللَّهُ
- تَعَالَى - ، وَأَنَّ السُّحْرَ كَانَ مُوْجُودًا فِي الدُّنْيَا .

وَيَرَوْنَ الصَّلَاةَ عَلَى كُلِّ مَنْ مَاتَ مِنْ أَهْلِ الْقَبْلَةِ بِرَبِّهِ وَفَاجِرِهِ ،
وَمَوَارِثَهِمْ .

ويقرؤن أن الجنة والنار مخلوقان ، وأن من مات بأجله ، وكذلك من قتل قبل بأجله ، وأن الأرزاق من قبل الله - سبحانه - يرزقها عباده حلالا كانت أم حراما ، وأن الشيطان يوسم للإنسان ويشككه ويتخبطه ، وأن الصالحين قد يجوز أن يخضمهم الله بآيات تظهر عليهم ، وأن السنة لا تنسخ بالقرآن ، وأن الأطفال أمرهم إلى الله : لأن شاء عندهم وإن شاء فعل بهم ما أراد ، وأن الله عالم بما يفعله العباد ، ثم كتب أن ذلك يكون ، وأن الأمور بيد الله .

ويرون الصبر على حكم الله ، والأخذ بما أمر الله به ، والانتهاء مما نهى عنه ، وإخلاص العمل ، والنصيحة للمسلمين ، ويدينون بعبادة الله في العبادين ، والنصيحة لجماعة المسلمين ، واجتناب الكبائر ، والزنا ، وقول الزور ، والعصبة ، والفخر ، والكبر ، والازراء على الناس ، والعجب .

ويرون مجانة كل داع إلى بدعة ، والتشاغل بقراءة القرآن وكتابه الآثار ، والنظر في الفقه مع التواضع والاستكانة وحسن الخلق ، وبذل المعروف ، وكف الأذى ، وترك الغيبة والنميمة والسباحة ، وفقد المأكل والمشرب^(١) .

هذه جملة ما يعتقده ، ويقرره ، ويأمر به الإمام «أحمد بن حنبل» وأهل الحديث ، وتوجد هناك فرق تختلف في هذه المسائل بسبب ميل هذه الفرق إلى الفلسفة والمنطق والكلام ، ويتأنلون نصوص الكتاب والسنة .

(١) من كتاب «مقالات إسلاميين» ، واختلاف المسلمين «الأشمرى» ، ص ٣٢٠ - ٣٢٥ ، وكتاب «تاريخ المذاهب الإسلامية» ، ص (١٩٤ - ١٩٦) .

- ١٦٩ -

آراء الإمام «أحمد بن حنبل»
التي تمسك بها «عبد الله الأنصاري»

١ - رأيه في الإيمان :

لأشك أن العلماء في عصره ومن قبله قد خاضوا في حقيقة الإيمان .

فمنهم من قال :

إنه المعرفة ، ومنهم من قال :

إنه التصديق والإذعان ولا يزيد ولا ينقص ، ومنهم من قال :

إنه يزيد وينقص .

وقد روى عنه أنه قال :

الإيمان قول وعمل يزيد وينقص زيادته إذا أحسنت ، ونقصانه إذا
أساءت ، ويخرج الرجل من الإيمان إلى الإسلام فإن تاب رجع إلى الإيمان ،
ولا يخرجه من الإسلام إلا الشرك بالله العظيم ، أو يرد فريضة من الفرائض
جاحداً لها ، فإن تركها ثم اواناها وكسلام كان في مشيئة الله ، إن شاء
عذبه وإن شاء عفا عنه ، هو في هذا الرأى يعتمد على النصوص
وحدها ، ولا يخوض في أمور عقلية .

٢ - رأيه في الصفات :

أثبت الإمام «أحمد بن حنبل» لله - تعالى - كل ماجاء في القرآن
والاحاديث من صفات الله - تعالى - فهو يصف الله - تعالى - بأنه سميع ،
بصير ، متكلم ، قادر ، مريد ، عليم ، خبير ، لطيف ، عزيز ، حكيم ، ليس
كمثله شيء ، ويدرك كل ما وصف به الله - تعالى - ذاته من غير
محاولة تأويل ، وكذلك ماروى عن النبي - صلى الله عليه وسلم -

— ١٧٠ —

فهو لا يبحث عن كنه الصفات ولا عن حقيقتها ، ويعتبر التأويل خروجا على الكتاب والسنة .

٣ - «رأيه في القدر وأفعال الإنسان» :

روى أن من مساجد «أحمد بن حنبل» في دراسة مسائل الدين هو من مساجد السلف ، ولا يعتمد على العقل دون النقل ، فيقرر ما يقرره السلف ويكتفى بما كف عنه السلف ، وكذلك كان كلامه في القضاء والقدر وأفعال الإنسان ، ينطوي بما قرر السلف ولا يخوض في أمر عقلي لم يخوضوا فيه ، ولا يجادل ولا يماري ، كما قال في القدر :

«أجمع سبعون رجلا من التابعين وأئمة المسلمين وفقهاء الأمصار على أن السنة التي توفي عنها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الرضا بقضاء الله ، والتسليم لأمره ، والصبر تحت حكمه ، والأخذ بما أمر الله به ، والبعد عما نهى عنه ، والإيمان بالقدر خيره وشره ، وترك المراء والمجال والخصومات في الدين^(١) ، وهو يقرر وجوب الإيمان بالقدر خيره وشره ، ووجوب الطاعة ، ويظهر من كلامه أن القدر عنده لا ينافي التكليف والا ختيار في الطاعة ، وهو يقرر أيضا أن الله - تعالى - يعلم كل ما يفعله العباد ، ويريده ، ولا يمكن أن يقع في الكون مالا يريد .

٤ - «رأيه في مرتكب الكبيرة» :

رأى الإمام «أحمد بن حنبل» في مرتكب الكبيرة كرأى الفقهاء .

(١) من «المناقب» ص (١٧٦) .

وهو أنه ، أرجأ ما غاب عنه من الأمور إلى الله ، وفوض أمره إليه ، ولم يقطع بالذنوب العصمة من عند الله ، وعلم أن كل شيء بقضاء الله وقدره الخير والشر جميعاً ، ورجا لحسن أمة محمد وتحفظ على مسيئتهم ، ولم ينزل أحداً من أمة محمد الجنة بالإحسان ولا النار بذنب اكتسبه ، حتى يكون الله الذي ينزل خلقه حيث شاء .

يظهر منه أنه يرجحه أمر العصابة إلى الله - تعالى - وليسكن بتحفظ عليهم ، ويرد على المعزلة قولهم أن مرتكب الكبيرة ليس بمؤمن ، فيقول : فمن كان منهم كذلك فقد زعم أن آدم كفر وأن أخوة يوسف حين كذبوا أباهم كفار ،^(١) .

هـ - «رأيه في خلق القرآن» :

وقد ثبت أن الإمام وأحمد ما كان يرى الخوض في مثل هذه الأمور التي لم يخض فيها السلف الصالح - رضوان الله تبارك وتعالى عليهم - فلأجل ذلك قال بعض العلماء إنه كان متوقفاً في هذه المسألة ، وقال فريق آخر من العلماء إنه كان يرى أن القرآن غير مخلوق ، واستدلوا على ذلك ببعض العبارات التي وردت في رسالته التي كتبها إلى المتقول ، ولقد جاء فيها القول الآتي :

لقد روی عن غير واحد من مضى من سلفنا أنهم كانوا يقولون : القرآن كلام الله غير مخلوق ، وهو الذي أذهب إليه ، لست بصاحب كلام ولا أرى الملاكم في شيء من هذا إلا ما كان في كتاب الله أو في حديث عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أو عن أصحابه

(١) من «المناقب» ، ص (١٦٨) .

أو عن التابعين ، فاما غير ذلك فإن الكلام فيه غير محمود ، وعند النظر في التوفيق بين الرأيين يظهر لنا حقيقتيان :

أولاًهما - أن الإمام وأحمد ، رحمه الله تعالى . كان يتوقف عن القول بأن القرآن مخلوق أو غير مخلوق ؛ لأنَّه يرى أن ذلك بذلة من القول ، لكن لما كثر الكلام والاختلاف فيه ، وزالت عنه المحتنة فاختار ما رأه أسلم في نظره وهو أن يقول : إن القرآن ليس بمخلوق ، وليس معنى ذلك أنه قديم ، فإنه لم يؤثر . عنه أنه قال : لَأَنَّهُ قَدِيمٌ ، وَلَكِنْهُ احْتَرَزَ عَنْ أَنْ يَقُولَ إِنَّهُ مَخْلُوقٌ ؛ لَأَنَّهُ كَلَامُ اللَّهِ ، وَلَأَنَّهُ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ - تَعَالَى - ، وَلَأَنَّ اللَّهَ نَسَبَ إِلَيْهِ عَلَى أَنَّهُ مِنْ كَلَامِهِ وَمِنْ أَمْرِهِ .

ثانيهما - أنه ذكر في صدر رسالته إن «المأدون» الرويات الكثيرة عن النبي - صلى الله عليه وسلم - وعن الصحابة الكرام ، فقد روى عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال :

«لامار في القرآن فإن المراء فيه كفر» فثبت أنه يرى أن القرآن غير مخلوق ، لأنَّه لم يرد عن السلف أنهم قاتوا : إنه مخلوق ، ولأنَّه يتعلق بأمر الله ، وأمر الله غير خلقه ، ولكنَّه قديم ؟ وللإجابة على هذا السؤال أقول ، أن القرآن له زاهيتان :

أولاًهما - معانيه وهي متعلقة بعلم الله - تعالى - الأزلية ، فهى من علمه - تعالى - وعلمه قديم ، لأن صفات الله - تعالى - قديمة .

وثانيةهما - ما يتعلق بالفاظه وحروفه ، التي أرجح بها إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - عن طريق الروح الأمين «جبريل» ، وقد

قرأها للنبي ، وأقرأها النبي لاصحابه ، وهو لا ، بدورهم أقرؤها للتبعين .
وتوارث القراءة والاقراء بها ، فـ «ذه الألفاظ والحرف خلوقه الله
ـ تعالى . وكونها كذلك لا ينافي أن القرآن من عند الله وأنه معجزة
النبي - صلى الله عليه وسلم - الذي تحدى به المشركين في أن يأتيوا بهم مثله
أو بأقصر سورة من مثله فعجزوا .

هذه الآراء من الإمام «أحمد» قد أعجب بها «عبد الله الانصاري»
ولهذا نراه في كتبه ، وآثاره ، وتدریسه ، وتلقينه قد أيدها وتمسّك بها .

ويثبت مما ذكرت عن الإمام «أحمد بن حنبل» - رحمه الله تعالى -
أنه إمام صالح ، متمسّك بالكتاب والسنة ، ويحاول أن يتبع العقل
للنقل ، ويأخذ بالإطاعة والتسليم للكتاب والسنة أساساً ومنهاجاً في كثير
من المسائل الاعتقادية ، فـ «هذا الأساس والمهاجر هو الذي اختاره
«عبد الله الانصاري» ، وجادل به من خالفه من أهل الأهواء والبدع ،
وشنّرخ بالتفصيل فيما ياتي آرائه ، ومنهجه ، وكفاحه ضدّ أهل
الأهواء والبدع .

آراء «عبد الله الانصاري» التي تتعلق بالعقيدة والكلام

قد عرفنا فيما سبق أن «عبد الله الانصاري» يتبع ما جاء في الكتاب
والسنة على منهج الإمام «أحمد بن حنبل» ، ولا يعتمد على العقل ،
ولا على الاستدلال الفلسفى والمنطقى ، بل هو يبني عقيدته على ما جاء
في القرآن الكريم والحديث المبين ، ويرجح الآثار المنقولة عن الصحابة
والتبعين على القياس ، ويميل إلى أقوال أئمة الدين في كثير من المسائل
الاختلافية ، ولا يقول المتشابه بالتأويلات العقلية والكلامية ، ولا يعطي

الجواز لأحد أن يخوض في هذه المضلالات مخالفًا عما جاء به السلف الصالح، فلأجل هذا خاصم صراحته كل من كان مخالفًا لهذا المنهج.

عقيدة «عبد الله الأنصاري» بالله وصفاته

أسس «شيخ الإسلام» - وفقاً لمنهجه - عقيدة، بالله وصفاته طبقها جاء في الكتاب والسنة، كما أنه قد أورد في آخر كتابه «منازل السارين»، «باب التوحيد»، وذكر تحته: «قال الله - عز وجل -

شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْتَّوْحِيدُ تَبْرِيْهُ اللَّهُ - تَعَالَى - عَنِ الْمَحْدُثِ وَإِنَّمَا نَطَقَ الْعُلَمَاءُ بِمَا نَطَقُوا بِهِ وَأَشَارَ الْمُحَكَّمُونَ بِمَا أَشَارُوا إِلَيْهِ فِي هَذَا الطَّرِيقِ لِفَضْلِ تَصْحِيحِ التَّوْحِيدِ، وَالْتَّوْحِيدُ عَلَى ثَلَاثَةِ أُوْجَهٍ:-

الأول - توحيد العامة الذي يصح بالشواهد.

والثانى - توحيد الخاصة وهو الذى يثبت بالحقائق.

والثالث - توحيد قائم بالقدم وهو توحيد خاصة الخاصة (١)
الخ،

أفول لتوضيح ما أراده «عبد الله الأنصاري» من بيانه في حق «التوحيد» هو أنه، أشار أولاً بذكر قول الله - عز وجل -

«شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، إِلَى أَنْ مَبْدَأَ التَّوْحِيدِ وَأَسَاسُهُ هُوَ قَوْلُهُ - تَعَالَى - لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، لَا شَرِيكَ لَهُ، الْأَحَدُ، الصَّمَدُ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُوْلَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كَفُوًا أَحَدٌ».

فإذن التوحيد الذى هو فعل العبد عبارة عن تبرير الله - تعالى -

(١) من كتاب منازل السارين لمحمد الحق عرشانه - ص (٢٣ - ٢٤) .

عن كل ما يعرض للحوادث ، وافراده بالعبادة ، وتنزيهه عن الشرك ، لأن كل ذلك يقتضي الحدوث وبمخالف التوحيد ، فيلزم أن ينزعه العبد الله - تعالى - عنه ، ثم أشار إلى أن الوحدانية التي كان بها الله - تعالى - غير ما ينسبه العباد إليه ، وهذا لأن كنه الله - تعالى - لا يستطيع أن يدركه أحد من العباد إذ أن العبد في أي درجة يصل إليها يستدل على الله بمحلواته ، وآثاره ، ومحلوقاته ، حتى أن من يدعى أنه وصل إلى معرفة الله - تعالى - لا يمكن أن يصل إلى كنه الله - تعالى - ، بل لعله وصل إلى مرتبة أعلى في معرفته تعالى .

وعلى ذلك فالناس في توحيد الله - تعالى - على ثلاثة أقسام : -

١ - عامة الناس وهم الذين يصدقون بما جاء في الكتاب والسنة في حق توحيد الله - تعالى - من غير شك ولا ارتياح ، وهذا التوحيد هو التوحيد في مرتبة علم اليقين الذي أمر الله - تعالى - به كل من له عقل من البشر ، وجاء به الأنبياء والرسول ، وبه تترتب الأحكام من الشرائع والأديان السماوية ، وهذا التصديق والإيمان عند « عبد الله الأنصاري » يزيد وينقص .

٢ - خاصة الناس فتوحيدهم الانقياد والاطمئنان القوى بالنسبة إلى عامة الناس بواحدنيته - تعالى - ، وهو يحصل بعد التمسك والمتابعة بالدين القائم عن طريق مكافحة بعض الحقائق من آثار الله - تعالى - وأنواره وتأييده ، ويصل العبد في هذه المرتبة إلى درجة عين اليقين بأن كل مافي الكون من الأسباب والعمل الظاهرية يستفيد تأثيرها من وحدانيته - تعالى - ، وقدرته ، وإرادته ، وعلمه ، وحكمته .

٣ - خاصة الخاصة وتوحيدهم ينبع من حق اليقين ، وهو التوحيد

القديم الذى اتصف به الله - تعالى - في الواقع ويحصل التعرف به بعد كثرة العبادة والرياضة ، وقوة ارتباط قلب العبد ، وشدة تعلق حبه به - تعالى - بحيث يكون العبد في هذه المرتبة يحس من حب الله - تعالى - وانقياده له إحساساً وشعوراً ، ويتذوق ذوقاً ولذة لا يستطيع أن يعبر عن كيفية ما أحس وما ذاق ، فهو يرى من البراهين ، ويلوح على سره اللوامح التي يعجز عن بثها .

رأى « عبد الله الأنصارى »

فيما يصح أن ينسب إلى الله - تعالى - ويطلق عليه

لقد ثبت أن رأى « عبد الله الأنصارى » فيما يصح أن ينسب إلى الله - تعالى - ويطلق عليه مثل رأى الإمام « أحمد بن حنبل » ، فمهما يتبع ما أفاده الكتاب والسنة في هذا الأمر ، ولا يؤول النصوص الواردة في هذا الشأن بالرأى والعقل خارجاً عن منطوقها ، ومنصوصها ، ويحسب أن هذا النوع من التأويل انحراف عن الصراط المستقيم الذي يوقع الناس في الزيف والبدعة ؛ ولهذا أورد « عبد الله الأنصارى » في رسالته الأربعين « في التوحيد » الأحاديث التي يتضح فيها ما يصح أن ينسب إلى الله - عز وجل - ويطلق عليه .

الأحاديث التي جاءت في رسالته

المسمى بـ «الأربعين في دلائل التو حميد»^(١)

في حق ما يصح أن ينسب إلى الله - تعالى - ، ويطلق عليه

وما يلزم أن أقول أن عبد الله الانصاري ، أورد في الأربعينه
الأحاديث في حق ما يصح أن ينسب إليه - تعالى - وكل هذه الأحاديث
بإسناد تام ، لكنني لأجل الإختصار أكتفي بذكر متونها مع ذكر
اسم من جاء في آخر الإسناد : -

باب إيضاح البيان أن الله حي :

«عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله
عليه وسلم - :

إن الله تسعه وتسعين اسمها (مائة إلا واحدا) إنه وتر يحب الورز
من أحصاها دخل الجنة وعد الأسماء فيها الحى القيوم .

باب في بيان الدليل أنه عز وجل لainam :

«عن أبي موسى - رضي الله عنه - قال :

قام فينا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بأربع : أن الله - تعالى -
لainam ولا ينبغي له أن ينام «يخفض القسط ويرفعه . يرفع إلى الله عمل

(١) أخذت صورة هذه الرسالة من مخطوط شريط رقم (٤٢٠) بالجامعة العربية ، أصل المخطوط في (١٣) صفحة ثم لما كانت الكلمات في الصورة غير واضحة أخذت مكابر الحروف وكتبت منها ما أردت ذكره في هذه الرسالة بكل الدقة .

الليل قبل النهار ، وعمل النهار قبل الليل ، حجا به النار لو كشفها لاحرقـت
سبـحـات وجهـه كل شـيء أدرـكه .

باب «بيان أن الله - تبارك وتعالى وتقدس - شيء» :

«عن عروة عن أمه اسماء بنت أبي بكر - رضي الله عنها - أنها سمعت
النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول على المنبر «ماشيء أغير من الله
- عز وجل - » .

باب «بيان أن الله - عز وجل - شخص»

«عن المغيرة - رضي الله عنه - قال قال سعد بن عبادة :
لو رأيت رجلا مع امرأة لضربيه بالسيف غيره مني فبلغ ذلك رسول
الله - صلى الله عليه وسلم - فقال :

أتعجبون من غيره سعد فوالله لأننا أغير منه ، والله أغير مني ، ومن أجل
غيرته حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، ولا شخص أغير من الله
- عز وجل - ، ولا شخص أحب إليه العذر من الله - عز وجل - ،
ومن أجل ذلك بعث المرسلين بشيرين ومنذرين ، ولا شخص أحب إليه
الموحد من الله عز وجل - .

باب «بيان إثبات النفس لله - عز وجل -»

«عن ابن عباس - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه
 وسلم - قال :

سبحان الله وبحمده عدد خلقه ومداد كلماته ورغمي نفسه
- سبحانه عز وجل - .

باب «الدليل على أنه - تعالى - في السماء»

«عن ابن عباس - رضي الله عنه - قال : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم - و معه جارية أجممية سوداء فقال على رقبة فهل تجزى هذه عنى ، فقال : أين الله ؟ فأشارت يدها إلى السماء ، فقال : من أنا ؟ قالت : أنت رسول الله ، قال : اعتقدها فإنها مؤمنة » .

باب «الدليل على أنه - عز وجل على العرش»

«عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي صلى الله عليه وسلم - لما قضى الله - عز وجل - الخلق كتب كتاباً فهو عنده على عرشه أن رحمتي غلت غضبي » .

باب «ذكر حجاب الله - عز وجل» :

«عن أبي موسى - رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم - قال : حجابه - تعالى - النار لو كشفها لاحرقها سبحان وجهه كل شيء أدركه بصره » .

باب «إثبات فوق ودون الله - عز وجل -»

«عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال في دعائه : «أنت الظاهر فليس فوقك شيء ، وأنت الباطن فليس دونك شيء» .

باب «إثبات الجمادات لله - عز وجل -»

«أخبرني عمرو بن أوس «إنه سمع ، عبد الله بن عمر » - رضي الله

— ١٨٠ —

عنه . يقول : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « إنَّ المُقْسِطِينَ عَلَى مَنَابِرِ مِنْ نُورٍ عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ - عَزْ وَجْلَهُ - وَكَلَّا يَدِيهِ يَمِينٌ » .

باب « إثبات الوجه » لله - عز وجل - »

« قال عبد الله » - رضي الله عنه - قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من قال بسم الله ، وقال مرة من قال سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله وأكبير ولا حول ولا قوة إلا بالله وبارك الله ، تلقاهن ملك فضم عليهم جناحه ، وقال مرة تلقاهن فكتبهن ، ثم ضممن إلى جناحه حتى يجيء وجه رب العالمين - ببارك وتعالى - » .

باب « إثبات الصورة له - عز وجل - »

« حديث أبو هريرة » - رضي الله عنه - قال قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « خلق الله آدم - عليه السلام - على صورته طوله ستون ذراعاً » .

باب « إثبات العينين له - تعالى وتقديس - »

« عن قتادة قال : سمعت أنس بن مالك - رضي الله عنه - يقول : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « ما من نبي إلا وقد حذر أمهه الأعور الكذاب ألا إنه أعور وإن ربكم - عز وجل - ليس بأعور مكتوب بين عينيه لك ، ف ، ر » .

باب « إثبات السمع والبصر لله - عز وجل - »

سمع عن « أبي هريرة » - رضي الله عنه - يقرأ هذه الآية « إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها ... إلى قوله إن الله كان سميعا

- ١٨١ -

بصيراً ، ووضع إيمانه على أذنه والتي تليه على عينيه ، وقال : هكذا سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقرؤها ويضع أصبعيه عليهمما .

باب إثبات أنه - تعالى - خلق آدم - عليه السلام - بيده

عن أبي سعيد - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : احتج آدم وموسى عليهما الصلاة والسلام فقال له موسى : أنت الذي خلقك الله بيده وأسكنك جنته .

باب « خلق الله - عز وجل - الفردوس »

« عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : إن الله - عز وجل - خلق الفردوس وحظرها على كل مشرك ومد من خمر مسكر .

باب « إثبات الخطيئة - عز وجل - »

سمع عن أبي هريرة - رضي الله عنه - يحدث عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال احتج موسى وآدم عليهما الصلاة والسلام - فقال موسى أنت أبونا ، خربتنا وأخرجتنا من الجنة ، قال فقال آدم ياموسى اصطفاك الله - عز وجل - بكلامه وخط لك التوراة بيده تلومني على أمر قد قدره الله على قبل أن يخلقني بأربعين سنة ، قال : فحج آدم موسى فحج آدم موسى ثلاثة .

باب « في أنه تقع صدقة المؤمن في يد الله - عز وجل - »

« عن عبد الله بن أبي قتادة المحاربي قال : سمعت عبد الله بن مسعود

- ١٨٤ -

- رضى الله عنه - يقول : إن الصدقة تقع في يد الله - عز وجل - قبل أن تقع في يد السائل .

باب «إثبات الأصابع لله - عز وجل -»

عن الحسن - رضى الله تعالى عنه - أن عائشة - رضى الله عنها - قالت : دعوة كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يكرر أن يدعو بها «يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك ، قالت عائشة - رضى الله عنها - : يا رسول الله دعوة أراك تكرر أن تدعوا بها ، قال : ما من آدمي إلا وقلبه بين أصبعين من أصابع الرحمن - عز وجل - فإذا شاء أن يقيمه أقامه ، وإذا شاء أن يزيغه أزاغه » .

باب «إثبات الضحك لله - عز وجل -»

عن أبي هريرة - رضى الله عنه - عن النبي صلى الله عليه وسلم - قال ضحك الله - تعالى - من رجلاً قتل أحدهما صاحبه ثم دخل الجنة (قتل مشرك مسلماً ثم أسلم ثم مات) .

باب «إثبات القدم لله - عز وجل -»

عن أنس - رضى الله عنه - قال قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يلقى في النار فتقول هل من مزيد حتى يضع رب العالمين فيها قدمه ، فتقول قط .

باب «الدليل على أن القدم هو الرجل»

عن أبي هريرة - رضى الله عنه - عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بهذا الحديث السابق الذكر وقال فيه حتى يضع الله - عز وجل - رجله فيها فتقول قط .

باب «الهرولة لله - عز وجل»

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي صلى الله عليه وسلم -
قال : قال الله عز وجل - أنا عند ظن عبدي بي ، وأنا معه إذا دعاني ،
إن تقرب مني شبراً تقربت منه زراعاً ، وإن تقرب مني زراعاً تقربت
منه باغاً ، وإن جائني يمشي جنته مهرولة .

باب «إثبات نزوله إلى سماء الدنيا»

حدث رفاعة بن عراة - رضي الله عنه - قال قال رسول الله
- صلى الله عليه وسلم - «إذا مضى شطر الليل أو قال ثلاثة ينزل الله
- عز وجل - إلى سماء الدنيا» .

باب «رؤيه النبي - صلى الله عليه وسلم - ربها - عز وجل - ليلة المراج

بعيليه رؤيه يقطة»

عن عكرمة قال قال عباس - رضي الله عنه - : «وما جعلنا الرؤية
التي أريناك إلا فتنة للناس» ، قال هي رؤيا عين رأه رسول الله
- صلى الله عليه وسلم - ليلة أسرى به ، وزاد عمر بن جعفر ليس
رؤيا منام» .

باب «رؤيه المؤمنين ربهم - عز وجل - يوم القيمة عياناً»

عن جرير - رضي الله عنه - قال كنا مع النبي - صلى الله عليه
 وسلم - في سفر فنظر إلى القمر ليلة البدر «فقال : إنكم سترون ربكم
 - عز وجل عياناً كما ترون هذا» .

- ١٨٤ -

باب رؤيتم إياه - عز وجل - في الجنة ،

عن النبي - صلى الله عليه وسلم - في قوله - عز وجل - : «للذين أحسنوا الحسنة وزادوا ، قال الحسن الجنة والزيادة النظر إلى وجه الله - عز وجل - .»

باب «إثبات الكلام الله - عز وجل - » :

حدث محمد بن اسحق عن أبيه أن أبا بكر الصديق - رضي الله عنه - قال عند وفاة النبي - صلى الله عليه وسلم - فقدنا الذي يوحى من عند الله - عز وجل - الكلام .

باب «الدليل على أن كلام الله - عز وجل غير مخلوق ،

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي صلى الله عليه وسلم - قال : من قال حيث تغيب الشمس أعود بكلمات الله التامات (١) من شر مخلق لم يضر من ليلته شيء .

باب «بيان أن قلب المؤمن منشرح بنور الله ،

عن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إن الله تبارك وتعالى خلق خلقه في ظلمة فألقى عليهم من نوره فمن أصابه من ذلك النور اهتدى ومن أخطأه ضل .

هذا أهم ما أورده «عبد الله الانصاري» من الأحاديث النبوية في حق

(١) المراد بالكلمات التامة أن لا تكون مخلوقة ، إذ أن الخلق والحدوث يخالف من أن تكون تامات .

ما يصح أن ينسب إلى الله — تعالى — ويطلق عليه . أقول : لعل شيخ الإسلام عبد الله الانصاري . . قد ثبت عنده صحة هذه الأحاديث لكن مع هذا لا يريد بها تأييد عقيدة المحسنة بل .

يشتبه من هذا أنه لا يجوز عنده أن يقول المتشابه من الآيات بالرأي ، ولا أن يقول النصوص الواردة في أسمائه وصفاته بالتأويلات العقلية ؛ لأنّه يعد هذا العمل خروجاً عن طريق السنة والدين ، فلأجل ذلك شدد النكير على المؤولين والمتكلمين في كتابه المسمى بـ « ذم الكلام وأهله » ، وهو أفاد أساوره فيها يأتي أهم مطالب كتاب ذم الكلام وأهله

ويمّا يلزم أن أذكر أن « شيخ الإسلام عبد الله الانصاري » أورد في كتابه ، ذم الكلام وأهله ، الأحاديث ، والآثار ، والروايات بالإسناد التام ، لكنني لأجل الاختصار سأذكر أهم مطالبه في هذا الصدد من آخر السنن فقط ، فعليلكم بالدقة فيما يأتي : -

أخرج « شيخ الإسلام » ، حديث عائشة — رضي الله — عنها أنها قالت : قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد ، أخرجه الشيخان قال « أبو مروان العثما尼 » (١) يعني البدع .

وقال « أبو عبيدة » (٢) ، جمع النبي — صلى الله عليه وسلم — جميع أمر الآخرة في كلمة : من أحدث في أمرنا ما ليس منه فهو رد ، وجميع أمر الدنيا في كلمة : إنما الأعمال بالنيات تدخلان في كل باب .

(١) أبو مروان بن العثماني : محمد بن عثمان بن خالد الأموي مات سنة (١٤١ هـ) .

(٢) أبو عبيدة : مولى النبي — صلى الله عليه وسلم — .

- ١٨٩ -

باب لبيان أن الأمم السالفة إنما استقاموا على الطريقة ما اعتصموا بالتسليم والاتباع وأنهم لما تكلفوا وخاصموا اختلقو وهللوكوا :

من حديث «أبي هريرة» مرفوعاً : «إنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم».

ومن طريق «عمرو» بن شعيب عن أبيه عن جده قال : خرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على أصحابه ذات يوم وهم يتراجعون في القدر ، نخرج مغضباً ، حتى وقف عليهم ، فقال : يا قوم بهذا ضلت الأمم قبلكم باختلافهم على أنبيائهم ، وضررهم الكتاب ببعضه ببعض ، وأن القرآن لم ينزل لنضرب بعضه بعض ، ولكن نزل القرآن فصدق بعضه ببعض ما عرفتم منه فأعملوا به ، وما تشابه فامنوا به .

عن «أبي هريرة» قال : خرج علينا رسول الله - صلى عليه وسلم - ونحن نتنازع في القدر ، فغضب حتى أهمر وجهه ، ثم قال : «أبهذا أمرتم أم بهذا أرسلت إليكم؟ إنما هلك من كان قبلكم حين تنازعوا في هذا الأمر عزتم عليكم أن لا تنازعوا» .

عن «أبي الدرداء»^(١) ، و «أبي أمامة» ، و «أنس بن مالك» ، و «وائلة بن الأسعق» ، قالوا : خرج إلينا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ونحن نتنازع في شيء من الدين ، فغضب غضاً شديداً لم يغضب مثله ، وقال : يا أمة محمد لا تهيجوا على أنفسكم وضح النهار ، ثم قال : «أبهذا أمرتكم أو ليس عن هذا نهيتكم؟ إنما هلك من كان قبلكم بهذا

(١) أبو الدرداء : عويمر بن مالك بن قيس بن أمية صحابي - توفي سنة

• (٥٣٥)

هُمْ قَالُوا مَرْأَةٌ لِقَلْتَهُ خَيْرٌ، ذَرُوا مَرْأَةً فَإِنْ نَفَعَهُ قَلِيلٌ وَإِنْ يَحْرِجَ الْعَدَاوَةَ
بَيْنَ الْإِخْرَانِ، ذَرُوا مَرْأَةً فَإِنْ مَرْأَةٌ لَا تَؤْمِنُ فَتَنَّهُ، ذَرُوا مَرْأَةً فَإِنْ مَرْأَةٌ
يُورِثُ الشُّكْرَ وَيُحَبِّطُ الْعَمَلَ، ذَرُوا مَرْأَةً فَإِنْ مَوْمَنٌ لَا يَمْارِي، فَكَفَى بِكَ
إِنَّمَا أَنْ لَا تَزَالَ مَارِيَا، ذَرُوا مَرْأَةً فَإِنْ الْمَارِيَ لَا أَشْفَعُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ،
ذَرُوا مَرْأَةً فَإِنَّا زَعِيمُ بِثَلَاثَةِ أَبِيَّاتٍ فِي الْجَنَّةِ: فِي وَسْطِهَا وَرِيَاضَهَا وَأَعْلَاهَا
لَمْ يَرُكْ مَرْأَةً وَهُوَ صَادِقٌ، ذَرُوا مَرْأَةً فَإِنَّهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ عَنْهُ بَعْدَ
عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ وَشَرْبِ الْخَمْرِ، ذَرُوا مَرْأَةً فَإِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ يَئُسَ مِنْ أَنْ
يَعْبُدَ، وَلَكِنْ رَضِيَ بِالْتَّحْرِيشِ وَهُوَ مَرْأَةٌ فِي الدِّينِ، ذَرُوا مَرْأَةً فَإِنَّ
بَنِي إِسْرَائِيلَ افْتَرَقُوا عَلَى أَحَدِي وَسَبْعِينَ فِرْقَةً إِلَّا كَلَّاهُمْ عَلَى الْضَّلَالِ إِلَّا
السَّوَادُ الْأَعْظَمُ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَنْ السَّوَادُ الْأَعْظَمُ؟ قَالَ: مَنْ
كَانَ عَلَى مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ الْإِسْلَامَ بَدَأَ غَرِيبًا وَسَيُعُودُ
غَرِيبًا فَطَوَّبَ لِلْغَرَبَاءِ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَنْ الْغَرَبَاءُ؟ قَالَ: الَّذِينَ
يَصْلِحُونَ إِذَا فَسَدَ النَّاسُ، وَلَا يَمْارِونَ فِي دِينِ اللَّهِ.

عَنْ زَيْدِ بْنِ رَفِيعٍ قَالَ: بَعَثَ اللَّهُ نُوحًا، وَشَرَعَ لَهُ الدِّينُ فَكَانَ
النَّاسُ فِي شَرِيعَةِ نُوحٍ فَمَا أَطْفَلَهُ إِلَّا الزَّنْدَقَةُ . ثُمَّ بَعَثَ اللَّهُ مُوسَى
وَشَرَعَ لَهُ الدِّينُ فَكَانَ النَّاسُ فِي شَرِيعَةِ مُوسَى فَمَا أَطْفَلَهُ إِلَّا الزَّنْدَقَةُ ،
ثُمَّ بَعَثَ اللَّهُ عِيسَى وَشَرَعَ لَهُ الدِّينُ ، فَمَا أَطْفَلَهُ إِلَّا الزَّنْدَقَةُ ، قَالَ زَيْدٌ
ابْنُ رَفِيعٍ: وَلَا يَخَافُ عَلَى هَذَا الدِّينِ إِلَّا الزَّنْدَقَةُ .
عَنْ «مَنْصُورِ بْنِ الْمُعْتَمِرِ»^(١) قَالَ: مَا هَلَكَ أَهْلُ دِينٍ قَطْ حَتَّى يَخْلُفُ
فِيهِمُ الزَّنْدَقَةُ .

(١) مَنْصُورُ بْنُ الْمُعْتَمِرِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ أَبْوَ عَتَابٍ السَّلْمِيِّ السَّكُوفِ مِنْ كَبَارِ التَّابِعِينَ
تَوْفَى سَنَةً (١٢٢) م.

- ١٨٨ -

عن « عمر بن الخطاب » - رضي الله تعالى عنه - قال : أنس من أهل الكتاب من قبلكم قد كتبوا مع كتاب الله كتاباً فاكبوها عليهما وتركوا كتاب الله .

باب شدة ما كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يخاف على هذه الأمة من الأمة المضللين والمجادلين في الدين :

عن « أبي جعفر » - رضي الله تعالى عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « إنما يهلكون بعد اليقينات بالمخالفات ، وتزيين الضلالات المضلالات ، وبالأهواء المغريات ، وتحريف المحكمات . »

عن « أبي عمر » قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « أشد ما أخواف على أمتي ثلاثة : زلة العالم ، وجدال منافق بالقرآن ، ودنيا تقطع أعناقكم فاخشوها على أنفسكم » .

عن « معاذ بن جبل » سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم يقول : « إنني أخاف عليكم ثلاثة وهي كائنة : زلة عالم ، وجدال منافق بالقرآن ، ودنيا تعم عليكم » .

عن « عمر بن الخطاب » - رضي الله تعالى عنه - قال : « يهدم الإسلام ثلاثة : زلة عالم ، وجدال منافق بالقرآن وأئمة مضلون » .

عن « عثمان بن أبي شيبة »، أنه قال : فساق أصحاب الحديث خير من عباد غيرهم .

باب كراهة تشقيق الخطاب وتدقيق الكلام والكلام بالأغالط :

عن « أبي ذر »، رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله - صلى الله

عليه وسلم - : « إنكم اليوم في زمان كثيرون علماؤه قليل خطباؤه ، ويأتي من بعد زمان كثيرون خطباؤه قليل علماؤه » .

عن « مجاهد » - رضي الله تعالى عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « إن الله لم يبعث نبياً إلا مبلغاً ، وإن تشكيف الكلام من الشيطان » .

عن « معاوية » - رضي الله تعالى عنه - قال : « لعن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الذين يشدقون الكلام تشكيف الشعر » .

عن « فاطمة الزهراء » - رضي الله تعالى عنها - قالت : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : شرار أمتي الذين يتشدقون في الكلام .

عن « سعد بن أبي وقاص » -- رضي الله عنه - قال : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : في هذه الأمة أقوام يتكلمون الكلام كما تخلل الناقرة الخلا بالستنما .

عن « أبي هريرة » - رضي الله تعالى عنه رفعه وقال : « لا أخبركم بشرار هذه الأمة الثثارون المتشدقون المتفهرون » .

باب ذم المجال والتغليظ فيه وذكر شؤمه :

أخرج حديث « عائشة » مرفوعاً : أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم « أخرجه البخاري » ، « وحدث أنس وكعب وابن عمر وجابر - رضي الله تعالى عنهم - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : من طلب العلم ليهاه به العلماء ، أو يمارى به السفهاء ، أو يصرف به وجوه الناس إليه أدخله الله النار » .

عن «ابن مسعود» - رضي الله عنه - قال : لا تعلموا العلم لثلاثة :
لما رأوا به العلماء أو تجادلوا به السفهاء ، أو تصرفوا به وجوه
الناس إلينكم .

باب ذم اتباع متشابه القرآن والجدال به :

عن «عائشة» ، رضي الله - تعالى - عنها قالت : تلا رسول الله
- صلى الله عليه وسلم - هذه الآية : «هُوَ الَّذِي أَنزَلَ الْكِتَابَ» ،
فقال : «إِذَا رَأَيْتُمُ الظِّنَّ يَتَبَعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ» ، فَأُولَئِكَ الظِّنَّ سَمِّيَ اللَّهُ ،
فَأَحْذِرُوهُمْ .

عن «ابن عباس» - رضي الله عنه - في قوله - تعالى - :
«فَأُمَّا الظِّنَّ فِي قَوْلِهِمْ زَيْغٌ» ، قال : هُمْ أَصْحَابُ الْخُصُومَاتِ وَالْمَرَاءِ
فِي دِينِ اللَّهِ .

عن «أبي» ، قال : ما استبان لك فاعمل به وانتفع به ، وما شبه
عليك فآمن به وكله إلى عالمه .

عن «جعير بن نعير» - رضي الله عنه - عن رسول الله - صلى الله
عليه وسلم - قال : «لَا تَجَادِلُوا بِالْقُرْآنِ وَلَا تُسْكِدُوهُمْ كِتَابَ اللَّهِ بَعْضَهُ
بَعْضٌ» ، فَوَاللَّهِ أَنَّ الْمُؤْمِنَ لِيَجَادِلَ بِهِ فِي غَلَبٍ .

عن «إيس بن عامر» ، أن «على بن أبي طالب» - كرم الله وجهه -
قال : إِنَّكَ إِنْ بَقِيتَ فَسْتَرِي الْقُرْآنَ عَلَى ثَلَاثَةِ أَصْنَافٍ : صَنْفُ اللَّهِ ، وَصَنْفُ
لِلنَّاسِ ، وَصَنْفُ للْجَدَالِ .

عن «عمر بن الخطاب» - رضي الله عنه - قال : إِنَّهُ سَيِّئَتْ قَوْمٌ
يَجَادِلُونَكُمْ بِشَهَادَاتِ الْقُرْآنِ فَخَذُوهُمْ بِالسِّنِنِ ، فَإِنْ أَصْحَابُ السِّنِنِ أَعْلَمُ
بِكِتَابِ اللَّهِ .

عن «مسروق»، قال: «ما أحد من أصحاب الأهواء إلا في القرآن
ما يرد عليهم ولكننا لانهتدى له».

باب «الوقوف عند السنة، وذم الرأي والبدعة والتعمق^(١) في الدين»:

عن «أبي قلابة»، قال: «إذا حدثت الرجل بالسنة»، فقال: «دع هذا
وهات كتاب الله، فاعلم أنه ضال».

عن «قتادة» في قوله: «من قبل أن يقضى إليك وحيه»، قال:
«يبين لك بيانه».

عن «حسان بن عطية»، قال: «كان جبريل - عليه السلام - ينزل
بالسنة ويعليم إياها كما يعلمه القرآن».

عن «إسماعيل بن عبيد الله»، قال: «ينبغي لنا أن تحفظ ماجاه
عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فإنه بمنزلة القرآن».

عن «مجاحد»، في قوله - تعالى - «إِن تَنَازَعُمْ فِي شَيْءٍ فَرِدُوهُ
إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ»، قال: «إلى كتاب الله وسنة رسوله».

عن «بن مسعود» - رضي الله عنه - قال: «يأنها الناس إن الله
بعث محمداً بالحق، وأنزل عليه القرآن، وفرض عليه الفرائض، وأمره أن
يعلم أمة، فبلغ رسالته، ونصح لأمته، وعلمهم ما لم يكتونوا يعلمون،
وبيّن لهم ما يجهلون فاتبعوه، ولا تبتعدوا فقد كفيتكم كل محدثة بدعة
وكل بدعة ضلاله».

(١) والمراد من التعمق التعمق الخارج عن حدود الشريعة.

عن «سعید بن المسیب»،^(١) قال: قام «عمر بن الخطاب» في الناس فقال: «أیها الناس ألا إن أصحاب الرأى أعداء السنة أعيتهم الأحاديث أن يحفظوها وتضلّل منهم أن يعواها فعادوا السنن برأيهم ، فضلوا وأضلوا كثیراً ، والذى نفس عمر بيده ما قبض الله نبيه ولا رفع الوحي عنهم ، حتى أغناهم عن الرأى ، ولو كان الدين يؤخذ بالرأى لكان أسلف الحف أحق بالمسح من ظاهره ، فإذاكم وإياهم ، ثم إياكم وأياهم» . عن «ابن عباس» - رضي الله عنه - قال: «إياكم والرأى فإن الله رد على الملائكة الرأى ، قال: إني أعلم ما لا تعلمن ، وقال لنبيه - صلى الله عليه وسلم - «لتحکم بين الناس بما أراك الله» ، ولم يقل بما رأيت .

عن «ابن عمر» ، قال : «قال رسول الله - صلی الله عليه وسلم - كل بدعة ضلالة وإن رآها الناس حسنة» .

عن «جابر» ، قال : «قال رسول الله - صلی الله عليه وسلم - : أصدق الحديث كتاب الله ، وأحسن المدى ددى محمد وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار» .

عن «ابن سيرين» ، قال : «أول من قاس ، إبليس «وما عبدت الشمس والقمر إلا بالمقاييس» .

عن «الحسن» ، أله تلا : «خليقتي من نار وخلقته من طين» قال: قاس إبليس وهو أول من قاس» .

(١) سعید بن المسیب بن حزن بن أبي وهب بن عمر وبن عابدین عمران بن مخزوم القرشی مات بعد التسعین من الهجرة — وقد ناهز الثمانین .

- ١٩٣ -

عن «أحمد بن حنبل»، قال: سألت «الشافعى»، عن القياس فقال، عند الضرورات .

عن «أنس» - رضى الله عنه - أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم - قال : من رغب سنتى فليس مني .

عن «أبي هريرة» - رضى الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : من تشبه بقوم فهو منهم .

باب «كراهية التنطع في الدين والتسلف فيه والبحث عن الحقائق»^(١)

ولم يحاب التسليم :

عن «قتادة»^(٢) في قوله - تعالى - : «وأمرنا المسلم لرب العالمين»، قال : في خصومة علمها الله مهدا - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه يخاصمون بها أهل الضلال .

عن «أنس» - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - «إن الله قال : إن أمتك لا يزالون يتتساولون ما كذا ما كذا حتى يقولوا الله خلق كل شيء فلن خلق الله؟» .

عن «أبي هريرة» - رضى الله عنه - قال : «قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : لا يزال الناس يتتساولون حتى يقول أحدهم هذا

(١) يعني البحث عن الحقائق خارج حدود الكتاب والسنة أو عطف على كراهة التنطع .

(٢) قتادة - ابن النعيم بن زيد بن عامر الأنصاري الظفرى مات سنة ثلاث وعشرين هـ .

الله خلق الخلق ، فن خلق الله ؟ فain سئلتم فقولوا الله قبل كل شيء ، وهو كائن بعد كل شيء ، وهو خالق كل شيء .

عن « أنس » - رضي الله عنه - أن رجلا سأله عمر بن الخطاب عن قوله - تعالى - « وأبا ما الأب ؟ فقال نهينا عن التعمق والتكلف » .

عن « بن مسعود » قال : ما رأيت أحدا كان أشد على المتنطعين من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولا من أبي بكر وعمر » .

عن رجل من الصحابة قال . نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم - عن الأغلوطات ، قال الأوزاعي : يعني شرار المسائل .

عن « ابن مسعود » قال : إياكم وصعب القول .

عن « الحسن » قال : شرير عباد الله الذين يتبعون شرار المسائل يعمون بها عباد الله .

عن « معاذ بن جبل » قال : إياك والبدع والتبدع والتنطع ، وعليك بالأمر العتيق .

عن « كثير بن عبد الله » عن أبيه عن جده عن النبي - صلى الله عليه وسلم - : قال « إنكم ما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله وإلى محمد » .

باب « خاتمة المصطفى - صلى الله عليه وسلم - والسلف الصالح على من استغل بأقوال أهل الكتاب ، وعلى من أكب على كتاب سوي كتاب الله - تعالى - علما منه بما هو كائن منهم من الكتاب المضلة بعده :

عن « عمران بن حصين » (١) أنه قال قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

(١) عمران بن حصين بن عبد الله بن خلف الأوزاعي مات سنة (٥٢) بالبصرة .

إن الحياة لا يائى إلا بخير ، فقال بشير بن كعب : أنا نجد في بعض الكتب إن منه سكينة ووقاراً ومنه ضعفاً فغضباً عمران حتى احمرت عيناه ، وقال : أحدثك عن رسول الله وتحدى عن كتبك الخبيثة .

عن « حفصة » ، رضي الله عنها - أنها جاءت إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - بكتاب من قصص يوسف في كتف فجعلت تقرأ عليه والنبي - صلى الله عليه وسلم - يتلون وجهه ، فقال : والذى نفسي بيده لو أتاكم يوسف وأنا معكم فاتبعتموه وتركتموني ضللتم .

حدث « العرباض بن سارية » (١) قال « وعظنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الحديث وفيه فعلكم بسلتي وسنة الخلفاء الراشدين تمسكوا بها وعضووا عليها بالنواخذ ، وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلاله » .

باب ذكر أعلام المصطفى - صلى الله عليه وسلم - أمته كون

المتكلمين فيهم :

عن « أبي الدرداء » و « أبي ذر » ، قالا : لقد تركنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وما يقلب طير في السماء جناحية إلا ذكر لنا منه علما .

عن « أبي هريرة » ، رضي الله تعالى عنه - قال : « قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لا تقوم الساعة حتى تكون خصوماتهم في ربهم » .

(١) العرباض بن سارية السلى أبو نجيح صحابي من أهل الصفة نزل « حصن » ومات بعد السبعين من الهجرة .

- ١٩٦ -

عن المقدام بن معد يكربه قال : « قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، إذا حديثكم الناس عن ربهم فلا تحدثوهم بالذى يفزعهم ويشق عليهم » .

عن « علي بن أبي طالب » قال : « قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، إن من البيان سحرا ، وإن من الشعر حكما ، وإن من القول عيا وإن من طلب العلم جهلا » .

عن « الحكم بن عمير الثمالي » قال : « سمعت النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول : إن هذا القرآن صعب مستصعب لمن كرهه ميسر لمن تبعه ، وإن حديثي صعب مستصعب لمن كرهه ميسر لمن تبعه ، من سمع حديثي حفظه وعمل به جاء يوم القيمة مع القرآن ، ومن تهاون بحديثي فقد تهاون بالقرآن ، ومن تهاون بالقرآن خسر الدنيا والآخرة ، أمر أمتي أن خذوا بقولي وأطيعوا أمري واتبعوا سنتي ، لأن الله يقول : « وما أتاكم الرسول فخذوه » .

عن « ابن عمر » قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - : إياكم والركون إلى أصحاب الأهواء فإنهم بطرروا النعمة ، وأظهروا البدعة ، وخالفوا السنة ، ونطقوها بالشبهة وتابعوا الشيطان » .

باب في ذكر أشياء من هذا الباب ظهرت على محمد رسول الله -

صلى الله عليه وسلم - :

عن « ابن عمر » رضي الله عنه - قال : «رأيت عبد الله بن أبي (١) يشتند قدام النبي - صلى الله عليه وسلم - والحجارة تسكته وهو يقول ،

(١) ابن سلول رأس المناقفين في المدينة - مات قبل وفاة النبي - صلى الله عليه وسلم - .

يا محمد إنما كنا نخوض ونلعب ، والنبي - صلى الله عليه وسلم - يقول : « أبا الله وآياته ورسوله كتم تسهرؤون » . عن أنس رضي الله عنه - قال : أرسل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مرة رجلا من أصحابه إلى رأس من رؤوس المشركين يدعوه إلى الله ، فقال : له المشرك هذا الإله الذي تدعوا إليه ما هو ؟ من ذهب هو أو فضة ، فأنزل الله صاعقة من السماء فأهلكته » .

عن « مجاهد »^(١) - رضي الله عنه - قال : « جاء يهودي إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال : يا محمد من أى شيء ربك ؟ أمن لؤلؤ هو ؟ فأرسل الله عليه صاعقة فقتلته ، ونزلت : « وهم يجادلون في الله وهو شديد الحال » . عن « أبي هريرة » - رضي الله عنه - أنه قال : « جاءوا إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فسألوه عن شيء من أمر الرب فلعنهم » . عن « ابن عمر » - رضي الله عنه - قال لنا عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - جاء رجل أقبح الناس ثيابا وأدنى الناس ريجا فتخطى رقب الناس حتى جلس بين يدي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال : من خلقك ؟ قال : الله ، فمن خلق الله ؟ قال : الله ، فمن خلق الأرض ؟ قال . الله ، فمن خلق الله ؟ فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سبحان الله وأمسك بجهته ، وقام الرجل فذهب ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على بالرجل فطلبناه فـكأن لم يكن ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - هذا إبليس جاء يريد أن يشككم في دينكم .

(١) مجاهد بن جبير أبو الحجاج الخزروي - مات سنة واحد أو اثنين أو ثلاث وأربع وثلاثين .

- ١٩٨ -

باب « إِنْكَارُ أُمَّةِ الْإِسْلَامِ مَا أَحْدَثَهُ الْمُتَكَلِّمُونَ فِي الدِّينِ مِنْ أَصْحَابِ الْكَلَامِ وَالشَّبَهِ وَالْمُجَادَلَةِ عَلَى الطَّبَقَاتِ » :

« الطبقة الأولى من صحابة رسول الله ، - صلى الله عليه وسلم -
وهم الذين قال الله - تعالى - في حرمهم : « فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ
فَقَدْ اهْتَدُوا » .

عن « علي بن أبي طالب » - رضي الله عنه - قال : « يخرج
في آخر الزمان أقوام يتكلمون بكلام لا يعرفه أهل الإسلام ويدعون
الناس إلى كلامهم ، فمن لقيهم فليقاتهم ، فإن قتلهم أجر عند الله » .
عن « ابن عباس » - رضي الله عنه - في قوله - تعالى : « وَإِذَا
رَأَيْتُ الَّذِينَ يَخْوُضُونَ فِي آيَاتِنَا ، قَالُوا : هُمْ أَصْحَابُ الْخُصُومَاتِ وَالْمَرَاءِ
فِي دِينِ اللَّهِ » .

عن « ابن عباس » - رضي الله عنه - قال : « إذا كانت سنة خمس
وثلاثين ومائة خرج الشياطين من البحر ، كان سليمان حبسهم في أشعار
الناس وأبشرهم يحدثون الناس ليقتلوهم فاحذروهم » .

عن « طاووس » ، قال : إذا مضت سنة ثلاثة وثلاثين ومائة ظهرت
شياطين جزائر البحور فتهيأوا بهيمة العلماء فلا تأخذوا العلم إلا من تعرفون .
عن « عكرمة » ، أن « نجدة » ^(١) قال : لابن عباس كيف معرفتك
بربك لأن من قبلنا اختلفوا علينا ، فقال : إن من ينصب دينه للقياس
لا يزال الدهر في التباس مائلاً عن المنهاج طاعنا في الإعوجاج ، اعرفه
بما عرفه به نفسه من غير رؤية ، وأصفه بما وصف نفسه » .

(١) نجدة : بن عامر الحرودي الحنفي رئيس الفرقه المسميه بالنجديه - قتل سنة
٥٦٨ .

عن «عائشة» - رضي الله عنها - قالت : كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذا لم يعلم الشيء لم يقول برأيه ولم يتكلله ، .

عن «ابن مسعود» أن رجلا سأله عن شيء فقال : ما سألهنا عن شيء من كتاب الله نعلمه أخبرناكم به ، أو سنة من نبي الله - صلى الله عليه وسلم - أخبرناكم ، ولا طاقة لنا بما أحدثتموه ، .

عن «ابن عمر» قال : «إن القدرية حملوا ضعف رأيهم على مقدرة الله ، وقالوا لم ؟ ، ولا ينبغي أن يقال الله لم ؟ لأنه لا يسأل عما يفعل وهو يسألون» .

الطبقة الثانية: وهم المتقدمون من فقهاء التابعين :

عن «الحسن» قال : «لا تجالس أصحاب الأهواء وإن ظننت أن عندك الجواب» .

عن «هشام» قال : «كان الحسن ومحمد يقولان ، لا تجالسو أصحاب الأهواء ولا تسمعوا منهم ولا تجادلوهم» .

من طريق «عبد الرزاق» ، أخبرنا معمر قال : «كان ابن طاووس جالساً فجاءه رجل من المعتزلة يتكلم ، فأدخل ابن طاووس أصبعه في أذنيه ، وقال لابنه أى بني أدخل أصبعك في أذنك واسدد لا تسمع من كلامه شيئاً» .

عن «ابن الحنيفة» قال : «لا تجالسو أصحاب الخصومات فإنهم يخوضون في آيات الله» .

عن «عطاء بن رباح» في قوله - تعالى - «إن الذين فارقوا دينهم» قال : «هم أصحاب الخصومات وأهل البدع» .

عن «مجاهد» في قوله - تعالى - : «ولا تتبعوا السبيل»، قال : البدع والشبهات .

عن «عطاء»، قال : «بلغني أن فيها أنزل الله على موسى : لا تجالسو أهل الأهواء فيحدثوا في قلبكم ما لم يكن» .

عن «الحسن» : أهل البدع بمنزلة اليهود والنصارى .

عن «مصعب بن سعد»، قال : «لا تجالس صاحب بدعة، إما أن يمرض قلبك فتتابعه، وإما أن يؤذيك قبل أن تفارقه» .

الطبقة الثالثة :

عن «عمر بن عبد العزيز»، أنه كتب إلى ابنه عبد الملك «ليكن علمك علم الله الذي أنزله على نبيه، ودل فيه على محابيه ومكارهه، وعرف الناس فيه أمره، ودعاهم إلى كتابه، وهددهم إلى كرامته، ووقاهم به بأسمه، وأوجب لهم به رضوانه، وأنزلهم به أفضل منازل خلقه، هو العلم الذي لم يحمل من علمه ولم يعلم من جمله، فما ثراه على ما سواه وانته عن زواجره، فإن ذلك يتحقق على من علمه، واتبع طاعة الله فيما أوصى به، هو نور الله الذي أنزل وهدى به أولياءه، ومن لم يكن له حظ فيه لم يتفع بشيء منه وكان في ظلمة ما بقى في دنياه» .

عن «أبي قلابة»، قال : «لا تجالس أصحاب الأهواء فإنه لا آمن عليك أن يغمسوك في ضلالتهم ويلبسوا عليك ما كنت تعرف» .

عن «إبراهيم النخعي»، في قوله - تعالى - «أفتقروا به»، قال : «أفتجادلون وفي قوله - تعالى - «فاغرينا بينهما العداوة والبغضاء»، قال : «أغرى بينهم الجدال والخصومات في الدين»، وفي قوله - تعالى - «فليغيرون خلق الله»، قال : «دن الله» .

عن «يجي بن أبي كثير»، قال: قال: «سلیمان بن داؤد^(١) لابنه: إياك والمراء فإنه ليس فيه منفعة وهو مورث العداوة بين الإخوان».

الطبقة الرابعة:

عن «مالك»، قال: «إياكم والبدع قيل: يا أبا عبد الله وما البدع؟ قال: أهل البدع الذين يتكلمون في أسماء الله وصفاته وكلامه وعلمه وقدرته، ولا يسكنون عما سكت عنه الصحابة والتابعون لهم بمحاسن».

عن «مالك»، قال: «من طلب الدين بالكلام تزندق».

عن «عبد الرحمن بن مهدى»،^(٢) قال: «دخلت على مالك وعنده رجل يسألة عن القرآن، فقال: «لعلك من أصحاب عمر بن عبد لعن الله عمرًا فإنه ابتدع هذه البدع من الكلام، ولو كان الكلام علماً تكلم فيه الصحابة والتابعون كما تكلموا في الأحكام والشريائع، ولكنه باطل يدل على باطل».

عن «مالك»، قال: «ما قلت الآثار في قوم إلا ظهرت فيهم الأهواء ولا قلت العلل إلا ظهرت في الناس الجفاء».

عن «جعفر بن محمد»،^(٣) قال: «إذا بلغ الكلام إلى الله فامسكونا،

(١) سليمان بن داؤد أبو الربيع العتكي الزهراني - توفي سنة (٥٢٣٤).

(٢) (٤٨٤).

(٢) عبد الرحمن بن مهدى، بن حسان المختبلى أبو سعيد النصري مات سنة

(٥١١٨).

(٣) جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب أبو عبد الله المعروف بالصادق مات سنة (٥٢٤٨).

- ٤٠٤ -

وأخرج عنه أنه قال: تكلموا فيما دون العرش ولا تكلموا فيما فوق
العرش، فإن قوماً تكلموا في الله فتهاوا.

عن «سفيان الثورى»، أن رجلاً قال له أوصنِي، فقال: إياك والآهواه
إياك والخصومة.

عن «عبد الله بن داود الخريبي»^(١) قال: سألت سفيان الثورى عن
الكلام فقال: دع الباطل أين أنت عن الحق، اتبع السنة ودع الباطل.

عن «أبى إسحاق الفزارى»، قال: قال الأوزاعى: اصبر نفسك على
السنة، وقف حيث وقف القوم، وقل فيما قالوا، وكف عما كفوا،
واسلوك سيل سلفك الصالح فإنه يسعك ما يسعهم، ولو كان خيراً
ما خصصتم به دون أسلافكم.

عن «الأوزاعى»، قال: بلغنى أن الله إذا أراد بقوم شرًا فتح عليهم
المجال ومنعهم العمل.

عن «عائشة»، و«معاذ بن جبل»، و«أبى سعيد الخدري» — رضى الله
تعالى عنهم — قالوا: قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — من وفر
صاحب بدعة فقد أuan على هدم الإسلام.

عن «الفضيل بن عباس»، قال: من أحب صاحب بدعة أحبط
الله عمله وأخرج نور الإسلام من قلبه.

عن «أبى عمر»، قال: قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — من
أعرض بوجهه عن صاحب بدعة بغضنا له ملأ الله قلبه أمنا وإيماناً،
ومن انهر صاحب بدعة منه الله يوم الفزع الأكبر، ومن أuan على

(٢) عبد الله بن داود الخريجي أبو عبد الرحمن — مات سنة (٥٢٣).

- ٤٠٣ -

صاحب بدعة رفعه الله في الجنة مائة درجة ، ومن سلم على صاحب بدعة ، أو لقيه بالبشر ، أو استقبله بما يسره فقد استخف بما أنزل الله على محمد - صلى الله عليه وسلم - .

عن «شعبة» ، قال : «كان سفيان الثورى يبغض أهل الأهواء وينهى عن مجالستهم أشد النهى ، وكان يقول عليكم بالأثر ، وإياكم والكلام فى ذات الله تعالى - .»

عن «أحمد بن مهدى»^(١) قال : «سألت أبا جعفر النجفى»^(٢) عن الخوض فى الكلام ، فقال : سئل «الأوزاعى» عنه فقال : اجتنب علماء إذا بلغت فيه المتقى نسبوك للزندقة ، عليك بالاقداء والتقليد» .

عن «خصيب الجزري» ، قال : مكتوب في التوراة ، لا تجالس أهل الأهواء فيدخل في قلبك شيء من ذلك فيدخلك النار» .

الطبقة الخامسة :

عن «نوح الجامع»^(٣) قال : قلت لأبي حنيفة - رحمة الله عليه - ما تقول فيها أحدث الناس من الكلام في الأعراض والأجسام ، فقال : مقالات الفلسفه عليك بالأثر وطريقة السلف ، وإياك وكل محدثة فإنها بدعة» .

(١) أحمد بن مهدى : أبو جعفر أحمد بن مهدى بن رستم الأصبهانى - توفي سنة (٥٢٧٢ هـ) .

(٢) أبو جعفر النجفى عبد الله بن محمد بن علي بن فضيل - مات سنة (٥١٣٤ هـ) .

(٣) نوح الجامع بن أبي مريم أبو عصمة المرورى الله شى مشهور بكنية ، ويعرف بالجامع بطبعه للعلوم - مات سنة (١٦٣ هـ) .

— ٢٠٤ —

عن «أبي يوسف القاضي»، قال: «من طلب الدين بالكلام
ترنديق».

وعنه أنه قال: «العلم بالخصوصة والكلام جهل، والجهل بالخصوصة
والكلام علم».

عن «ابن المبارك»^(١) قال: «الكذب للروافض والخصوصة للمعزلة،
والدين لأهل الحديث».

عن «محمد بن الحسن»، صاحب أبي حنيفة قال: «قال أبو
حنيفه: لعن الله عمرو بن عبيد فإنه فتح للناس الطريق إلى الكلام
فيها لا يعندهم من الكلام»، قال: «وكان أبو حنيفة يحثنا على الفقه
وينهانا عن الكلام».

الطبقة السادسة:

من طريق «يونس بن عبد الأعلى»، قال: قال «الشافعى»:
لا يقال للأصل لم؟ ولا كيف؟ إنما هو التسليم له».

عن «أبي القاسم عثمان بن سعيد الأنصاطي»، قال: «سمعت
المزني^(٢) يقول: كنت أنظر في الكلام قبل أن يقدم الشافعى، فلما
قدم الشافعى أتيته بسؤاله في مسألة في الكلام، فقال لي: تدرى أين
أنت؟ قلت: نعم أنا في المسجد الجامع بالفسطاط، فقال له: أنت
في «تاران»، قال «أبو القاسم»: وتاران موضع في بحر القلزم
لا تسکاد تسلم منه سفينة، ثم ألقى على مسألة من الفقه فأجبت فيه

(١) «ابن المبارك»: عبد الله المروزى - مات سنة (١٨١) هـ.

(٢) إسماعيل بن يحيى المزني - مات عام (٢٦٤) هـ.

فأدخل شيئاً أفسد جوابي ، فأجبت بغير ذلك ، فأدخل شيئاً أفسد جوابي ، فجعلت كلما أجبت بشيء أفسده ، ثم قال لي هذا الفقه الذي فيه الكتاب والسنة وأقاويل الناس يدخله مثل هذا ، فكيف الكلام في رب العالمين ؟ الذي الزلل فيه كفر ، فترك الكلام وأقبلت على الفقه .

من طريق « عبد الله بن حنبل »^(١) قال : « سمعت ، محمد بن داود »^(٢) قال : لم يحفظ في دهر الشافعى كلام في شيء من الأهواء ولا نسبة إليه ولا أعرف به مع بعضه لأعلى الكلام والبدع .

عن « المزنى » ، أن رجلا سأله عن شيء من الكلام ، فقال : « أني أكره هذا بل أنهى عنه كما نهى عنه الشافعى ، فقد سمعت الشافعى يقول : سئل « مالك » عن الكلام والتوحيد ، فقال « مالك » ، محال أن نظن بالنبي - صلى الله عليه وسلم - أنه علم أمته الاستنتاج ولم يعلمهم التوحيد ، والتوحيد ما قاله النبي صلى الله عليه وسلم - : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ، فما عصم به الدم والممال حقيقة الواحد » .

من طريق « الحسين بن إسماعيل المحامى »^(٣) قال : قال ، المزنى ، سألت الشافعى عن مسألة من الكلام ، فقال : سلني عن شيء إذا أخطأ فيه قلت أخطأ ، ولا تسألني عن شيء إذا أخطأ قلت كفرت .

(١) عبد الله بن أحمد بن حنبل : الشيبانى مات سنة (٢٩٦ هـ) .

(٢) محمد بن داود بن الجراح : أبو عبد الله - مات سنة (٢٩٠ هـ) .

(٣) الحسين بن إسماعيل المحامى الصبى البغدادى ابن عبد الله - توفي سنة (٣٣٠ هـ) .

- ٢٠٦ -

عن « محمد بن عبد الله بن الحكم »^(١) قال : « قال لي « الشافعى » : يا محمد إن سألك رجل عن شيء من الكلام فلا تجده فإنه إن سألك عن دية ، فقلت درهما أو دائناً يقول لك : أخطأت ، وإن سألك عن شيء من الكلام ، فزلت يقول لك كفرت . »

عن « الريبع بن سليمان »^(٢) قال : « سمعت « الشافعى » يقول : المرأة في الدين يقسى القلب ، ويورث الصغاشر ، وأيضاً عن « الريبع » قال : لى « الشافعى » ، ياربيع أقبل من ثلاثة أشياء : لا تخوضن في أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فإن خصمك النبي – صلى الله عليه وسلم – يوم القيمة ، ولا تستغل بالكلام ، فإني قد اطاعت من أهل الكلام على التعطيل ، ولا تشغل بالنجوم ، فإنه يجر إلى التعطيل . »

عن « محمد بن عبد العزيز الأشعري » صاحب الشافعى قال ، قال « الشافعى » رحمة الله تعالى – ، مذهبى في أهل الكلام تقنية رؤوسهم بالسياط وتشريدهم من البلاد .

عن « أبي ثور » و « الكرايسى » و « الزعفرانى » قالوا : « سمعنا الشافعى يقول : حكمى في أهل الكلام أن يضرروا بالجرائد ، ويحملوا على الإبل ، ويطاف بهم في الشوارع والقبائل ، وينادى عليهم هذا جزء من ترك الكتاب والسنن وأقبل على الكلام . »

(١) ابن أعين المصري مات سنة (٢٨٦) هـ .

(٢) الريبع بن سليمان بن عبد الله الجبار المرادي أبو محمد البصري مات سنة (٢٧٠) هـ .

- ٢٠٧ -

عن « محمد بن عبد الله بن عبد الحكم » سمعت الشافعى يقول :
« لو علم الناس ما فى الكلام لفروا منه كا يفرون من الأسد ». .

عن « الزعفرانى » قال : « كان الشافعى يعتم بعمامة كبيرة كأنه
أعراب وبيده هراوة ، وكان أذرب الناس لسانا ، وكان إذا خيض
في مجلسه بالكلام نهى عنه ، وقال لسنا بأصحاب كلام ». .

قال « شيخ الإسلام عبد الله الانصاري » : وقد استقصي ذكر
شدة كراهة « أحمد بن حنبل » للكلام والرأى ، وانكاره على أهلها
في كتاب مناقبها . .

وأخرج عن « أبي عبد القاسم بن سلام » (١) أن رجلا قال له :
ما تقول في رأى أهل الكلام ؟ فقال : لقد دلك ربك على سبيل
الرشد وطريق الحق ، وقال : « فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله
الآية ، أمالك فيها ذلك عليه ربك من كلامه وسنة نبيه — صلى الله
عليه وسلم — ما يغريك عن الرجوع إلى رأيك وعقلك ؟ وقد نهاك الله
عن الكلام في ذاته وصفاته إلا حسب ما أطلقه لك ». .

الطبقة المتابعة :

عن « عثمان بن سعيد الدارمى » قال : لا تكيف هذه الصفات ،
ولا تكذب بها ، ولا تفسرها ، وعنه أنه قال : ما خاض في هذا
الباب أحد من كانوا يذكرون إلا سقط . وأيضا قال : على تصديقها
والإيمان بها أدركنا أهل الفقه والبصر من مشائخنا لا ينكحها منهم
أحد ولا يمتنع من روایتها حتى ظهرت هذه العصابة فعارضت آثار

(١) أبو عبيد القاسم بن سلام البغدادي مات سنة (٥٢٤) .

— ٢٠٨ —

رسول الله — برد فقالوا : كيف ؟ قلنا : لم نكشف كفيته في ديننا
ولا نعقله ، وليس كمثله شيء من خلقه فيشبهه فعلاً أو صفة بقبحهم
وصفاتهم .

عن أب عبد الله محمد بن إبراهيم البوشنجي ،^(١) أنه سُئل عن
الإيهان فقال : الواجب على جميع أهل العلم والإسلام أن يلزموا القصد
للاتباع ، وأن يجعلوا الأصول التي نزل بها القرآن وأتت بها السنن
من الرسول — صلى الله عليه وسلم — غaiات للعقل ، ولا يجعلوا
العقل غaiات للأصول فإن الله — جل وعز — رسوله صلى الله
عليه وسلم — قد يفرق بين المشتبهين ، وبين بين المجتمعين في المعقول
تعبداً وبالبُلوى ومحنة ، ومتى ورد على المرء وارد من وجوه العلم لا يبلغه
عقله أو تفتر منه نفسه وينأى عنه فهمه وتبعده عن معرفته وقف عنده
واعترف بالتفصير عن إدراك علمه وبالحسور عن كنه معرفته ، ويعلم
أن الله عز وجل — رسوله صلى الله عليه وسلم — لو كشف عن علة ذلك
الحادث وأبان وأوضح عن سبيله وعن المراد من مخرجه لأدركه عقولنا ،
ولو كان كل ما أتي به الحكم من الله عز وجل .

والامر بتعبده أثانا مكتشوفا بياء موضحة علته لم تكن للعباد
بلوى ، ولا محنة وإنما المحن الغلاظ والبلوى الشديد للأمور والفرض
التي لا تكشف عللها ليسلم العباد بها تسليماً ، ويقفوا عندها إيماناً ،
ولولا ما وصفناه كان الذي سبق إليه فكر العقول منا أن واجباً في كل
ما سأله رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ربِّه — عز وجل — أن
يجبيه وأن ينزل عليه فيه شفاء ليزداد الناس به علماً ولملائكته فهماً .

(١) أبو عبد الله محمد بن إبراهيم البوشنجي — توفي سنة (٢٩٠) .

ولسنا نرى الأمر كذلك ، فقد سألا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، وسأل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ربها - عز وجل - عن الروح ، فلما أجا به قال الله - تعالى - : « ويسائلونك عن الروح قل الروح من أمر ربى وما أونتيم من العلم إلا قليلاً »^(١)

وعلى ذلك خالق ربنا ما أنزل من شرائعه وأعلام دينه ومعالم فروضه وعباداته في الأمم الخالية ، فأحل لطائفه ما حرم على أمته ، وحرم على أمته ما أطلقه لغيرها من أمته ، وخالف بينهما في أحکامها كالتوراة ، والإنجيل ، والزبور ، والفرقان ، وصحف من مضى من الرسل ، ليسلم الموفق منهم لأمره ونبهه ، وينقص المخذول منهم على عقيبه نفرا من التفريق بين المجتمعين وعن الجماع بين المتفرقين ، وعلموا أن السلامة فيما أنزل عليهم في الاتباع والتقليد لما أمروا به ، والاعتراض عن طلب التكيف فيما أجمل لهم ، وعن الغلو والإيغال في التماس نهيا ياتها للوقوع على أقصى مداخلها ، وإذا كان الأمر كذلك لا يبلغ أبداً ، فإن دون كل بيان بياناً فوق كل متعلق غامض متعلق أغمض منه .

وإذا كان الأمر كذلك ، فالواجب الوقوف عند المستحبمن منه ، ومن أجل ذلك أثني الله - عز وجل - على الراسخين في العلم بأنهم إذا أفضى ببعضهم الأمر إلى ما جهلوه آمنوا به ووكلوه إلى الله - عز وجل - ومن أجل ذلك ذم الله الغالبين في طلب ما زوى عنهم علمه وطوى عنهم خبره ، فقال : « فأما الذين في قلوبهم زيف فيتبعون

(١) ١٧ - الاسراء (٩٠)

ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولوا الألباب ، ومن أجل بعض ما ذكرنا اشتدت الخلفاء المهديون على ذوى الجدل والكلام في الدين ، وعلى ذوى المذاهب والخصوصيات في الإسلام والإيمان ، ومم نجم منهم ناجم في دهر أطفاره ، وأحمدوا ذكره ، وأنعموا عقوبته ، فنهم من سيره إلى طرف ومنهم من ألم به قعر حبس إشفاقاً على الدين من فتلته وحذاراً على المسلمين من خدمات شبهته ، كما فعله الإمام الموفق « عمر بن الخطاب » - رضي الله عنه - حين سأله « صبيخ » عن الداريات ذروا ، وأشار به ، فسيره إلى الشام وزجر الناس عن مجالسته ، وفعله أيضاً « علي بن أبي طالب » - كرم الله وجهه - بعده الله بن سباء ، فسيره إلى المذاهب » .

عن « ابن الجوزي » ، أنه سئل كيف الطريق إلى الله ؟ قال : « أصح الطريق وأعمدها وأبعدها من الشبه اتباع الكتاب والسنة قوله ، وفعلاً ، وعزماً ، وعقداً ، ونية ، لأن الله - تعالى - قال : « وان تطیعوه تهتدوا » فسألة : كيف الطريق إلى اتباع السنة ؟ قال : « مجانبة البدع ، واتباع ما اجتمع عليه الصدر الأول من علماء الإسلام وأهله ، والتبعاد من مجالس الكلام وأهله ، ولزوم طريقة الاقتداء والاتباع . بذلك أمر النبي - صلى الله عليه وسلم - بقوله : « ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفا » .

عن « ابن أبي حاتم » ، قال : « كان أبي وأبو زرعة يقولان : من طلب الدين بالكلام ضل » .

عن «أبي العباس بن سريح»، أنه سئل ما التوحيد؟ قال: «توحيد أهل العلم، وجماعة المسلمين أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله، وتوحيد أهل الباطل الخوض في الأعراض والأجسام، وإنما بعث النبي – صلى الله عليه وسلم – ينكار ذلك».

عن «أحمد بن محمد بن أبي سعد» أنه قال: «من جلس للمناظرة على الغلبة فأوله جدال وصياغ، وأوسطه حب العلو على الخلق، وآخره حقد وغضب. ومن جلس للمناصحة. فأول كلامه موعظة، وأوسطه دلالة، وآخره بركة».

عن «أبي عمرو بن مطر»، قال: «سئل ابن حزمية»، عن الكلام في الأسماء والصفات فقال بدعة ابتدعوها، ولم يكن أئمة المسلمين وأرباب المذاهب وأئمة الدين مثل مالك، وسفيان، والأوزاعي، والشافعي، وأحمد وإسحق، ويحيى بن يحيى، وابن المبارك، ومحمد بن يحيى، وأب حنيفة، ومحمد بن الحسن^(١)، وأب يوسف^(٢) يتكلمون في ذلك، بل وينهون عن الخوض فيه، ويدلون أصحابهم على الكتاب والسنة، فبياك والخوض فيه والنظر في كتبهم بحال».

عن «أب بكر بن بسطام»، قال: سألت «أبا بكر بن سيار» عن الخوض في الكلام فنهاني عنه أشد النهي، وقال عليك بالكتاب والسنة وما كان عليه الصدر الأول من الصحابة والتبعين، وتبعي التابعين، فإني رأيت المسلمين في أقطار الأرض ينرون عن ذلك وينكرونه، ويأمرون بالكتاب والسنة».

(١) محمد بن الحسن الشيباني – توفي سنة (١٨٩ م).

(٢) أبو يوسف – توفي سنة (١٨٩ م).

الطبقة الثامنة :

عن «أب أشعث» قال : «قال رجل لبشر بن أحمد أب سهل الاسفرايني : إنما أتعلم الكلام لأنعرف به الدين ، فنضب وقال : أو كان السلف من علمائنا كفاراً؟».

عن «إبراهيم الخواص» قال : «ما كانت زندقة ، ولا كفر ، ولا بدعة ولا جرأة في الدين إلا من قبل الكلام ، والجدال ، والمراء».

الطبقة التاسعة :

قال : سمعت «محمد بن عمر» الفقيه أبا الفوارس يقول : سمعت «سميل بن محمد الصعلوك» يقول : «أقل ما في الكلام من الخسار سقوط هيبة الله من القلب».

سمعت «منصور بن العباس» يقول : «ما أحصى ما سمعت» أبا الطيب يقول : «أنها كم عن الكلام وتعودون إليه والله الموعد».

سمعت «يجي بن عمار النبهاني» يقول : «العلوم خمسة : علم هو حياة الدين وهو علم التوحيد ، وعلم هو قوت الدين وهو العظة والذكر ، وعلم هو دواء الدين وهو الفقه ، وعلم هو داء الدين وهو أخبار قتن السلف ، وعلم هو هلاك الدين وهو علم الكلام».

قال «شيخ الإسلام» رأيت «يجي بن عمار» ما لا أحصى على منبر ينكر على أهل الكلام ، وكذلك رأيت «عمر بن إبراهيم» ، وما ينخنا يررون عن «الحسن بن أسامة المكي» قال : سمعت أبا يقول : لعن الله أبا ذريعى عبد بن أحمد المروى ، فإنه أول من حمل الكلام إلى الحرم.

وأول من به في المغاربة^(١) .

هذا هو أهم ما ذكره «شيخ الإسلام عبد الله الأنصاري»، في كتابه «ذم الكلام وأهله»، يتبين لنا منه أنه لا يجوز عنده أن يتكلم أحد في ذات الله - تعالى - وصفاته، أو المتشابه من الكتاب، أو في القضاة والقدر والروح والإيمان بما غاب عنا كلاماً يكون خارجاً عن حدود الكتاب والسنة، فالقول الفاصل والخل الصحيح عنده في هذه المسائل العريضة التسليم والانقياد إلى ما جاء في الكتاب والسنة، والخذر عن المباحثات التي تتسبب في الريب، والشك، والزيغ.

فإذن البحث في ذات الله - تعالى - وصفاته، والبحث في القضاة والقدر خارج حدود الكتاب والسنة حرام مطلقاً عنده، ولا يرضى بالتأويلات العقلية التي جامت من علماء الكلام في المتشابهات القرآنية ولا يسمح لأحد أن يبحث في المغيبات مثل الجن، والنار، والملائكة خارج النصوص الواردة، كما روى عن «شيخ الإسلام عبد الله الأنصاري»، في كتابه «طبقات الصوفية» أنه قسم العلوم إلى ما يأتى:

- | | |
|------------------|-----------------------|
| ١ - علم التوحيد. | ٢ - علم الفقه والدين. |
| ٣ - علم الوعظ. | ٤ - علم التعبير. |
| ٥ - علم الطب. | ٦ - علم التجوم. |
| ٧ - علم الكلام. | ٨ - علم المعاش. |
| ٩ - علم الحكمة. | |

(١) أخذت هذه النصوص من كتاب «ذم الكلام وأهله»، الذي كان مخطوطاً في الشريط رقم (٩٧) بالجامعة العربية وهي مطابقة للنصوص التي وردت في كتاب «صون المنطق والكلام»، ص (٢٣ - ٨٢) لـ «جلال الدين السيوطي».

١٠ - علم الحقيقة . ثم علق عليها فقال : علم التوحيد حياة ، وعلم الفقه دواء ، وعلم الوعظ غذاء ، وعلم التعبير ظن ، وعلم الطب حيلة ، وعلم النجوم تجربة ، وعلم الكلام هلاك ، وعلم المعاش شغل عامة الخلق ، وعلم الحكمة مرآة ، وعلم الحقيقة حصول بالوجود الممكّن ، ثم أثبت كل هذه العلوم بالأيات ، وقال في حق علم الكلام : قال الله - عز وجل - : « كذلك جعلنا لكل نبي عدوأً شياطين الإنس والجن يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً »^(١) ..

وقد أشار بذلك إلى أن مباحث علم الكلام تسبّبت في ترك العمل بنصوص الكتاب والسنة فيخرج الناس عن الدائرة المحدودة للشرع ، ويتعلّمون بما جاء في الفلسفة فقط ، ويغترون بأنهم يستطيعون أن يصلوا بفكرةهم إلى كل الحقائق .

قال «شيخ الإسلام» : قال «الإمام الشافعي» : «العلم بالكلام جهل والجهل بالكلام علم» ، ثم أجاز «عبد الله الأنصاري» البحث عن علم النجوم بقدر ما فيه مصالح الدين والمعاش ، ونهى عن مباحث علم النجوم التي ترتبط بالأوهام والخرافات^(٢) .

(١) قرآن كريم من سورة الأنعام - ١٢ - ج ٨ .

(٢) من كتاب طبقات الصوفية بالفارسية لـ «عبد الله الأنصاري» ، المطبوع في كابل (١٤٤١ هـ) ص (١٦ - ١٨) ..

التعليق الخاص على الاختلافات والمناقشات

التي تتعلق بالعقائد الإسلامية وعلم الكلام
وعلى الآراء لـ « عبد الله الأنصاري » في هذا الشأن

قسم « ابن تيمية » طرق العلماء في فهم العقائد الإسلامية إلى
أربعة أقسام :

القسم الأول : الفلاسفة ، وهؤلاء يقولون : « القرآن جاء بالطريقة
الخطابية والمقدمات الإقناعية التي تقنع الجمور ، ويدعون أنهم هم أهل
البرهان واليقين ، والعقائد طريقها البرهان واليقين » .

والقسم الثاني : المتكلمون « أئم المغزلة » ، وهؤلاء يقدمون القضايا
العقلية قبل النظر في الآيات القرآنية ، فهم يأخذون بال نوعين
من الاستدلال . ولكن يقدمون النظر العقلي على الدليل القرآني ، فيقولون
القرآن على مقتضى العقل ، وإن كانوا لا يخرجون عن عقائد القرآن .

والقسم الثالث : طائفه من العلماء تنظر إلى ما في القرآن من عقائد
فتؤمن به ، وبما فيه من أدلة « فتأخذه لاعلى أنه أدلة هاديه مرشدة موجهة
للعقل ؛ ليلتمس المقدمات من بينها ، بل على أنها آيات اخبارية يجب
الإيمان بها اشتغلت عليه من غير أن يتخد مضمونها مقلمة
للاستنباط العقلي .

والقسم الرابع : يؤمن بالقرآن - عقائده وأدله - ولكنه يستعين
بالأدلة العقلية بجوار الأدلة القرآنية^(١) .

(١) أصل النص من رسالة « معارج الوصول » لـ « ابن تيمية » وورد في كتاب
تاريخ المذاهب الإسلامية ص (٢٢٦ - ٢٢٧) .

وبعد هذا التقسيم قرر «ابن تيمية» أن منهج السلف ليس واحداً من هذه الأربعة، بل هو غيرها، لأن العقائد لا تؤخذ إلا من النصوص، ولا تؤخذ أدلتها أيضاً إلا من النصوص، فهو لام لا يؤمنون بالعقل لأنه، يفضل، ولكن يؤمنون بالنص وبالأدلة التي يوحى إليها النص، لأنه وحي أوحى به إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - ويقررون أن تلك الأساليب العقلية مستحدثة في الإسلام، ولم تكن معروفة قطعاً عند الصحابة والتابعين، فإذا قلنا أنها ضرورية لفهم العقائد فوْدَي ذلك أن هؤلاء السلف ما كانوا يفهمون العقائد على وجهها، ولا يدركون على الوجه الأكمل أدلتها .

لاشك أن السلف كما كتب «ابن تيمية»، ومثلما قرأنا سابقاً في نصوص كتاب «ذم الكلام»، خالقون عن الاشتغال في المسائل العرويصة الكلامية، لكن مع هذا جاء كثير من علماء الإسلام فشددوا النكير على هذا الرأي .

كتب «سعد الدين التفتازاني»^(١) في كتابه «شرح العقائد النسفية»، ما يأتى: «اعلم أن الأحكام الشرعية منها ما يتعلق بكيفية العمل، وتسمى فرعية وعملية، ومنها ما يتعلق بالاعتقاد، وتسمى أصلية واعتقادية، والعلم المتعلق بالأولى يسمى علم الشرائع والأحكام، لما أنها لا تستفاد إلا من جهة الشرع ولا يسبق الفهم عند اطلاق الأحكام إلا إليها، وبالثانية علم التوحيد، والصفات لما أن ذلك أشهر مباحثه وأشرف

(١) سعد الدين التفتازاني . هو سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني – وقد ولد في صفر سنة (١٣٢٢ - ٥٧٢) م) في تفتازان من قرى «خراسان»، تلقى العلم على «الإيجي»، و«قطب الدين الرازى»، وتوفي في سمرقند «فيما بين سنتي (٧٩١ و ٧٩٧ هـ) وسنة (١٣٨٩ و ١٣٩٥) م .

مقاصده ، وقد كان الأوائل من الصحابة والتابعين - رضوان الله عليهم أجمعين - لصفاء عقائدهم ببركة صحبة النبي - عليه السلام - وقرب العهد بزمانه ، ولقلة الواقع والاختلافات وتمكنهم من المراجعة إلى الثقات مستغنين عن تدوين العلمين وترتبهما أبواباً وفصولاً وتقرير مباحثهما فروعاً وأصولاً إلى أن حدثت الفتن بين المسلمين ، وغلب البغي على أئمة الدين ، وظهر اختلاف الآراء والميل إلى البدع والأهواء ، وكثرت الفتاوي والواقعات والرجوع إلى العلماء في المهام ، فاشتغلوا بالنظر والاستدلال والاجتهاد والاستنباط ، وتمهيد القواعد والأصول ، وترتيب الأبواب والفصول ، وتكثير المسائل بأدلتها ، وإبراد الشبه بأجوبتها ، وتعيين الأوضاع والاصطلاحات ، وتبين المذاهب والاختلافات ، وسموا ما يفيد معرفة الأحكام العلمية عن أدلةها التفصيلية بالفقه ، ومعرفة العقائد عن أدلتها بالكلام ...

وهذا هو كلام القدماء ، ثم لما نقلت الفلسفة إلى العربية ، وخاص فيها الإسلاميون حاولوا الرد على الفلسفه فيما خالفوا فيه الشرعية . خلطوا بالكلام كثيراً من الفلسفه ليتحققوا مقاصدها فتمكنوا من إبطالها ، وهل جرا ، إلى أن أدرجوا فيه معظم الطبيعيات والإلهيات ، وخاصوا في الرياضيات حتى كاد لا يتميز عن الفلسفه لو لا اشتغاله على السمعيات ، وهذا هو كلام المؤخرين .

وبالجملة هو أشرف العلوم لكونه أساس الأحكام الشرعية ، ورئيس العلوم الدينية ، وكون معلوماته العقائد الإسلامية ، وغايتها الفوز بالسعادة الدينية والدنيوية ، وبراهينه الحجج القطعية المؤيدة أكثرها بالأدلة السمعية ، وما نقل عن بعض السلف من الطعن فيه والمنع عنه فإما هو للستعصب في الدين والقاسى عن تحصيل اليقين ، والقادى إفساد عقائد

ال المسلمين والخاتض فيما لا يفتقر إليه من غواصات المتكلمين ، وإلا فكيف يتصور المنع عما هو أصل الواجبات وأساس المشروعات^(١) .

يثبت مما كتب « سعد الدين التفتازاني » ضرورة الاشتغال بعلم الكلام ، ويؤيد ضرورة الاشتغال بعلم الكلام ما ذكره « الغزالى » من المباحثة التي دارت بين « أحمد بن حنبل » ، و « الحارث المحاسبي » ،^(٢) وهي ما يأتى : أنكر « أحمد بن حنبل » ، « على » ، الحارث المحاسبي تصنيفه في الرد على المعتزلة ، فقال الحارث : « الرد على البدعة فرض » ، فقال « أحمد » : « نعم ، ولكن حكمة شبهتهم أولاً ، ثم أجبت عنها ، فبم تأمن أن يطالع الشبهة من يعلق ذلك بفهمه ولا يلتفت إلى الجواب أو ينظر إلى الجواب ولا يفهم كنهه ؟ ، ثم علق « الغزالى » على رأى « أحمد » ، فقال : « وما ذكره « أحمد » حق ، ولكن في شبهة لم تنشر ولم تنشر ، فاما إذا انتشرت فالجواب عنها واجب ، ولا يمكن الجواب عنها إلا بعد الحكاية » .^(٣)

(١) من كتاب « شرح المقاصد النسفية » ، ص (٧ - ١٤) .

(٢) قال « القشيري » في حق « الحارث المحاسبي » : « عديم النظر في زمانه على وورعاً ومعاملة وحالاً ، بصرى الأصل مات بـ « بغداد » ، مسنة (ثلاث وأربعين ومائتين) ، وقال « أبو عبد الله بن خفيف » : « اقتدوا بخمسة من شيوخنا والباقيون سلوا لهم حالم » . « الحارث بن أسد المحاسبي » ، و « الجنيد بن محمد » ، و « أبي محمد رومي » ، و « أبي العباس بن عطاء » ، و « عمر بن عثمان المكي » ، لأنهم جروا بين العلم والحقائق ، وما دوى عنده قوله : « من صاحب باطنها بالمراقبة والأخلاق زين الله ظاهره بالجهاد واتباع السنة » ، وقد ألف كتبها كثيرة ، ويوجد بعضها بخطوطات في « دار الكتب المصرية » ، وفي مكتبة « الجامعة العربية » ، وأنفس ما يعرف من كتبه « كتاب الرعاية لحقوق الله » ، وقد طبعته الآنسة « مرجريت سميث » ، وقد طبع له كتاب « التوهم » بالقاهرة .

(٣) من كتاب « المنقد من الضلال لحجۃ الاسلام الغزالی » ، ص (٥٠ - ٥١) .

قال «الغزالى»^(١) في حق مقصود علم الكلام ما يأتى : « وإنما مقصوده : حفظ عقيدة أهل السنة وحراستها عن تشویش أهل البدعة ، فقد ألقى الله - تعالى - إلى عباده على لسان رسوله عقيدة هي الحق على ما فيه صلاح دينهم ودنياهم ، كما نطق بمعرفته القرآن الكريم والأخبار ، ثم ألقى الشيطان في وساوس المبتدةة أموراً مخالفة للسنة ، فلم يجروا بها ، وكادوا يশوؤون عقيدة الحق على أهلها ، فأنشأ الله - تعالى - طائفه المتكلمين ، وحرك دواعيهم لنصرة السنة بكلام مرتب يكشف عن تلبيسات أهل البدعة المحدثة على خلاف السنة المأثورة ، فنه نشا الكلام وأهله ، فلقد قامت طائفة منهم بما ندبهم الله - تعالى - إليه فاحسنوا النب عن السنة والنضال عن العقيدة بالقبول من النبوة والتغيير في وجه ما أحدث من البدعة»^(٢)

يتبيّن لنا منه أن «الغزالى» لم يكن مخالفًا لعلم الكلام حتى أنه مع شدته في الرد على الفلسفه ومعاداة الفلسفه لم يبلغ في ذلك مبلغ من أن يرد الفلسفه جملة ويحرم الاشتغال بها من غير تفصيل ، وهو يذكر في كتابه «تهاافت الفلسفه» : «أن الخلاف بينهم وبين غيرهم من الفرق ثلاثة أقسام : قسم يرجع النزاع فيه إلى اللفظ ، وقسم لا يصدم مذهبهم فيه أصلاً من أصول الدين ، والقسم الثالث ما يتعلّق النزاع فيه بأصل من أصول الدين كالقول في حدوث العالم ، وصفات الصانع ، وبيان حشر الأجساد والأبدان ، ثم قال «فهذا الغش ونظائره هو الذي ينبغي

(١) ولد أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالى سنة (٤٥٠ھ) في «طوس» ، إحدى مدن «خراسان» وقوى في «طوس» في الرابع عشر من جمادى الثانية سنة (٥٠٥ھ).

(٢) من كتاب «المنقذ من الضلال» ، ص (١٩ - ٢٣).

أن يظهر فساد مذهبهم فيه دون ماء داهه^(١).

وقد حكى «الغزالى» عن نفسه وقال : «ولم أزل في عنفوان شبابي — منذ راهقت البلوغ قبل بلوغ العشرين إلى الآن ، وقد أناف السن على الخمسين — أقتحم لجة هذا البحر العميق ، وأخوض غمرته خوض المحسور لاخوض الجبان الخذور ، وأنوغل في كل فرقة ، واستكشف أسرار مذهب كل طائفة ؛ لأميز بين حق وبطل ، ومتسن ومبتدع ، لا أغادر باطنها إلا وأحب أن أطلع على بطانته ، ولا ظاهريها إلا وأريد أن أعلم حاصل ظهارته ، ولا فلسفيا إلا وأقصد الوقف على كنه فلسفته ، ولا متكلما إلا وأجتهد في الإطلاع على غاية كلامه ومجادلته ، ولا صوفيا إلا وأحرص على العثور على سر صفوته ، ولا متبعا إلا وأترصد ما يرجع إليه حاصل عبادته ، ولا زنديقا معطلا إلا وأنحس وراءه للتبليه لأسباب جرأته في تعطيله وزندقه .

وقد كان التعطش إلى درك حقائق الأمور دأبى وديدى — من أول أمرى وريغان عمرى — غريزة وفطرة من الله وضعتنا في جبلى ، لا باختيارى وحيلت حتى انخللت عن رابطة التقليد ، وانكسرت على العقائد الموروثة — على قرب عهد من الصبا^(٢) .

وما يناسب أن أذكره وألفت نظر القارئين الكرام هو أنى منذ ست وعشرين سنة أفرأى كتب المنطق والفلسفة والكلام والتصوف ، وبجانبها كتب التفسير والأحاديث والفقه والأصول ، وأنظر فيها جاء في هذه الكتب ، وقد بحثت كثيرا في المسائل العويصة مع الأساندة

(١) من كتاب «تهاافت الفلاسفة» ، ص (٧٧ - ٧٩) طبع دار المعارف بمصر.

(٢) من كتاب «المنقذ من الضلال» ، ص (١٢ - ١٣) طبع مكتبة الأنجلو المصرية .

العظماء إلى درجة أنني كلما أفرأى كتاب «الاشارات»، و«التليميّات»، لـ «ابن سينا»، والشرح المكتوب عليه، وكتاب «شرح المواقف»، وشرحه أجد لذاته من قرائتها ومن الدقة فيها، فهذا الحب واللهة هي جنى إلى أنني كنت أدرس كتاب شرح المواقف، وشرح شرح المواقف، والكتب الكثيرة الأخرى مثل شرح «المقادير النسفية»، و«الخيالي». مراراً وألّفت كتاباً في العقائد موضوعه «إثبات الله وصفاته بالدلائل العقلية، ومسألة القضاء والقدر، وال الحاجة إلى الأديان السماوية بالدلائل العقلية والضرورية، وال الحاجة إلى إرسال الرسول بالأدلة المنطقية»، وأفر باني كثيراً ما شغفني حب هذه العلوم ولكن حينما قرأت كتاب الغزالى خصوصاً كتابه «تهافت الفلسفه»، حصل عندي الشك فيها يتعلق بالفلسفه والمنطق كثيراً وبعلم الكلام في بعض المباحث.

ثم حينما قرأت «تهافت التهافت»، لـ «ابن رشد»، أدهشتني، فهذا الشك والدهشة دفعاني إلى أن أقرأ هذين الكتابين مراراً بكل الدقة حتى وصلت بفضل من الله - تعالى - إلى النتيجة وهي: «أن ال باعث على أن يكتب»، «الغزالى»، كتاب «تهافت الفلسفه»، حماية دين الإسلام من تلاعب بعض الفلسفه بالآراء السماوية والإسلامية، فهو بتأييد من الله - تعالى - استطاع أن يكسر شأن الفلسفه الدين اتبعهم أكثر الناس. كما قال «الغزالى» في كتابه «تهافت الفلسفه»: إنما مصدر كفرهم سباعهم أسماء هائلة كسفراط^(١)، و«بقراط»^(٢)، و«أفلاطون»^(٣).

(١) فيلسوف يوناني ولد عام (٤٧٠ ق - م) .

(٢) هو بعد أبو الطبل القديم ولد عام (٤٦٠ ق - م) .

(٣) فيلسوف يوناني ولد بأثينا فيما يرجع بين سنتي (٤٢٧، ٤٢٩ ق - م) .

و « أرسطو طاليس » (١) ، وأمثالهم (٢) من غير التدقير فيما قالوا ، وقد ثبتت عندي أن « الغزالى » قد قدم للإسلام وال المسلمين خدمة عظيمة ، وان آراءه ودلائله في الرد على الفلسفه آراء تصدر من فكره الصاف و معلوماته الواسعة ودقتها العميقه في البحث عن الحقائق ، وابن رشد وإن كان لا ينبعى لى أن أنكر من عليه وفضله شيئاً لكنه لا شك أنه انحرف في بعض ما كتب في كتابه « تهافت التهافت » عن الحق . (٣)

وياليت واحداً من العلماء المحققين يقوم بالمقارنة العميقه بين آراء « الغزالى » وآراء « ابن رشد » ثم يكتب على « تهافت التهافت » لـ « ابن رشد » كتاباً يسميه كتاب « تهافت تهافت التهافت » ، ويشرح بالدلائل أخطاء « ابن رشد » في تهافتته ، لعل بعض من يتخصص لـ « ابن رشد » يسخر من هذا الاقتراح ، لكن أنا أقول : إن قول « ابن رشد » ليس هو قوله أخيراً في العلم ، إذ قد ثبت أن العلم لا يقبل الكلمة الأخيرة عند الناس .

هذا هو حاصل الانطباع الذى حصل عندي من مطالعه كتب « الغزالى » و « ابن رشد » ، ثم لما قرأت الآراء الكلامية عموماً ، وقارنتها بآراء السلف الصالحين ، وقرأت آراء شيخ الإسلام « عبد الله الأنصارى » ، وما ورد في كتابه « ذم الكلام وأهله » ، وأمعنت النظر فيها وقع بين أفكارى التضارب الشديد ، وحصل عندي بعض الاشتباكات والشكوك

(١) فيلسوف يوناني ولد بأسطا جيرا عام (٣٨٤ ق.م) .

(٢) من كتاب « تهافت الفلسفه » للغزالى ، ص (٧٢) .

(٣) وقد ثبتت عندي أن الغزالى رد على الفلسفه معتقداً بأن العقل لا يستطيع الوصول إلى كنه حقائق ماوراء الطبيعة وأن ابن رشد مع أنه رد على الغزالى وайдى الفلسفه إلا أنه لم يستطع الوصول إلى كنه هذه الحقائق .

والتردد ، بخلست في بيتي ثمانية أشهر قرأت فيها كثيراً من كتب الفلسفة والكلام وفكرت ليل ونهاراً في كثير من المعضلات الفلسفية والكلامية ، وفي الأسباب التي دفعت السلف والخلف إلى الاختلاف فيما دار بينهم خصوصاً حول علم الكلام بجوازه ومنعه ، وكثيراً ما طلبت المعاونة من الله - جل جلاله - في الوصول إلى الحق حتى أني وصلت بعد كثرة المطالعة والدقة في الآراء الكلامية لـ «شيخ الإسلام عبد الله الانصارى» وغيره إلى الحل الآنى :

• حل مشكلة البحث في الآراء الكلامية عندى •

لما قرأت آراء «شيخ الإسلام عبد الله الانصارى» ، التي تتعلق بالكلام وقارنتها بالآراء الكلامية الموجودة في عصره ووصلت إلى النتيجة الآتية : وهى أن «شيخ الإسلام» أوجب الانتقاد والتسليم في المسائل الاعتقادية والمسائل التي فوق عقل البشر لما جاء في الكتاب والسنة ، فهو لا يرضى أن يزيد بالعقل شيئاً ما على النص ، ولا أن يأخذ من العقل عملاً غير توضيح ما جاء في النص ؛ لأن العقل قاصر بما هو خارج عن دائرة النص ، فلا يعتمد على العقل في الوصول إلى الأسرار الاعتقادية ، ولا إلى أسرار المسائل التي فوق طاقة عقل البشر.

لا شك أن هذا المنهج سليم وحال من الخطأ والزلل ، إذ قد أيده السلف ، أما في المسائل الفرعية فقد ثبت أن الأدلة عند «شيخ الإسلام عبد الله الانصارى» عبارة عن الكتاب ، والسنة ، والإجماع ، والقياس ، فهو أولاً يثبت المدعى بالكتاب ، فإذا لم يوجد لها الأساس في الكتاب ، فقد يثبتها بالسنة ، ثم بالإجماع ، ثم بالقياس بأركانه وشرائطه المحددة عند الأئمة . لكن هو يرجح الأركان والشرائط للإمام «أحمد» ، والإمام

الشافعى ، وقد ثبت عند «شيخ الإسلام» أن أكثر الاختلافات التي جامت من الشيعة ، والخوارج ، والمعزلة ، والأشاعرة ، والماتريدية ، وأيضاً أكثر المحاولات التي نشأت من علماء المسلمين في إثبات المسائل الاعتقادية والمسائل التي فوق علم البشر ، وأكثر التأویلات التي صدرت منهم بالعقل والفلسفة كل هذا انحرافات عن الصراط المستقيم وخروج عن الدائرة المحدودة في الشرع المبين .

فإن قيل : إذا وجد شخص يكون خالفاً للإسلام والأديان السماوية فهو طبعاً لا يقبل الدلائل النقلية التي جامت في إثبات الله - تعالى - وصفاته ، وما جاء في القضاء والقدر والأخبار عن الغيبات ، فكيف يستطيع علماء المسلمين اقناعه ومنع انتشار تضليلاته ؟ .

أقول في الجواب إن ما جاء في النص من الدلائل المعقولة لاقناع الخصم كفاية ؛ إذ لا يستطيع أحد أن يجيء بدلائل معقولة أخرى تكون أحسن من الدلائل المعقولة التي جامت في القرآن الكريم ، والأحاديث النبوية ، وأقوال الصحابة ، فلن لا يقنع بذلك الدلائل لا يمكن أن يقنع بآلاف من الدلائل الأخرى ، فإذا زيل ملزم لاقناع الخصم الذي لا يقبل الدلائل النقلية أن لا نقول له قال الله - تعالى - كذا أو قال الرسول - صلى الله عليه وسلم - ، بل ينبغي أن نشرح له أصل الدلائل المعقولة التي جامت في النص ، ونقرب بها إلى ذهنه . فثلاً نأخذ بمفهوم الدليل الذي جاء في آية « لو كان فيما آلة إلا الله لفسدتا » ، وكذا مفهوم الاستدلالات القوية الرائعة الكثيرة الأخرى لإثبات الله - تعالى - وصفاته ، وهذا النوع من الشرح والتوضيح والنهج المقبول لفهم الدلائل المنصوصة لا يخالفه أئمة المسلمين :

من أمثال الإمام «أبي حنيفة» ، والإمام «مالك» ، والإمام «الشافعى» ، والإمام «أحمد بن حنبل» ، وكذلك لا يخالف هذا المنهج «الغزالى» ، و «ابن تيمية» ، وغيرهم من علماء المسلمين »

فإن قيل . إن القرآن السكريم بهم بالتعقل والتدبر ، ومن يقرأ القرآن السكريم يجد فيه كثيراً «أفلا تعقلون» ، «أفلا يتذرون» ، وأن النظر إلى الكون ، وإلى ما في المكون من الآيات والدلائل هو من المبادئ وأسس التي يهدى الله - جل شأنه به الناس ، فإذاً يلزم علينا أن نجحى بالدلائل العقلية الأخرى لإثبات المسائل الاعتقادية غير ما جاء في النص .

أقول في الجواب . التعقل والتدبر في الدلائل المعقولة التي جامت في النص أحسن طريق لاقناع الخصم ، وقد ثبت أن كل تدبر ، وتعقل إذا لم يكن مخالفًا للنصوص ، بل يكون مؤيداً لها هو أيضاً عمل بالنصوص ، لكن يلزم أن يكون البحث والدقة في الدلائل المعقولة بمنحو لا يخرج عن حد الاعتدال ، وبحيث لا يفضي إلى زعزعة العقائد خصوصاً لعامة الناس ، إذ لا يمكن أن يصل أحد إلى كنه الله - تعالى - وأن جميع ما جاء من الاستدلالات هي استدلالات من المعمول على العلة ، وأيضاً لا يمكن أن نعرفحقيقة القضاء والقدر حق المعلوقة خارج حدود النص .

وقد ثبت عندي أن أئمة الإسلام وعلماء الدين اشتهروا بمخالفتهم لعلم الكلام لم يكونوا مخالفين في أن يقنع علماء المسلمين خصومهم في المسائل الاعتقادية بالدلائل المعقولة ، إلا أنهم فکروا وتمقوها ، فعرفوا أن أحسن الطرق لاقناع الخصم هو توضيح الدلائل المعقولة التي جامت

فـي النص لإثبات المسائل الاعتقادية ، لأن الخروج عن هذه الدائرة يفضـي إلى ضيـاع الوقت ، ويـتسـبـبـ في زـعـزـةـ العـقـائـدـ ، وـيـؤـديـ إـلـىـ الإـلـحادـ . . .

فـإنـ قـيلـ هـلـ يـجـوزـ لـعـلـمـاءـ الـمـسـلـمـينـ أـنـ يـعـرـفـواـ الرـدـودـ المـضـالـلةـ للـمـخـالـفـينـ أـمـ لـاـ ؟ـ وـلـوـ قـلـنـاـ :ـ نـعـمـ خـيـئـذـ يـكـونـ هـذـاـ الـعـمـلـ خـرـوجـاـ عـنـ دـائـرـةـ الـدـلـائـلـ الـمـنـصـوصـةـ ،ـ وـلـوـ قـلـنـاـ :ـ لـاـ ،ـ فـكـيـفـ يـسـتـطـعـ عـلـمـاءـ الـمـسـلـمـينـ إـقـنـاعـ الـخـصـومـ وـدـفـعـ تـضـليـلـاتـهـمـ ؟ـ .

أـفـوـلـ فـيـ الجـوابـ :ـ نـعـمـ ،ـ لـكـنـ لـيـسـ التـعـرـفـ بـرـدـودـ الـمـخـالـفـينـ وـتـضـليـلـاتـهـمـ خـرـوجـاـ عـنـ دـائـرـةـ الـدـلـائـلـ الـمـنـصـوصـةـ ،ـ بـلـ لـأـجـلـ الـدـافـعـ عـنـ الـدـلـائـلـ الـمـنـصـوصـةـ ،ـ وـلـأـجـلـ أـنـ يـتـعـرـفـ عـلـمـاءـ الـمـسـلـمـينـ عـلـىـ تـضـليـلـاتـ الـمـخـالـفـينـ ؛ـ لـكـيـ يـرـدـوـهـاـ بـالـدـلـائـلـ الـمـعـقـولـةـ الـثـابـتـةـ الـتـيـ جـاءـتـ فـيـ النـصـ ،ـ وـهـذـاـ مـاـ لـاـ بـخـالـفـهـ أـمـةـ الـمـسـلـمـينـ مـنـ الـقـدـمـاءـ وـالـمـتـأـخـرـينـ .

وـعـماـ يـلـزـمـ ذـكـرـهـ هـوـ أـنـ طـرـيقـ الـاسـتـفـادـةـ مـنـ الـدـلـائـلـ الـمـعـقـولـةـ الـتـيـ جـاءـتـ فـيـ النـصـوـصـ يـمـكـنـ أـنـ يـتـغـيـرـ وـيـتـجـدـدـ فـيـ الـأـزـمـانـ وـالـظـرـوفـ وـالـشـرـائـطـ بـحـيثـ لـاـ يـتـغـيـرـ الـأـصـلـ الـثـابـتـ فـيـ النـصـ ،ـ فـهـذـاـ النـسـوـعـ مـنـ التـجـدـدـ وـالتـغـيـرـ فـيـ الـحـقـيقـةـ هـوـ التـجـدـدـ فـيـ طـرـيقـ الـاسـتـفـادـةـ وـالـمـنـوـجـ ،ـ وـلـيـسـ هـوـ تـغـيـرـاـ وـتـجـدـداـ فـيـ أـصـلـ الـدـلـائـلـ الـمـنـصـوصـةـ الـمـعـقـولـةـ الـثـابـتـةـ ،ـ فـيـجـوزـ لـعـلـمـاءـ الـمـسـلـمـينـ أـنـ يـكـامـلـواـ الـذـاسـ ،ـ عـلـىـ قـدـرـ عـقـولـهـمـ ،ـ وـأـنـ يـعـبـرـواـ بـأـسـلـوبـ يـصـلـوـنـ بـهـ لـمـاـ يـرـامـ بـحـيثـ يـتـسـبـبـ فـيـ تـحـكـيمـ عـقـائـدـ الـمـسـلـمـينـ ،ـ وـيـرـدـ بـهـ شـبـهـاتـ الـمـضـالـلـ وـالـمـخـرـبـينـ وـهـذـاـ هـوـ مـاـ اـتـفـقـ عـلـيـهـ أـمـةـ الـمـسـلـمـينـ .

أـمـاـ التـوـغلـ فـيـ الـمـسـائـلـ الـكـلـامـيـةـ ،ـ وـالـمـحاـوـلـةـ الـفـاشـلـةـ فـيـ الـوـصـولـ

إلى كنه ما وراء الطبيعة (الميتافيزيقية) ، والاشتغال بباحث ما قيل وقلنا من الشبه . والأجوبة الموثومة . والخيالية فهذا لا شك يتسبب في ضياع الوقت وزعزعة العقائد ، ويولد منه الأخطار الخطيرة . . . ، ولو سلمنا أنه تدريب لتنمية الأذهان وتهيئه للمدافعة عن الإسلام ، فنقول أولاً التدريب والتهيؤ الذي يحصل من الآيات والأحاديث لا يساويه تدريب ولا تهيؤ آخر ، وثانياً نصر بجوازه لكن لا بدرجة التوغل ، ولا جميع المسلمين ، ولكل علماء المسلمين بل بقدر الضرورة للعلماء الذين عندهم قوة الذكاء والخبرة والإيمان .

وما يلزم أن ذكر هو أنه حصل عندي من كثرة التفكير ، والبحث ، والدقة في هذا المجال أفكار متنوعة مموجة أخرى ، الشخصها في الأسئلة والأجوبة الآتية : -

الأسئلة :

- ١ - هل العقل يستطيع أن يصل إلى كل الحقائق أولاً ؟
- ٢ - هل التسليم والانقياد ضروري في الإسلام أولاً ؟ فلو كان ضرورياً فإلى أي درجة ؟
- ٣ - هل المباحثات والاختلافات التي جامت في علم الكلام يوجد لها جواز في الشرع أولاً ؟
- ٤ - هل نحتاج في عصرنا الحاضر إلى أن يكون في ضمن علماء الإسلام علماء لهم قوة الإيمان والعقيدة فيفهموا كتب الفلسفة ، والمنطق ، والكلام حتى يكونوا كالحارسين ليحفظوا الدين الإسلامي من زينغ الزائفين ؟ .

٥- كيف وبأى طريق نستطيع أن نفهم الناس أنهم محتاجون في حياتهم ومعادهم إلى مبادئ الإسلام؟ .

الجواب على هذه الأسئلة وإن كان يحتاج إلى الدقة والبحث العميق لكن مع هذا أستعين بالله - عز وجل - ، وأقول في الجواب ما يأتي : -

١- العقل كا جربناه لا يستطيع أن يصل إلى كل الحقائق ، ومن ثم نرى الاختلاف والتناقض في الآراء والأفكار كثيرا ، ونرى تغير إحساس المصالح الخاصة وال العامة بتحول الأسباب وتطور موجبات العصور والأزمات ، والسر الأصلي في هذا هو أن العقل لأجل ارتباطه وتعلقه بالماديات لا يمكن أن يخلص من العوارض المادية وظلماتها ، فبرحمة من الله - تعالى - جاء الأنبياء والرسل ؛ لكي يكشفوا الحقائق عن الأ Starr المادية ، ويعلموا الناس مصالحهم الدينية والدنيوية ، فإذا ثبت أنه يجوز للعقل النشاط وله حق التصرف . لكي في إدارة الماديات الدفيوحة ، وتحت توجيهات الأنبياء والرسل ، وأما الخارج عن هذه الادارة والتوجيه ، فلا يمكن أن يصل العقل إلى الحقائق الميتافيزيقية ، فإذا المحاولة للوصول إلى الحقائق الميتافيزيقية ، كما صدر عن الفلسفـة الكـبار ليس إلا محاولة في إطار خارج المقدور والاضياع الوقت ، وقد ثبت أنهم حتى الآن لم يصلوا ولن يصلوا إلى كنه ما به السكون ، فإذا يلزم على العقلاء أن يحددوا تصرفات العقل في داخل دائرة قدرته ، لكي يستريح الناس ، ويطمئنوا ، وتزيد المصالح المدنية .

٢- بعد أن سلمنا أن العقل لا يستطيع أن يصل إلى كل الحقائق وأنبتنا احتياج الناس إلى تعليمات الأنبياء والرسل إجمالا يلزم علينا

التسليم والانقياد في المسائل التي لا يمكن أن تصل إليها عقولنا مثل مسألة كنه الله - تعالى - وصفاته ، والملائكة ، والقضاء ، والقدر ، والقيامة ، والجنة ، والنار ، والروح ، والتشابه ، ففي هذه المسائل لا حاجة إلى البحث فيها خارج حدود الشريعة ؛ لأن البحث فيها لا يؤدي إلى الوصول إلى آخر درجة ولا يألف بشمرة ، بل كلما يزيد البحث خارج الحدود يزيد الإشتباه والخطأ ، ومن ثم نرى الآراء التي جامت خارج حدود الشريعة متنافية ومتصادمة ، فثبتت عندي أن أسلم الطرق هو طريق السلف والطريق الذي اختاره شيخ الإسلام « عبد الله الأنصاري » وهو التسليم لما جاء في الكتاب والسنة ؛ إذ لا يمكن لأحد أن يأتي بأحسن مما أتي به الله والرسول ، فإذاً أسلم الطرق طريق السلف الصالح ، هو أن لانعطي للعقل سلطانا في تأويل القرآن وتفسيره أو تخريجه إلا بالقدر الذي تؤدي إليه العبارات وما تضفت عليه الأخبار ، وإذا كان للعقل سلطانا بعد ذلك فهو في التصديق والإذعان ، وبين تقريب المنقول من المعقول وعدم المنافرة بينهما ، فالعقل يكون شاهدا ولا يكون حاكما ، ويكون مقرراً مؤيداً ولا يكون نافضاً ولا رافضاً ، ويكون موضحاً لما اشتتمل عليه القرآن والسنة من الأدلة .

٣ - نعم لها جواز إذا لم تختلف النص إذ قد تتحقق عندي أن شيخ الإسلام « عبد الله الأنصاري » والسلف لا ينكرون المباحث الكلامية داخل الحدود ، ولا يريدون تعطيل العقل عن نشاطه داخل إطاره ، بل ينكرون البحث في المسائل الاعتقادية خارج حدود الشريعة وإطارها بحيث يضيع الوقت ويوشوش الأذهان ، فإذاً لا مانع من أن نشرح ونبين ما جاء في الكتاب والسنة من الدلائل والآيات الدالة

على وجود الله ، وقدرته ، وعظمته ، وتربيته ، وسائر أوصافه ، وصدق رسوله بالعقل ، وأن نبحث في معجزة الرسول ونستدل بحقيقة واقعيتها فنقربها إلى عقول الناس ، وهكذا البحث في المسائل الكلامية الأخرى فهذا النوع من البحث له جواز في الشرع ولم ينكروه السلف ولا شيخ الإسلام « عبد الله الأنصاري » ، فيصح أن نقول : ليس لكل ما جاء في علم الكلام الجواز في الشريعة ، لأن في بعض مباحث علم الكلام خروجاً عن حد الاعتدال وعما يقدر عليه عقل البشر ، وضياع لوقت ، ومبرر لإيقاع المسلمين في الاختلافات والفتن ، كما أنه ثبت عند المحققين والمخلصين من علماء الإسلام أن أيدى الاستعمار والمؤامرات السياسية وأغراض المستغلين أيدت أكثر تلك المباحثات والاختلافات الجافة بين المسلمين ، ولا شك أنه ثبت أن هذا النوع من الاختلافات والمناقشات من جملة الأسباب التي أدت إلى تأخر المسلمين والشرقيين في المدنية .

٤ - قد تتحقق عندي أن عامة المسلمين تكفي لهم العقيدة الإسلامية الأصيلة ، وبعد صحة العقيدة يلزم عليهم القيام بالفراصن والواجبات والأوامر والنواهى ، ثم حسن المعاملة والنشاط والإخلاص في خدمة الاجتماع كا هي؛ لكي ترقى بلاد الإسلام ، ويقوى المسلمون ، ويسد احتياجات الناس ، وتحل مشكلاتهم ، نعم : على المسلمين أن يخلصوا البشر مما أنزل بهم قساوة القلوب من الشدة والبأس والاختلاف ، وينعوا الظلم والاستغلال وأنصار حقوق الإنسانية ، هذا بالنسبة لعامة المسلمين أما خاصة المسلمين أي العلماء الذين لهم قوة الإيمان والعقيدة فيلزم عليهم فوق ما يلزم عليهم من أداء الفراصن والواجبات ، والأوامر والنواهى أن يحفظوا عقائد المسلمين من الزلل ، وأن يوجهوا عامة الناس إلى ما فيه منافعهم

الدفيوية والدينية، فإذا ذكرنا أن يكون فيهم من يفهمون كتب الفلسفة والمنطق والكلام بالدقّة، حتى يكونوا كالحارسين يحفظون دين الإسلام من زيف الزانعين؛ لأن أعداء الإسلام يحاولون أن يزلزلوا عقائد المسلمين وأفكارهم بدينهم، وأن كثيراً من السفهاء يدھشهم أن يسمعوا أن هذا رأي فلان من الفلاسفة والمذاقنة وأهل الكلام المشهورين، فيقلدونهم فوراً تقليداً العمياء من غير تحليل وتدقيق، فلو كان في علماء المسلمين من يفهم أساليبهم ويستطيع أن يرد آراء الخالفين، ويقنع المسلمين بصدق دينهم، فلا شك أن هذا يكون خدمة عظيمة للإسلام والمسلمين، كما أن الأستاذ الإمام الكبير «مصطفى عبد الرزاق» باشا أورد في كتابه «تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية» النص الآتي:

«إن من رسخ قواعد الشريعة في قلبه، وامتلاه قلبه من عظمة هذا النبي الكريم وشرعيته، وتأييده بحفظ الكتاب والسنة، وقوى مذهبه في الفروع يحل له النظر في علوم الفلسفة لكن بشرطين:

أحدهما: أن لا يتجاوز مسائلهم المخالفة للشريعة، وإن تجاوزها فإنما يطالعها للرد لا لغيره.

وثانيهما: أن لا يمزج كلامهم بكلام علماء الإسلام، ولقد حصل ضرر عظيم على المسلمين من هذه الجهة لعدم قدرتهم على تمييز الجيد من الرديء، وربما يستدللون بإيرادها في كتب الكلام على صحتها^(١).

هـ - قد تتحقق عندي أن الطريق الوحيد لإيصال الناس بأنهم

(١) من كتاب «تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية»، ص (٨٧) الطبعة الثانية من لجنة التأليف، والترجمة، والنشر في القاهرة.

يحتاجون إلى مبادئ الإسلام أن يكون في المسلمين أهل القلوب الصافية ومن لهم معرفة قوية بأسرار المسائل الدينية بعقائدها وأعمالها ، ولهם رابطة قلبية مع الله - تعالى - ورسوله - ودينه ، ولهم بجانب العلم العمل ، ويكون غايتهم القصوى في الحياة الإطاعة لما أمر الله - تعالى - ونهى والخدمة لما في دين الإسلام ، وغاية غايتهم تكمل رسالة الحياة على أحسن وجه ، وحصول رضى الله - تعالى - ، وإذا وجد هذا النوع من العناصر فهم يستطيعون أن يجمعوا أشتات المسلمين ، فيتفق المسلمون وعلماؤهم في المشارق والمغارب لتأييد دينهم وتلقين مبادئ الإسلام كما هي هى نعم : من كان عنده صدق الإيمان ، وحسن النية ، وخلوص العبادة والمعاملة ، ويتقى الله - تعالى - ويطلب رضاه - يستطيع أن يحفظ الإسلام والمسلمين من زيف الزائفين ودسائس المؤامرين من الكفارة والمبتدعة بعون الله - تعالى - ، ويستطيع أن يفهم الناس بأنهم يحتاجون في إمرار الحياة الطيبة أشد الاحتياج إلى أن يطبقوا مبادئ دين الإسلام ، وأننا في كثير من الأوقات أفكر أنه يلزم على المدارس والجامعات الإسلامية ، وعلى من كان بيده زمام المسلمين ويدعى زعامة الإسلام أن يهيء لاجتماعات المسلمين هذا النوع من العناصر الطيبة والرجال الصالحة بالتدريبات الإسلامية الخاصة .

تصوف «عبد الله الأنصارى»، وحياته الروحية

قد ثبت أن «شيخ الإسلام عبد الله الأنصارى»، بعد أن قام بالدراسات العميقه في الكتاب والسنة وأثار السلف الصالح حصل عنده اليقين بأن دين الإسلام عبارة عن الشريعة والحقيقة وأن الحقيقة أساسها الشريعة، وجاءت الشريعة لأجل أن توصل الناس إلى الحقيقة، ثم علم أن الأحكام الشرعية هي الوسيلة الوحيدة للوصول إلى معرفة الحقائق، وعرف أن معرفة الحقائق والإطاعة للحق الأول والآخر هي الغاية القصوى للإيجاد، كما قال الله - تعالى - : «وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون»، (أى يعرفون)، فعلى هذا اهتم «شيخ الإسلام عبد الله الأنصارى» بالشريعة والحقيقة اهتماماً بالغاً، وبدأ في تلقيناته وحلقات تدريسه يوجه الناس إلى الحياة الروحية، ويفهمهم بحقيقة التصوف طبقاً لما جاء في الكتاب والسنة والآثار.

وهما يلزم أن أذكره أن المهد الأأسى جميع الأديان السماوية، والغرض الأصلى من محاولات الأنبياء والرسل هو معرفة الحق وأن يكشف للناس عما يوصلهم إلى الفلاح في الدنيا والآخرة، فالرسل والأنبياء لصفاء قلوبهم بأنوار الله - تعالى - وصلوا إلى الحق، ونطقوها بالحق، وعملوا عملاً يطابق الحق. نعم الأنبياء والرسل كلهم علموا أن المهد الأصلى من الحياة المعرفة فلقنوا الناس وأفهموهم بأن الغاية الأصلية من الحياة هي المعرفة والإطاعة للحق، ففي هذا المسير وصلت سلسلة الأنبياء والرسل إلى محمد - صلى الله عليه وسلم - ووصلت سلسلة الأديان السماوية إلى دين الإسلام، ثم دين الإسلام في مسيرة صعدت أنوار هداياته إلى ذروة السكال، كما قال الله - تعالى - : «اليوم

أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتي ، ورضيت لكم الإسلام دينا ، ولو قرأت جميع ما أنزل وأوحى إلى سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - لوجدنا في كلها كشفاً لأسرار المعرفة الحقة ، ووسيلة لتأمين الحياة الطيبة .

فيما من أراد الدنيا والآخرة ، ويما من يريد معرفة الحق وأسرار الكون من مبدئها وجودها وفنائها ومعادها ، ويما من يدعى حماية الحق وخدمة البشر ، ويما من يبحث عن علم اليقين ، وعن اليقين ، وحق اليقين ، ويما من يهوى الزهد والعبادة والمعرفة هلوا إلى دين الإسلام ؛ لأنَّه دين فيه سعادة الدنيا والآخرة ، وبه يعرف الحقوق ، وبه يعلم الإنسان حقائق الكون من أولها إلى آخرها ، وهو دين يرشد الناس إلى حماية الحقوق ويستطيع الإنسان أن يخدم به الناس حق الخدمة ، وهو دين العلم والقول والعمل بحيث أنَّ من علمه حق العلم فقد علم الحق ، ومن قال ونطق به فقد قال ونطق بالصواب ، ومن عمل به حق العمل يجد فيه خيره وسعادة كافة الناس ، فطوبى لمن علم ونطق وعمل به ، أوَّلئك هم الفائزون فوزاً عظيماً ؛ لأنَّهم الذين يعتقدون بالحق للحق ، ويعملون الخير للخير ، فلا تؤثِّر على أهدافهم الأعراض المادية ولا الأغراض النفسية ، ولا يخافون في طريق الوصول إلى الحق لومة لائم ، وهم الذين يوصفون بأولى العزم والإرادة الحقة القوية في حياتهم لوصولهم للأهداف السامية ، وهم عناصر الصلاح والصلاح الذين وقفوا أنفسهم لله وفي الله ، وهم الصوفيون الأبرار والأخيار والأقطاب ، وأوَّلئك الذين اتقوا ، وأوَّلئك هم المفلحون ، فعلى الناس أن يعرفوا حياتهم الروحية ويهتدوا بهديهم ويستفيدوا من أنوارهم الربانية ، فما أَنْذَا أقدم الحياة الروحية لـ «شيخ الإسلام» آخذاً عما ورد في آثاره .

منهج تصوف «عبد الله الأنصاري»

أقول قبل أن أشرح تصوف «عبد الله الأنصاري»: قد عرف التصوف بتعريفات كثيرة، وأحسنها عندي هي: أنه علم يعرف به رياضة القلب ومجاهدة النفس بحيث تحصل الأذواق وتقع المشاهدات، وفي هذه المشاهدات وتلك الأذواق تكشف الحقائق، وتعرف الدقائق، ويعرف الإنسان ربه معرفة يقينية لا يأتيها الشك من بين يديها ولا من خلفها، ويستشعر من معرفته هذه سعادة لا تعادلها سعادة أخرى مما كانت السعادة حسية أو عقلية.

روى أنه لما زاد عدد من سموا أنفسهم بالصوفية وانحرفوا عن الاعتدال وزادوا الإباطيل والخرافات والبدع قام الشيوخ المحققون من أهل التصوف بالتبليغ والبيان والتأليف لكي يخلصوا الناس من الضلال، ويهودوهم إلى طريق الحق، فبدأ «الشيخ الجنيد» رحمة الله تعالى - هذه الحركة من «بغداد» وأيده «أبو نصر السراج» وتلميذه «أبو عبد الرحمن السلمي» وتلميذ السلمي «عبد الكري姆 الفشيري»، ثم «شيخ الإسلام عبد الله الأنصاري» في «خراسان».

وقد تحقق أن «عبد الله الأنصاري» أخذ تصوفه من الكتاب والسنة وآثار السلف الصالحين، ونزعه من الخرافات والبدع، وطبقه على نفسه، ثم لقنه حق التلقين لتلاميذه ومربيه؛ لأن التصوف صار في عصره وسيلة للاستغلال، ودخلت فيه خرافات كثيرة، فقام هو لتجديده، وقسمه إلى الآداب الظاهرة والآداب الباطنية.

الآداب الظاهرية للتصوف عند « عبد الله الأنصاري »

قد أمل « عبد الله الأنصاري » على تلاميذه ومربييه في هذا الباب رسالة باللغة الفارسية التي سميت بـ « المختصر في آداب الصوفية والمسالكين لطريق الحق »،^(١) جاءت فيها المطالب الآتية :

قال « الشيخ الإمام العارف أبو اسماعيل عبد الله الأنصاري » : « اعلم أن التصوف عبارة عن أربعة أمور : الصفاء ، والوفاء ، والفتاء ، والبقاء ، ويقول « سهل التستري » — رحمة الله تعالى — : « التصوف الصفاء من السكر والامتلاء من الفكر والانقطاع إلى الله تعالى — من البشر » ، ثم قال « شيخ الإسلام » : « واعلم أن لأهل التصوف آداباً كثيرة في القعود ، والقيام ، والنوم . ولبس اللباس ، والأكل ، والشرب ، والدعوة ، والسماع ، وفي الحضر ، والسفر ، بل في كل الحالات ، فكل من لبس الخرقة ، واختار زى المتصوفين يلزمهم أن يعرف آدابهم ويعمل بها ؛ لكن يتجلى ظاهره ببركة رعايته الآداب الظاهرية للتصوف ، ثم باطنه بحقيقة التصوف كافالوا من كان له ظاهر ملبيح كان له باطن صحيح » ، فيلزم على السالك رعاية الآداب الظاهرية ؛ لكن يكمل باطنه بألوان الحقيقة ؛ لأن أثر الباطن يتجلى في الظاهر والظاهر دليل على الباطن ، كما أن الدخان دليل على النار ، والغبار يدل على الهواء ، والتلميذ يروى عن أستاذه ، ثم قسم الآداب الظاهرية إلى سبعة أنواع : —

(١) توجد هذه الرسالة مطبوعة باللغة الفارسية ، وأيضاً ترجمت في مصر سنة (١٩٦٠ م) إلى العربية ، وطبعت ، إلا أن لم أغير عليها فأخذت أصل الرسالة باللغة الفارسية وترجمت منها ما أردت .

١ - آداب لبس الخرقة :

قال «شيخ الإسلام» في آداب لبس الخرقة : أنه يجب على كل من يريد أن يلبس الخرقة أن يلبسها في أول الأمر من يد المرشد الذي يكون موافقاً معه في الشريعة والطريقة والحقيقة ، بأن يكون عالماً بأصول الشريعة ، وعارفاً بآداب الطريقة ، ووافقاً على أسرار الحقيقة بحيث أن المرشد لو حصلت عنده مشكلة في الشريعة ، فهو يستطيع بعلمه حلها ، ولو وقعت في طريقته واقعة ، فهو يستطيع بمعرفته أن يوضحها ، ولو وجد عنده في الحقيقة سر ، فهو يستطيع بيصيرته أن يكشف السر ، ثم قال «شيخ الإسلام» : لا يلبس المرشد الخرقة من يد أولاد المرشدين الذين اشتهروا بالتصوف من آبائهم ، ولم يم الاعتبار عند الناس وعند الملوك وأبناء الدنيا ، ويحترمهم السلاطين لشرفتهم وكثرة متعلقيهم ومربيهم ؛ لأن هذا النوع من الناس لا يليق أن يكونوا مرشدين للتصرف ؛ إذ لا يحصل من صحبتهم إلا الفساد .

(نعم : الولاية ليست بالميراث ، وأولياء الله - تعالى - لا يحبون الشهرة ، والاعتبار عند الناس ولا عند الأمراء وأهل الأراء) .

وقال أيضاً : «يلزم أن يكون المرشد سنياً ؛ لأن المبتدع لا ولية له ، فلو رأيت مبتداً ظهر منه خارق العادة ، فلتحذر ولا تغتر به ؛ لأن ماظهر منه من الخوارق - حبائل الشيطان وتحاليه ؛ لأن للشيطان شياكاً من الحيل يريد أن يضل الناس بأهل البدع ، فيلزم على صاحب البصيرة أن يحذر من تلك الشياك (الحبائل والحيل) . ومن أعظم ما يغتر به عامة الناس هو زهد المبتدع وصلاته ، إذ هو يعبد ويزهد لمغتر به الناس ، فيقتدوا به . ويتقرب إلى الناس بالحبة ؛ لكي يزرع

في قلوبهم تدريجاً بذر بدعته، حتى ينحرفو عن طريق السنة (والصراط المستقيم)، ولو دقت النظر تجد في عاقبة أمرهم الكفر والضلاله — أَعُوذ بالله من صحبة أهل البدعة — ، فإذاً يلزم أن يلبس المريد خرقته من يد مرشد سني عالم بالشريعة والطريقة والحقيقة.

ثم قال «شيخ الإسلام» : «يلزم من يلبس الخرقه أن يتحمل الصعوبات في الطريقة، وأن يصبر بالرضاشه والمجاهدة ، ولا يرجع عن عزمه وإرادته في التصوف؛ لأن مرتد الطريقة أصبح من مرتد الشريعة، حتى أن الصوفيين قالوا : «طلب الحال بعد الزوال محال» ، ثم ذكر تفصيات أخرى في أنواع لبس الخرقه والمرقعة ، ومن ضمن تفاصيله يظهر أنه أخذ كلمة التصوف من الصوف^(١) ، وأن أول من لبس الصوف هو آدم — عليه السلام — وحواء ، وذكر أن موسى عليه السلام كان يلبس أيضاً لباس الصوف وأن لباس الصوف أحسن للباس .

يظهر مما ذكره «شيخ الإسلام» ، والمتصوفون الآخرون في حق لبس الخرقه والمرقعة أن لا باعث على لبسها إلا كسر شأن النفس ولأن يستحي الإنسان في لباس الصلحاء ، فلا يرتكب أعملاً خلاف الشريعة ، ويصمم على القيام بأحسن العبادات والمعاملات ، ويقف حياته في سبيل الله — تعالى — لكي يكمل رسالة حياته على أحسن وجه وإلا فلبس

(١) في كلمة التصوف اختلاف، هل هي في الأصل أخذت من «صوف»، أو «صفة»، أو «صفاء»، أو «صف»، أو كلمة يونانية أخذت من «سوف»، بمعنى الحكمة؟ فمن أراد كثرة المعلومات والدقة في تحليل كلمة التصوف فليقرأ كتاب «المفقود من الضلال»، لحجۃ الإسلام «الغزال»، من ص (٨٥) إلى ص (٩٣). يظهر منه أن الأرجح هو أن كلمة التصوف أخذت من صوف».

الخرقة والمرقعة ليس ضروريًا في دين الإسلام ، ولم يوجد في الكتاب والسنة التكليف بلبسها ، فعم : يوجد له الأساس بمعنى أنَّ مُحَمَّدًا — صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — وأصحابه لبسوا للباس المرقع . لتعليم الناس بأن لا يضيعوا لباسهم ما دامت تحصل منه الفائدَة ، ولا يكلفوا أنفسهم بالحصول على اللباس الجديد الغالي ، كما أنَّ هـذا العمل منهم أساس لفلسفة المـكافاف وعدم الإسراف والتـبـذير . لكن لبسهم للباس المـرقع ليس مثل لبس اللباس المـرقع الذي يلبسه بعض من يدعى التـصـوف بأن يحيط لباسه من مئات الرـقـع ، فـمـا لـيـسـ منـ أمرـ الدـينـ وـأـحـكـامـهـ ؛ إذ قد ثبت أنَّ الدين قد جاء لليسير لا للعسر ، فأحسن التعبير عن لبس الخـرـقةـ هوـ أـنـهـ كـانـ فـيـ الـأـوـلـ عـادـةـ مـنـ العـادـاتـ وـتـقـليـداـ مـنـ التـفـالـيدـ فـيـ لـبـاسـ الصـالـحـينـ وـالـأـنـقـيـاءـ ، كـماـ يـقـلـدـ رـهـبـانـ الـمـسـيـحـيـيـنـ آـبـاهـمـ فـيـ تـقـالـيدـهـمـ الـخـاصـةـ . لكن بـمـرـورـ الزـمـانـ قدـ حـصـلـتـ التـغـيـرـاتـ إـلـىـ أـنـ جـاءـ عـصـرـنـاـ الـذـيـ نـعـيـشـ فـيـهـ ، فـتـحـولـ شـكـلـ لـبـاسـ صـلـحـاءـ الـمـسـلـمـيـنـ مـنـ لـبـسـ الـخـرـقةـ وـالـمـرقـعـةـ الـقـدـيمـةـ مـنـ لـونـهـ وـكـمـهـ وـكـيـفـهـ إـلـىـ لـبـاسـ الشـيـوخـ وـالـعـلـمـاءـ بـعـمـامـهـمـ وـجـبـهـمـ ، وـيـحدـرـ بـيـ أنـ أـقـولـ فـيـ حـقـ الـعـلـمـاءـ وـالـصـالـحـينـ إـنـهـ يـلـزـمـ مـنـ يـلـبـسـ لـبـاسـ الشـيـوخـ وـأـهـلـ الـعـلـمـ أـنـ يـكـوـنـ باـطـنـهـ كـظـاهـرـهـ بـأـنـ لـيـعـمـلـ عـمـلاـ يـوـقـعـ النـاسـ فـيـ الـفـتـنـةـ ؛ إذ يـنـسـبـ عـامـةـ النـاسـ أـخـطـاءـ رـجـالـ الـدـينـ إـلـىـ الـدـينـ نـفـسـهـ .

ثم أورد «شيخ الإسلام» من التحليلات والإشارات ، فقال
ما حاصله الآتي :

إن كلمة «صوف» مركبة من ثلاثة أحرف : ص ، و ، ف ،
فبالصاد إشارة إلى الصدق ، والصفاء ، والصلابة ، والصبر ، والصلاح ،

- ٢٤٠ -

والواو إشارة إلى الوفاء ، والوصلة ، والوجـد ، والفاء إشارة إلى الفرج ، والفرح .

وإن كامـة « مـرـقـع » مـركـبة من أربـعة أحـرـف : مـ ، رـ ، قـ ، عـ ، فـبـالمـيمـ إـشـارـةـ إـلـىـ الـمـعـرـفـةـ ، وـالـحـبـةـ ، وـالـمـذـلـةـ ، وـبـالـرـاءـ إـشـارـةـ إـلـىـ الرـأـفـةـ ، وـالـرـحـمـةـ ، وـالـرـياـضـةـ ، وـالـرـاحـةـ ، وـبـالـقـافـ إـشـارـةـ إـلـىـ الـقـنـاعـهـ ، وـالـقـرـبـةـ ، وـقـوـةـ الـحـالـ ، وـقـوـلـ الصـدـقـ ، وـبـالـعـيـنـ إـشـارـةـ إـلـىـ الـعـلـمـ ، وـالـعـشـقـ ، وـعـلـوـ الـهـمـةـ ، وـالـعـهـدـ الـحـسـنـ ، ثـمـ ذـكـرـ بـعـضـ الـاـصـطـلاـحـاتـ الصـوـفـيـةـ فـيـ هـذـاـ الـبـابـ فـقـالـ : الـمـقـصـودـ مـنـ قـوـلـهـ « خـرـقـ الـخـرـقـةـ »ـ هوـ أـنـهـ خـرـقـ كـلـ مـنـ كـانـ مـنـ الـأـغـيـارـ ، وـالـمـطـلـوبـ مـنـ قـوـلـهـ « لـاحـظـ نـصـيـبـهـ »ـ هوـ أـنـهـ لـاـ يـنـظـرـ إـلـىـ عـيـبـ أـخـيـهـ ، ثـمـ قـالـ « شـيـخـ الـإـسـلـامـ »ـ فـيـ آـخـرـ آـدـابـ لـبـسـ الـخـرـقـةـ : « يـلـزـمـ الصـوـفـيـ رـعـيـاـتـ هـذـهـ الـآـدـابـ ، وـأـنـ يـطـلـبـ مـصـدـاقـ مـاـفـ ظـاهـرـهـ فـيـ الـبـاطـنـ لـكـ يـكـوـنـ صـادـقـاـ لـاـ كـاذـبـاـ ، وـمـوـافـقـاـ لـاـ مـنـافـقـاـ ، وـمـخـلـصـاـ لـاـ مـرـأـيـاـ ، وـمـحـقـقاـ لـاـ مـدـعـيـاـ .

٢ - آداب القيام والعقود :

قال « شـيـخـ الـإـسـلـامـ »ـ فـيـ آـدـابـ الـقـيـامـ وـالـعـقـودـ مـاـ حـاـصـلـهـ الـآـتـيـ : يـلـزـمـ الصـوـفـيـ أـنـ يـجـلـسـ عـلـىـ السـجـادـةـ بـالـأـدـبـ ، كـمـ يـجـلـسـ فـيـ حـضـورـ مـرـشـدـهـ وـأـسـتـاذـهـ ، وـيـتـوـجـهـ إـلـىـ الـقـبـلـةـ ، وـلـاـ يـكـشـفـ أـعـضـاءـ بـدـنـهـ خـارـجـ الـأـدـبـ ، وـلـاـ يـبـسـطـ رـجـلـيـهـ عـنـدـ النـاسـ . وـلـاـ يـنـفـخـ بـأـنـفـهـ ، وـلـاـ يـلـقـيـ مـاـ فـيـ فـهـ عـلـىـ الـأـرـضـ عـنـدـ النـاسـ ، وـلـاـ يـقـولـ إـذـاـ تـنـأـبـ آـهـ كـمـ قـالـ رـسـوـلـ اللـهـ - صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ - : « إـذـاـ تـنـأـبـ آـهـ كـمـ لـاـ يـقـولـ آـهـ فـإـنـ الشـيـطـانـ يـضـحـكـ بـهـ ، وـلـاـ يـسـحـ بـدـنـهـ كـثـيرـآـ عـنـدـ النـاسـ ، وـلـاـ يـاعـبـ بـيـدـهـ فـيـ شـعـرـهـ وـوـجـهـ عـنـدـ النـاسـ »ـ ، وـيـلـزـمـ جـبـنـيـاـ يـجـلـسـ أـحـدـ بـعـدـ بـعـدـ عـلـىـ السـجـادـةـ

ل العبادة الله — تعالى — أن يجلس بحضور القلب والاحترام فيشغل بذكر الحق وفكير الحق ، ويفكر أيضاً في أنه بأي طريق يمكن أن تقبل عبادته عند الله — تعالى — ، ويلزم أن لا يتكلم في المجلس كثيراً ويكون ما يتكلم به بقدر الحاجة ، ولا يحرك يديه في وقت المكالم ، ولا يرفع صوته عن حد الاعتدال ، قال الله — تعالى — : « واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير » ، ولا يعمل الحركات التي تكون خارجة عن حد الأدب ، وحينما يقوم يلزم عليه أن يقوم من يمينه ، فيضع قدمه الأيمن أولاً ، ويدأ في لبس الحذاء من اليمين وعند الخلع من اليسار ، ولا يتکبر في المشي « ولا تمشي في الأرض مرحًا » ، ولا يحرك اليد في المشي ، ولا ينظر كثيراً إلى اليمين واليسار ولا إلى قدم وخلف ، ولا يتكلم في الطريق (إلا عند الضرورة) ، ولا يقرأ القرآن الكريم في الطريق وإذا أراد أن يقرأ فليقرأ في القلب والفكر ، ولا يذهب إلى السوق إلا عند الضرورة ، ولا يتوقف في الطريق (إلا عند الحاجة) ، ويخدر عن موقع النهاية وموارد الطعن ، ويحفظ قدمه من مواضع التجاوزة ، ولا يمشي بالسرعة (قال الله — تعالى — : « واقتصر في مشيك ») ، وخاصة حينما يمشي مع الجماعة في تشيع الجنائز أو إلى عيادة المريض أو إلى أداء صلاة الجمعة والصلوة الأخرى ؛ لكن يزيد حسناته بحسب خطواته .

لا شك أن «شيخ الإسلام»، أدرج في آداب القيام والقعود أهم الآداب، فيلزم على السالك رعايتها حق الرعاية .

٣ - آداب الذهاب إلى البيت :

قال «شيخ الإسلام»، في حق آداب الذهاب إلى البيت ما حاصله الآتي :

١٦ — الصوف الكبير

• يلزم على من يدخل البيت أن يمسح رجليه على الأرض قبل أن يدخل البيت عند الباب ، ولا يلق السلام بدون الوضوء؛ لأن السلام اسم من أسماء الحق — سبحانه وتعالى ... ، فطريق آداب العبودية لأرباب المعرفة أن لا يتكلم بالسلام بدون الطهارة ، كما أن الرسول — صلى الله عليه وسلم — خرج يوما من الحجرة ، فقابلة أحد من الصحابة وألقى عليه السلام ولم يكن الرسول — صلى الله عليه وسلم — على الوضوء، فضرب يده على الخانط وتيمم ، ثم أجابه بـ (وعليكم السلام) وقال له : ماحاصله : « لا تلق على السلام إذا لم أكن على وضوء فإنك حينئذ لو أقيمت على السلام لا أجيء^(١) ، وأيضا قال « شيخ الإسلام » لا تلق السلام على أصحابك مفاجأة ، لازم ربما كانت أفكارهم مشغولة في حاجات أخرى فيشوش إلقاء السلام عليهم ، والأنحسن لمن يريد دخول البيت أن يتوضأ أولا ، فيصل إلى ركتين ، ثم يلقي السلام على من في البيت .

يظهر مما ذكره « شيخ الإسلام » في آداب النهاب إلى البيت أن الصوفيين العظماء يراعون آداب حسن المعاشرة مع الناس بالوجه الأكمل والأحسن .

٤ - آداب أكل الطعام :

قال « شيخ الإسلام » يجب على من يأكل الطعام أن يغسل يده أولا ، ثم يجلس على رجله اليسرى ، ولا يضع طبق الأكل على الخنز ، ويقول في أول الأكل « بسم الله ، وفي الآخر « الحمد لله » ،

(١) أقول لاشك أن سلوك الصوفية مبني على الاحتياط ، فلأجل هذا يعدون من الآدب أن لا يتكلم أرباب المعرفة بالسلام بدون الطهارة .

ويبدأ ويختم بالملح ، ويلزم أن يضع في الطبق من الأكل بقدر ما يستطيع أكله حتى لا يبقى في الطبق شيء من فواضل الأكل ، وحينما يبدأ بالأكل يأخذ كل مرة لفمة صغيرة ، فيدسها في الفم كثيراً ، ولا يأخذ اللفمة الثانية حتى تنزل اللفمة الأولى من الحلق ، وهكذا ، ويختزل الأكل في الأكل عن أكل الطعام الحار ولا يستعجل بأن ينفح في الطعام ، لأن الرسول - صلى الله عليه وسلم - قال : « النفح في الطعام يذهب البركة » ، ولا يخلل أسنانه فيما بين الأكل ، ولا يلق من الفم شيئاً ، ولا يمسح يده بالسفرة قبل أن يتم الأكل ، وذكر في ضمن آداب الأكل أن لا ينظر الأكل إلى لفمة الآخر ، وأن يأكل من الطعام ما يليه لاءاً إلى الآخرين ، وأن لا يرفع اليد من الطعام حتى يفرغ الآخرون من أكل الطعام ، ويلزم بعد الفراغ من أكل الطعام أن يقوم بغسل اليد والجسم ، وينظف ما يلزم عليه تنظيفه . يتضح مما ذكره « شيخ الإسلام » في آداب أكل الطعام أن التصوف المطلق هو الطهارة ، والحكمة ، ومراعاة حقوق النفس ، وحقوق الغير .

هـ - آداب الذهاب إلى الدعوة :

قال « شيخ الإسلام » يلزم إجابة دعوة الضيافة إلا إذا كانت الضيافة من مال حرام أو أموال اليتامي ، ويلزم من يذهب إلى الدعوة أن لا يأخذ معه من لم يدع إلى الضيافة ، وأن يجلس في بيت الضيافة حيث يجلس صاحب الضيافة ، فإذا كل هناك بقدر حاجته ، ولا يأخذ معه شيئاً من المأكولات إلا إذا أدى له صاحب الضيافة ، وإذا تم أكل الطعام يلزم على صاحب الضيافة أن لا يكلف الضيف في الجلوس إلا باختياره ، ويناسب للضيف أيضاً أن لا يشغل البيت بالكلام والقصص إلا إذا أرضى صاحب الضيافة ذلك ؛ لأن الله - تعالى -

قال : «إذا طعمت فانتشروا ولا مستأنسين لحديث ، ولا ينظر الضيفه في بيت الضيافة إلى هنا وهناك ، ولا يسأل عن القيمة والنوع لفرش بيت الضيافة وأثاثه .

ويجب على صاحب الضيافة اعزاز الضيف ، وأن لا يكلف نفسه في الضيافة فوق قدرته ، فالاولى أن يقدم ما حضر وما يستطيع ، ولا يلح صاحب الضيافة على الضيف بكثرة الأكل ، ولا يتعبه في الجلوس والذهاب ، ويجب على صاحب الضيافة أن يقدم للضيف الأكل الحلال ، ولا يقول فيها بين أكل الطعام أنه اشتري هذا بعده ، ولا أن يضع المنه على الضيف بضيافته .

يتبيّن مما ذكره «شيخ الإسلام» في آداب الذهاب إلى الدعوة هو أن التصوف الإسلامي يريد أن يرفع عن الناس المحن والصعوبات في معاملاتهم الإجتماعية .

٦ - آداب السماع :

إن سماع العزف والموسيقى وما يغنى به القوال عند الصوفيين كان ولا يزال مثار بحث ، فأكثر الصوفيين على أن السماع بشرانط ، وآداب خاصة موجب لزيادة نشاط الصوفية ، فقال «شيخ الإسلام» في آداب السماع ، يلزم أن لا يكون السماع بالتكلف ولا أن يكون خارجاً عن الحدود ، فلا يجلس الصوفي عند السماع بغفلة ، بل يلزم عليه أن يحفظ وقته مع الله - تعالى - ولو وصل إليه الوارد فإذا خذ ما أمكنه بالاستقرار والمتانة ، ولو كان الوارد قوياً فركه يلزم أن لا يتحرك بتكلف ؛ لكن لا تزول عنه بركة وقته ، فلا يصل إلى ما يرام ولا يستعين في الحركة بأحد ، ولو طلب أحدهمه الاعانة فليمساعد بقدر الاستطاعة .

ثم قال «شيخ الإسلام» : يلزم للسماع ثلاثة أمور : المكان ، والزمان ، والإخوان ، بأن يكون المكان متسعًا وفارغاً عن الآغير ،

ويكون المستمع في الحضور ولا يخرج عن الحدود ، وأن يكون مع أصحابه من أهل الطريقة ، فهذا النوع من السماع ما يغتنمه أهل التصوف ، وقال في حق زمان السماع : أن الليل أولى من النهار ، ليكون القلب فارغاً من الوساوس والأغيار ، وقال في حق شروط السماع : « أن لا يكون إلا مع أهل الجنس ، فلا يجوز السماع من القوال الأمرد ، لأنّه محل الآفة و مجال الطعن ، وأن النفس والشيطان من الأعداء ، ثم قال : الدف بالجلاجل مباح عند الإمام الشافعى ، وحرام عند الإمام أبي حنيفة ، لكن السماع روح عند هذه الطائفة الصوفية بشرط أن يكون بطريق السنة والحرمة والأدب وموافقة الشريعة ، حتى يتسبّب في الراحة والكرامة والحياة الحقيقية وإن درجات الرفيعة والمكاشفات ، فكل سماع يكون خارجاً عن هذه الحدود والشرائط ففيه آفة ، ومعصية ، وتهمة ، ومضرّة للدين » .

لقد تحقق عندي أن أسرار سماع الصوفيين لا يعرفها إلا من له حظ من هذه الأسرار ، فلهذا قال « عبد الله الانصارى » : « أن السماع روح عند هذه الطائفة ، والا ظاهر الشريعة يأبى أن تكون مرتبة السماع مثل مرتبة الروح في الأهمية ، ولم يوجد لاثبات هذا صراحة دليل في الكتاب والسنة » .

٧ — آداب السفر :

قال « شيخ الإسلام » ، يلزم أن يكون سفر المريد ثلاثة أمور : الزيارة ، وملاقات المشايخ ، والرياضية ، فيحاول من يريد السفر أن يجد الرفيق الموافق المشفق وصاحب الهمة والسر والإرادة ، وأن يكون سفره إلى مكان يكون باستطاعته أن يسافر إليه فإذا عزم السفر يلزمه أن يأخذ معه من زاد

— ٢٤٦ —

السفر وما يحتاج إليه كثيراً ، ففي السفر يلزمك أن يكون دائماً على الطهارة ، وكما يرفع ويختصر في الطريق أن يقول : الله أكبر ، ثم لا يسأل الناس في السفر (بقدر الاستطاعة) ولا ينام في المساجد إلا عند الضرورة .

يتبيّن مما ذكره «شيخ الإسلام» في آداب السفر أن خطة الحياة عند الصوفيين العظيم في السفر دقيقة ومعقوله جداً .

ثم جاء في آخر هذه الرسالة ما يأتي :

«هذه هي الآداب الظاهرة للمريد التي يلزمك مراعاتها في بداية أمره ، لكنك يكون لائقاً للصحبة» .

وأما الآداب الباطنية فلها أبواب كثيرة ، ومقامات ومنازل لاتحصى ، فمن أراد أن يعرفها يلزمك أن يقرأ ويستفيد من كتاب «منازل السائرين والساكين إلى الحق - عز شأنه - لـ «شيخ الإسلام عبد الله الأنصاري» .

الآداب الباطنية للتصوف عند « عبد الله الأنصاري »

قد تقرر أن « شيخ الإسلام عبد الله الأنصاري » قال وأملى في حق الآداب الباطنية والروحية أشياء كثيرة ، كما يوجد أهم هذه القيم الروحية في كتبه ورسائله الآتية : -

« صدميدان » بالفارسية . و « منازل السائرين » بالعربية .
و « طبقات الصوفية » بالفارسية . و « مناجات عبد الله الأنصاري ونصائحه » بالفارسية . و « علل المقامات » بالعربية .

يتبيّن من المطالعة والتدقيق في هذه الكتب والرسائل أن « شيخ الإسلام » قد درس الآداب الباطنية والروحية للتصوف الإسلامي درساً دقيقاً . وحاول أن يجد لها أساساً في الكتاب ، والسنّة ، ثم بعد الدرس ، والدقة حصل عنده في مرتبة العمل والتطبيق تجربة كثيرة فتحقق لديه أنه يلزم السالك أن يراعي ماجاه في كتابه الأخير المسمى بـ « منازل السائرين إلى الحق - عز شأنه - » حق المراعة .

لاشك أن هذا الكتاب هو أحسن ما كتب في معرفة الآداب الباطنية والروحية للتصوف ، ولأجل هذا شرحه ثمانية عشر شارحاً من الشارحين ، وكتب عليه « ابن قيم الجوزية » ، كتاباً ضخماً في ثلاثة مجلدات كبيرة . لكن مما يلزم ذكره هو أن صعوبة بعض كلمات كتاب « منازل السائرين » وكثرة بسط الشارحين ، قد أدى إلى أن أكثر من يريد معرفة الآداب الباطنية والروحية للتصوف يجد المشقة في فهم هذه الآداب ، فعلى هذا صمم أن اختصر من

- ٢٤٨ -

الآداب الباطنية ، والروحية التي عبر عنها «شيخ الإسلام» ، إلى حد ما يوجه القاريء وينبهه إلى البحث الكثير عن الآداب الباطنية ، والروحية التي فيها الصلاح والفلاح لكافة الناس . وسأوضح بقدر ما يثبت للقارئين أن «شيخ الإسلام» قد أخذ مبادئ التصوف من الكتاب ، حتى يثبت أن التصوف الأصيل له أساس في القرآن الكريم ، وليس كما تصور بعض من لآخرة له أن التصوف نوع من الخرافات الزائفة .

أهم المطالب التي جاءت في كتاب منازل السائرين

في حق الآداب الباطنية والروحية للتتصوف

قال «شيخ الإسلام»، بعد الخطبة: «أما بعد فان جماعة من ازاغين في الوقوف على منازل السائرين إلى الحق - عز اسمه - من الفقراء من أهل «هرة»، والغرباء طال على مسألتهم زماناً أن أبين لهم بياناً (ليكون) على معالمها عنواناً، فأجبت طلبهم لذلك بعد استخارتي لله - تعالى - واستعاتي به».

وسألوني أيضاً أن أرتتها لهم ترتيباً يشير إلى تواليتها ويدل على الفروع التي تليها، وأن أخلصه من كلام غيري وأختصره ليكون ألطف في الفظ وأخف للحفظ، وان خفت أن أخذت في شرح قول «أبي بكر السكتاني»: «إن بين الحق والعبد ألف مقام من نور وظلمة»، طولت على عليهم فذكرت أبلية تلك المقامات التي تشير إلى تمامها وتدل على مرامها، وأرجو لهم بعد صدق قصدهم ما قال «أبو عبيد البسرى»: «إن الله عباداً يريهم في بداياتهم ثم إن رتبت لهم فصولاً، وأبواها يعني ذلك الترتيب عن التطويل المؤدى إلى الملال، ويكون مندوحة»^(١) عن التساؤل، بجعلته مائة مقام مقسمة على عشرة أقسام.

ثم قال «شيخ الإسلام»: «إن السائرين في هذه المقامات على اختلاف عظيم لا يجمعهم ترتيب قاطع، ولا يقفهم منتهى جامع، وقد

(١) مندوحة: أي مستفنة.

صنف جماعة من المقدمين والمؤخرين في هذا الباب تصانيف عسالك لازها على حسنها معنوية (١) ، منهم من أشار إلى الأصول ، ولم يشر بالتفصيل ، ومنهم من جمع الحكايات ، ولم يلخصها تلخيصاً ولم يخصص النكبة بها تلخيصاً ، ومنهم من لم يتميز بين مقامات الخاصة ، وضرورات العامة (٢) ومنهم من عد شطح المغلوب ، وجعل بوج الواجب د رمز المتمكن شيئاً عاماً (٣) ، وأكثرهم لم ينطق عن الدرجات ،

تم قال «شيخ الإسلام» : «واعلم أن العامة من علماء هذه الطائفة قد اتفقوا على أن النهايات لا تصح إلا بتصحيح البدایات ، كأن الأبدية لا تقوم إلا على أساس ، وتصحيح البدایات هو إقامة الأمر على مشاهدة الإخلاص ومتابعة السنة ، واجتناب النهي على مشاهدة الخوف ورعاية الحرمة ، والشفقة على العالم ببذل النصيحة وكف المئونة ، ومجانية كل صاحب يفسد الوقت وكل سبب يفتن أو يهسي القلب . على أن الناس في هذا الشأن ثلاثة :

واحد يسير بين الخوف والرجم شاخضاً إلى الحب مع صحبة

(١) يعني أنه لا يحصل للطالب بها استفادة ولا تكفيه في مقصوده .

(٢) قال «الإمام سعيد الدين» . «وإذا كان كذلك لم يعرف الناظر فيه أرفع مقامات فيقصدها ، ولا أدونها فيبعدها ، ولا يعرف فضل الفاضل فيعظامه ، ولا نزول المقصر فيحركه .

(٣) شطح المغلوب عبارة عن كلمات تجري على ألسنة بعضهم في وقت غلبة الحال فيكون مغلوباً معدوراً ، فلا يعد ذلك له مزلاً ولا مقاماً ، والمراد به بوج الواجب ، أطلقه بعض ما يجده غير تام الأفادة ، والمراد به د رمز المتمكن ، اشارته إلى طرف ما فتح عليه به فلا يصح جعل شطح المغلوب وبوج الواجب د رمز المتمكن شيئاً عاماً وطريقاً للناس كافة .

الحياة ، وهذا هو الذى يسمى المرید ، ورجل مختطف من وادى
الفرقة إلى وادى الجماع ، وهو الذى يقال له المراد .

ومن سواهما مدع مفتون مخدوع ، وجميع هذه المقامات تجمعها
رتب ثلاثة :

الرتبة الأولى أخذ القاصد في السير ، والرتبة الثانية دخوله في
الغربة ، والرتبة الثالثة حصوله على المشاهدة الجاذبة إلى عين التوحيد
في طريق الفناء .

ثم أخرج «شيخ الإسلام» لاثبات المرتبة الأولى (القصد في
السير) حديث «أبي هريرة»، أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
«سيروا سبق المفردون»، قالوا: يا رسول الله وما المفردون؟ قال:
«المهترون»^(١) الذين يهترون في ذكر الله تعالى - يضع الذكر عنهم
أنثاهم فيأتون يوم القيمة خفافاً .

وأخرج لاثبات المرتبة الثانية (دخوله في الغربة) حديث «على
ابن أبي طالب» - رضي الله عنه - عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال: «طلب الحق غربة» .

وأخرج لإثبات المرتبة الثالثة (حصوله على المشاهدة الجاذبة إلى
عين التوحيد في طريق الفناء) حديث «عمر بن الخطاب» -
رضي الله عنه - في حديث سؤال جبريل - عليه السلام - رسول الله
صلى الله عليه وسلم - قال: «ما الاحسان»؟ قال: «أن تعبد الله
كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك»، ثم ذكر «شيخ الإسلام» .

(١) المهر . المولع بالقول في شيء «من المنجد» .

- ٢٥٢ -

الأقسام العشرة لمائة مقام كا يتأتى : -

- | | |
|-----------------|----------------|
| ١ - البدایات . | ٢ - الأبواب . |
| ٣ - المعاملات . | ٤ - الأخلاق . |
| ٥ - الأصول . | ٦ - الأدوية . |
| ٧ - الأحوال . | ٨ - الولايات . |
| ٩ - النهايات . | ١٠ - الحقائق . |

وقد ذكر « البدایات » في عشر أبواب : -

- | | |
|----------------|---------------|
| ١ - اليقظة . | ٢ - التوبة . |
| ٣ - المحاسبة . | ٤ - الانابة . |
| ٥ - الفكر . | ٦ - الذكر . |
| ٧ - الاعتصام . | ٨ - الفرار . |
| ٩ - الرياضة . | ١٠ - السماع . |

١ - باب اليقظة :

قال الله تعالى - : « قل إنما أعظكم بو واحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادي ثم تتفكروا » القومة لله - تعالى - هي اليقظة من سنة الغفلة ، والهوض عن ورطة الفترة ^(١) ، وهي أول ما يستثير قلب العبد بالحياة لرؤيتها نور التنبية ، ثم قسم « شيخ الإسلام » اليقظة إلى ثلاثة أقسام :-

١ - نظر القلب إلى نعم الله - تعالى - التي لا يستطيع القلب أن يحصيها ، ويعجز عن أن يقوم بحق شكرها .

(١) لأنه لا يقوم لله إلا المتيقظ له بالموعظة ومن رو قلبه اقوتها .

٢ - مطالعة الجنائية بأن ينظر إلى الخطر فيها ، ويتجه إلى التخلص من ربقتها ، ويحاول طلب النجاة واصلاح الأعمال .

٣ - الانتباه لمعرفة الزيادة والنقصان في أحواله ، فإن رأى نقصاً بادر إلى الإصلاح وإن رأى صلحاً ، وزيادة انتمضت نفسه لما رأى من علامات الفلاح في تدارك ما فات منها بأفعال محمودة عوضاً عمما فات .

ثم قال «شيخ الإسلام» : «فاما معرفة النعمة فإنها تصفو بثلاثة أشياء : - بنور العقل ، وبشيم برق الملة (أى إحساس روانح الإحسان) . والإعتبار بأهل البلاء .

وأما مطالعة الجنائية فإنها تصح بثلاثة أشياء : بتعظيم الحق ، ومعرفة النفس ، وتصديق الوعيد ، وأما معرفة الزيادة والنقصان في الأيام فإنها تستقيم بثلاثة أشياء : بسماع العلم ، وإجابة دواعي الحرمة ، وصحبة الصالحين وملائكة ذلك كله خلخ العادات .

٢ - باب التوبة :

قال الله - تعالى - : «ومن لم يتتب فأولئك هم الظالمون» ، فأسقط اسم الظلم عن التائب ، والتوبة لا تصح إلا بعد معرفة الذنب وهي أن تنظر في الذنب إلى ثلاثة أشياء : إلى انخلاعك عن العصمة حين ارتكابها ، وفرحك عند الظفر بها ، وعودك على الاصرار عن تداركه مع يقينك بنظر الحق إليك ، وشرائط التوبة ثلاثة : -

الندم ، والاعتذار ، والاقلاع (القطع عن الذنب) (١) .

(١) الندم بالقلب ، والاعتذار بالسان ، والاقلاع بالجوارح .

وحقائق التوبة ثلاثة أشياء : تعظيم الجنائية ، واتهام النفس في التوبة وطلب أعتذار الخالق ، وسرائر حقيقة التوبة ثلاثة أشياء : تميز الثقة (بالله) من الغرفة (الغرور) ، ونسيان الجنائية ، والتوبة من التوبة أبداً ، لأن التائب داخلي في الجميع من قوله : « وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيْمَانُ الْمُؤْمِنِينَ » ، فأمر التائب بالتوبة .

٣ - باب المحاسبة :

قال الله - عز وجل - « اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد » وإنما يسلك طريق المحاسبة بعد العزيمة على عقد التوبة ، والعزمية لها ثلاثة أركان . أحدها . أن تقيس بين نعمتك وجنائيتك ، وهذا يشق على من ليس له ثلاثة أشياء . ثور الحكمة ، وسوء الظن بالنفس ، وتميز النعمة من الفتنة ، والثاني . تميز ما للحق عما لك أو هنك ، فتعلم أن الجنائية عليك حجة (في العقاب) ، والطاعة عليك منه (في تيسير الأسباب) ، والحكم عليك (بامواله) حجة (لالتجواب) ما هو لك معدنة ، والثالث . أن تعرف أن كل طاعة رضيتها منها فهى عليك ، وكل معصية عيرت بها أخاك فهى إليك . فلا تضيع ميزان وقتك من يدك .

٤ - باب الإِنَابَة :

قال الله - عز وجل - : « أَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ » الإنابة ثلاثة أشياء : الرجوع إلى الحق أصلاحاً كارجع إليه اعتذاراً ، والرجوع إليه وفاءً كما رجع إليه عهداً ، والرجوع إليه حالاً كارجع إليه إجابة ، ثم ذكر « شيخ الإسلام » ما يستقيم به الرجوع إلى الحق أصلاحاً ووفاءً وحالاً ، فهن أراد معرفته فليقرأ « منازل السائرين » .

٥ - باب التفكير :

قال الله - تعالى - « وأنزلنا إليك الذكر لتبيّن للناس ما نزل إليهم وعلّم يتفكرون » أعلم أن التفكير تلمس البصيرة لاستدراك البغية^(١) ، وهو على ثلاثة أنواع : فكرة في عين التوحيد ، وفكرة في لطائف الصنع ، وفكرة في معان الأعمال والأحوال .

ثم فسر « شيخ الإسلام » كلامه في كتابه « منازل السالرين » .

٦ - باب التذكرة :

قال الله - تعالى - : « وما يذكر إلا من ين Hib ، التذكرة فوق التفكير ، فإن التفكير طلب والتذكرة وجود^(٢) ، وأبنية التذكرة ثلاثة أشياء : الانتفاع بالعظة ، والاستبصار بالعبرة ، والظفر بشمرة الفكرة ، وإنما ينتفع بالعظة بعد حصول ثلاثة أشياء : بشدة الافتقار ، وبالعمى عن عيب الواقع . وبذكر الوعد وانوعيده ، وإنما يستبصر بالعبرة ثلاثة أشياء : بحياة العقل ، ومعرفة الأيام ، والسلامة من الأغراض ، وإنما تجتني ثمرة الفكرة ثلاثة أشياء : بقصر الأهل ، واتأمل في القرآن ، وقلة الخطاط والتمني والتعلق والشبع والمنام » .

٧ - باب الاعتصام :

قال الله - عز وجل - « واعتصموا بحبل الله جمِيعاً ، وَوَاعتصموا

(١) أي المطلوب والنليس بالقلب وهو القميتش عن المطالب العقلية والشرعية .

(٢) أي التذكرة هو التجسس فيما كان حاصلاً عنده ، ثم نسييه ، فيجده في ذهنه موجوداً .

بأنه هو مولاكم، الاعتصام بجبل الله هو المحافظة على طاعته مراقباً لأمره، والاعتصام بالله هو الترفي عن كل موهوم والتخلص من كل تردد.

والاعتصام على ثلات درجات : اعتصام العامة بالخبر استسلاماً ، وادعاناً بتصديق الوعد والوعيد ، وتنظيم الأمر والنهي ، وتأسيس المعاملة على اليقين والانصاف ، وهو الاعتصام بجبل الله ، واعتصام الخاصة بالانقطاع وهو صون الإرادة قبضاً واسباباً للخلق على الخلق بسطوا ورفض العلائق عزماً ، وهو التمسك « بالعروة الوثقى » ، واعتصام خاصة الخاصة بالاتصال وهو شمود الحق تفريداً بعد الاستئذان^(١) له تعظيمها والاشغال به قرباً ، وهو الاعتصام بالله .

٨ - باب الفرار :

قال الله - عز وجل - : « فَقُرُوا إِلَى اللَّهِ » الفرار هو الهرب عالم يكن إلى مالم يزل وهو على ثلات درجات : فرار العامة من الجهل إلى العلم عقداً وسعياً^(٢) ، ومن السكسل إلى التشمير جداً وعزماً ومن الضيق إلى السعة ثقة ورجاء .

وفرار الخاصة من الخبر إلى الشمود ، ومن الرسوم إلى الأصول ، ومن الحظوظ إلى التجريد .

وفرار خاصة الخاصة مما دون الحق إلى الحق ، ثم من شمود الفرار إلى الحق ، ثم الفرار من الفرار إلى الحق .

(١) الاستئذان : الانكسار .

(٢) عقداً بقلبه ، وسعياً بيده .

٩ – باب الرياضة :

قال الله – عز وجل – : « والذين يؤتون ما أتوا وقلوبهموجلة ، الرياضة تمرن النفس على قبول الصدق ، وهي على ثلاثة درجات : رياضة العامة وهي تهذيب الأخلاق بالعلم ، وتصفية الأعمال بالإخلاص ، وتوفير الحقوق في المعاملة ، ورياضة الخاصة حسم^(١) التفرق ، وقطع الإلتفات إلى المقام الذي جاوزه^(٢) ، وإبقاء العلم يجري بجرأة^(٣) ، ورياضة خاصة تجريد الشمود^(٤) ، والصعود إلى الجم^(٥) ، ورفض المعارضات^(٦) ، وقطع المعاوضات^(٧) .

١٠ – باب السباع :

قال الله – عز وجل – : « ولو علم الله فيهم خيراً لأسعهم » فنكحة السباع حقيقة الانتباه ، وهو على ثلاثة درجات : سباع العامة بإجابة زجر الوعيد ، وإجابة دعوة الوعيد ، وبلغ مشاهدة المنة (النعمـة) ، وسباع الخاصة : شهود المقصود في كل زمن ، والوقوف على الغاية في كل حس ، والخلاص من التلذذ بالتفرق ، وسباع خاصة

(١) حسم التفرق : قطع المفارقة من الله – تعالى – .

(٢) لأنـه يشغله .

(٣) لأنـ الاستفادة من علم الشريعة في كل مرتبة يحفظه من الـخلال .

(٤) من علائق الأسماء والصفات .

(٥) هو الفناء في الذات .

(٦) من البسط والقبض وغيرـهما .

(٧) من الأجر والثواب بأنـ لا يـنظرـ اليـه .

الخاصة سماع يغسل العقل^(١) عن الكشف ، ويصل الأبد بالأزل ، وبرد النهايات إلى الأول^(٢) .

ثم ذكر «شيخ الإسلام» الأبواب في عشرة أبواب وهي : —
الحزن ، والخوف ، والإشراق ، والخشوع ، والآيات ، والزهد ،
والورع ، والتبتل ، والرجاء ، والرغبة .

١١ — باب الحزن :

قال الله — تعالى — : «تولوا وأعينهم تفليس من الدمع حزناً»، الحزن ،
توجع لفائف أو تأسف على ممتنع ، وقد قسم «شيخ الإسلام» ، الحزن
على ثلاثة درجات : حزن العامة ، وحزن أهل الإرادة ، وحزن على
ما منعه من الجمع ، فإذا الحزن في الحقيقة الحزن على ما فات منه
من الفرصة ، وحزن على تعلق القلب بالتفرقة ، والتأسف على ما يأتى
بأن سد وامتناع أسباب حصوله .

١٢ — باب الخوف :

قال الله — عز وجل — : «يخافون ربهم من فرقهم» ، الخوف
هو الانخلال من طمأنينة الامن بطالعة الخبر «من الوعد والوعيد» .

١٣ — باب الإشراق :

قال الله — عز وجل — : «قالوا إنا كنا قبل في أهلا مشفقين» ،

(١) هو الخواطر وفتور النفس.

(٢) أي لا يلتقت إلى المراتب بل يكون كل مطلوبه الحق .

الإشفاق دوام الحذر مقورونا بالترحم ، وهو على ثلاثة درجات :
الدرجة الأولى : إشفاق على النفس أن تجمح إلى العناد ، وإشفاق على
العمل أن يصير إلى الضياع ، وإشفاق على الخلقة لمعرفة معاذيرها . والدرجة
الثانية : إشفاق على الوقت أن يمشي ، تفرق ، وعلى القلب أن يزاحمه
عارض ، وعلى اليقين أن يدخله سبب ، والدرجة الثالثة . إشفاق يصون
سعيه من العجب ، ويكشف صاحبه عن خاصية الخلق ، ويحمل المريد على
حفظ الحدود .

١٤ - باب الخشوع :

قال الله - عز وجل - : « ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم
لذكر الله وما نزل من الحق ، الخشوع خمود النفس وهمود اطّباع
لتعاظيم أو منزع » .

١٥ - باب الأخبار :

قال الله - عز وجل - : « وبشر المختفين » ، وهو ورود المأمن
من الرجوع ، والتrepid ، وعند ، شيخ الإسلام ، الإخبار من أوائل
مقام الطمأنينة .

١٦ - باب الزهد :

قال الله - عز وجل - : « بقيمة الله خير لكم ، الزهد اسقاط الرغبة
عن الشيء بالكلية ، وهو للعامة ، قربة ، وللمريد ضرورة ، وللحاصة
خمسة^(١) ، وهو على ثلاثة درجات : الدرجة الأولى : الزهد في الشبهة

(١) أي نزول عن مقامه الشريف وفي بعض النسخ « حسنة » ، أي ليس زهده في
الدنيا من ضرورياته .

بعد ترك الحرام وهو يحصل بالحد من المعتبة ، والأنفة من المنفعة ، وكراهية مشاركة الفساق ، والدرجة الثانية : الزهد في الفضول وما زاد على المسكة^(١) ، والبلاغ من القوت باغتنام التفرغ إلى عمارة الوقت ، وجسم الجائش^(٢) ، والتخلى بحملة الأنبياء والصديقين ، والدرجة الثالثة : الزهد في الزهد بثلاثة أشياء : باستهقار ما زهدت فيه ، واستواء الحالات عندك ، والذهب عن شهود الاكتساب ناظرا إلى وادي الحقائق.

١٧ - باب الورع :

قال الله - عز وجل - « وثيابك فطر » الورع توق مستقص على حذر أو تخرج على تعظيم ، وهو آخر مقام الزهد للعامة وأول مقام الزهد للمريد ، وهو على ثلاثة درجات : الدرجة الأولى : تجنب القبائح لصون النفس ، وتوفير الحسناوات ، وصيانة الإيمان ، والدرجة الثانية : حفظ الحدود ، عند مالا يأس به إبقاء على الصيانة والتقوى، وصعوداً عن الدناءة ، وتحليلاً عن اقتحام الحدود والدرجة الثالثة : التورع عن كل داعية تدعو إلى شتات الوقت ، والتعلق بالتفرق ، وعارض يعارض حال الجمع .

١٨ - باب التبتل :

قال - عز وجل - : « وتبتل إليه تبتلا » التبتل الانقطاع بالكلية ، وقوله - تعالى - إليه دعوة إلى التجريد المحسن ، وهو على ثلاثة درجات : الدرجة الأولى : تجريد الانقطاع عن الحظوظ والمحظوظ إلى العالم خوفاً أو رجاء أو مبالغة بحال ، بجسم الرجاء بالرضى ، وقطع الخوف بالتسليم ، ورفض المبالغات بشهود الحقيقة .

(١) ما يمسك الأبدان من الغذاء والشراب أى لا يرغب إلى ما زاد عن الاحتياج.

(٢) يقال « جاشت نفسه للشىء » إذا أشوقت إليه وتعلمت به .

والدرجة الثانية : تجريد الانقطاع عن التعریج على النفس بمحاباة المهوی ، وتنسم روح الانس ، وشیم برق الكشف :
والدرجة الثالثة : تجريد الانقطاع إلى السبق بتصحیح الاستقامة والاستغراق في قصد الوصول ، والنظر إلى آوائل الجمیع .

١٩ - باب الرجاء :

قال الله - عز وجل - : « لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر ، الرجاء أضعف منازل المربيد ؛ لأنه معارضة من وجهه واعتراض من وجہه ، وهو وقوع في الرعنونه^(١) في مذهب هذه الطائفة إلا ما فيه من فائدۃ واحدة ، ولها نطق باسمه التنزيل والسنۃ ودخل في مسالك المحقّقین ، وتلك الفائدۃ أنه يفتر حرارة الخوف حتى لا يعود إلى الإیام » .

٢٠ - باب الرغبة :

قال الله - عز وجل - : « ويدعوننا رغباً ورهباً ، الرغبة إلى الحق بالحقيقة من الرجاء ، وهي فوق الرجاء لأن الرجاء طمع يحتاج إلى تحقيق ، والرغبة سلوك على تحقيق ، والرغبة على ثلاثة درجات : الدرجة الأولى : رغبة أهل الخبر تولد من العلم ، فتبعد على الاجتهد المنوط بالشمول ، وتصون السالك من وهن الفترة ، وتمتنع صاحبها من الرجوع إلى غثاثة الرخص^(٢) ، والدرجة الثانية : رغبة أرباب

(١) الرعنونه الوقوف مع حظوظ النفس والواقع فيها من حيث استحسان حاله التي رجا عليهم الشواب ، ومتى رضى المربيد فترعن الجد وهي الرعنونه ، والمراد بالمعارضة المخالفة لما أراده الله - تعالى - وبالاعتراض الاعتراض على القدر .

(٢) غثاثة الرخص : أي ضعيفها ويقابل الغث بالسمين .

- ٢٦٢ -

الحال ، وهي رغبة لا تبقى من الم محمود إلا مبذولا ، ولا تندع للهمة ذبولا^(١) ،
ولا تترك غير المقصود مأمولًا ، والدرجة الثالثة : رغبة أهل الشهود
وهي تشرف تصاحبها تقية^(٢) وتحمله همة فقية^(٣) ولا تبقى معه من
الفرق بقية^(٤) .

ثم ذكر «شيخ الإسلام» المعاملات في عشرة أبواب ، وهي :-
الرعاية ، والمراقبة ، والحرمة ، والإخلاص ، والتزمير ، والاستفادة ،
والتوكل ، والتقويض ، والثقة ، والتسليم .

٢١ - باب الرعاية :

قال الله - عز وجل - : «فَمَا رَعَوْهَا حَقُّ رِعَايَتِهَا» الرعاية صون بالعنایة ،
وهي على ثلاثة درجات : رعاية الأعمال ، رعاية الأحوال ، ورعايا الأوقات .

٢٢ - باب المراقبة :

قال الله - عز وجل - : «لَا يُرِقِّبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذَمَّةً» ، المراقبة
دوسام ملاحظة المقصود ، وهي على ثلاثة درجات : الدرجة الأولى :
مراقبة الحق في السير إليه على الدوسام بين تعظيم مذهل ومدانة حاملة
وسرور باعث ، والدرجة الثانية : مراقبة نظر الحق إليك برفض
المعارضة^(٥) وبالاعتراض عن الاعتراض^(٦) ونقض رعنونه التعرض ،

(١) الذبول : هو الإذكسار .

(٢) أي حذر وهيبة .

(٣) أي خالصة من طلب غيره .

(٤) من الآثار التي يفترها .

(٥) أي ما يعرض للقاب من الخواطر المشغلة .

(٦) اعتراض عن الاعتراض أي عن التعرض على ما يرد على قلبه وفي بعض
النسخ عن الأعراف أي طلب الجزاء على أعماله الحسنة .

— ٢٦٣ —

والدرجة الثالثة : مراقبة الأزل بخط العين السبق استقبالاً لعلم التوحيد ،
ومراقبة ظهور إشارات الأزل على أحباب الأبد ، ومراقبة الخلاص
من ربوة المراقبة .

٢٣ - باب الحرمة:

قال الله - عز وجل - : « ومن يعظم حرمات الله فهو خير له
عند ربها ، الحرمة هي التحرج عن المخالفات والمجسرات . »

٢٤ - باب الإخلاص:

قال الله - عز وجل - : « ألا ترى الدين الخالص ، الإخلاص
تصفيّة العمل من كل شوب^(١) . »

٢٥ - باب التهذيب:

قال الله - عز وجل - : « فلما أفل قال لا أحب الآفلين ،
التهذيب مخنة أهل البدايات ، وهو شريعة من شرائع الرياضة ، وهو
على ثلاثة درجات : الدرجة الأولى : تهذيب الخدمة : أن لا تخالجها
جمالة ، ولا تشوبها عادة ، ولا تقف عندها همة ، والدرجة الثانية :
تهذيب الحال : وهو أن لا يجنح الحال إلى علم ولا يخضع لرسم ،
ولا يلتفت إلى حظ ، والدرجة الثالثة : تهذيب القصد : وهو تصفيته
من ذل الإكراه ، وتحفظه من مرض الفتور ، ونصرته على
منازعات العلم . »

(١) الشوب : الاختلال .

٢٦ - باب الاستقامة:

قال الله - عز وجل - : « فاستقيموا إلـيـه ، قوله - عز وجل -
إـلـيـه ، إـشـارـة إـلـى عـيـن التـفـرـيد ، والـاسـتـقـامـة رـوـح نـخـيـا بـهـا الـأـحـوال ،
كـلـا تـرـبـو لـلـعـامـة عـلـيـها الـأـعـمـال وـهـي بـرـزـخ بـيـن أـوـهـاد (١) التـفـرـق
وـرـوـابـيـن (٢) الجـمـع .

٢٧ - باب التوكـل :

قال الله - عز وجل - : « وـعـلـى الله فـتوـكـلـوا إـن كـسـنـتـم مـؤـمنـين ،
الـتـوـكـلـكـلـكـلـةـ الـأـمـرـ إـلـى مـالـكـهـ وـالـتـعـوـيلـ عـلـى وـكـالـتـهـ (٣) .

٢٨ - بـابـ التـفـويـضـ:

قال الله - عز وجل - حـاـكـيـا عن مـؤـمـنـآـلـ فـرـعـونـ : « وـأـفـوضـ
أـمـرـيـ إـلـى اللهـ إـنـ اللهـ بـصـيرـ بـالـعـبـادـ » التـفـويـضـ أـلـطـفـ إـشـارـةـ وـأـوـسـعـ
مـعـنـيـ منـ التـوـكـلـ ، فـإـنـ التـوـكـلـ بـعـدـ وـقـوـعـ السـبـ وـالـتـفـويـضـ قـبـلـ وـقـوـعـهـ
وـبـعـدـهـ ، وـهـوـ عـيـنـ الـاسـتـسـلامـ وـالـتـوـكـلـ شـعـبـةـ مـنـهـ .

٢٩ - بـابـ الثـقـةـ:

قال الله - عز وجل - : « فـإـذـا خـفـتـ عـلـيـهـ فـأـلـقـيـهـ فـيـ الـيمـ ، الثـقـةـ
سـوـادـ عـيـنـ التـوـكـلـ ، وـنـقـطـةـ دـائـرـةـ التـفـويـضـ ، وـسـوـيـدـاءـ قـلـبـ التـسـلـيمـ (٤) .

(١) الأوهـادـ : المـواـضـعـ الـوطـيـثـةـ .

(٢) الروـابـيـ : العـالـيـةـ .

(٣) التـوـكـلـ فـيـ الـعـمـلـ ؛ لـأـنـ التـوـكـلـ إـيجـابـ وـإـيجـابـ يـقـومـ بـإـيجـابـ وـهـوـ الـعـمـلـ
وـلـاـ يـقـومـ بـالـسـلـبـ أـيـ عـدـمـ الـعـمـلـ ، وـثـمـةـ التـوـكـلـ الـأـطـمـئـنـانـ فـتـفـويـضـ عـاقـبـةـ الـأـمـورـ إـلـىـ
الـلـهـ - تـعـالـىـ - ، وـعـدـمـ الـيـأسـ ، وـعـدـمـ الـإـعـجـابـ .

(٤) التـوـكـلـ وـالـثـقـةـ مـطـلـوـبـتـانـ فـيـ الـعـمـلـ وـالـجـدـ وـالـجـهـدـ .

٣٠ - باب التسليم :

قال الله - عز وجل - : «فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا [تسليماً] ، وهو على ثلاثة درجات : الدرجة الأولى : تسليم ما يزاحم العقول مما يشق على الأوهام من الغيب ، والإذعان لما يغالب القياس من سير الدول^(١) والقسم التي قسمها على خلقه ، والإجابة لما يفرغ المريد من ركوب الأحوال ، والدرجة الثانية : تسليم العلم إلى الحال ، والقصد إلى الكشف ، والرسم إلى الحقيقة^(٢) ، والدرجة الثالثة : تسليم ما دون الحق إلى الحق مع السلامة من روية التسليم بمعاينة تسليم الحق لربك إليه .

تم ذكر «شيخ الإسلام»، الأخلاق في عشرة أبواب وهي : الصبر ، والرضا والشكر ، والحياة ، والصدق ، والإيثار ، والخلق ، والتواضع ، والفتوة ، والانبساط .

٣١ - باب الصبر :

قال الله - عز وجل - : «واصبر وما صبرك إلا بالله» ، الصبر حبس النفس على جزع كامن عن الشكوى ، وهو على ثلاثة درجات : الصبر عن المعصية ، الصبر على الطاعة ، والصبر في البلاء ، قال الله -

(١) أي تحول المجتمع بالقوة أو الصدف .

(٢) هذا من باب حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه أي يسلم صاحب العلم لصاحب الحال ، وصاحب النية والقصد لصاحب الكشف ، وصاحب الورف على الرسوم من الأعمال والأحوال لصاحب الحقيقة .

— ٢٦ —

تعالى - : «اصبروا» ، أى في البلاء ، و «صابروا» ، أى عن المعصية ،
و «رابطوا» ، أى على الطاعة .

٣٢ - باب الرضى:

قال الله - عز وجل - : «ارجعى إلى ربك راضية مرضية» ، الرضى
اسم للوقوف الصادق حيث ما وقف العبد لا يلتمس متقدماً ولا متاخراً ،
ولا يستزيد مزبداً ، ولا يستبدل حالاً .

٣٣ - باب الشكر:

قال الله - عز وجل - : «وقليل من عبادي الشكور» ، الشكر اسم
لمعرفة النعمة ، لأنها السبيل إلى معرفة المنعم ، ولهذا المعنى سمي الله -
تعالى - الإسلام والإيمان في القرآن الكريم شـكـراً ، ومعنى الشكر
ثلاثة أشياء : معرفة النعمة ، ثم قبول النعمة ، ثم الثناء بها .

٣٤ - باب الحياة:

قال الله - عز وجل - : «ألم يعلم بأن الله يرى» ، الحياة يتولده
من تعظيم منوط بود(١)

٣٥ - باب الصدق:

قال الله - عز وجل - : «فإذا عزم الأمر فلو صدقوا الله لكان
خيرا لهم» ، قال «الشيخ سعيد الدين» : «الصدق حالة في العبد حاملة

(١) المطلوب من الحياة الحياة من إتيان المنهيات والقبائح وخلاف الأدب ،
أما في الحسنات فالحياة بأن يعمل ويقيم بها .

— ٢٦٧ —

على إيقاع الفعل على وجهه مع الجد وعدم الفتور^(١) ، وفي الآسان
أخبار عما في القلب كما هو عليه.

٣٦ - باب الإيثار :

قال الله - عز وجل - : « ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم
خصاصة » الإيثار تخصيص واختيار^(٢) ، والأثر تحسن طوعاً وتصح كرها.

٣٧ - باب الخلق :

قال الله - عز وجل : « وإنك لعلى خلق عذاب » الخلق ما يرجع
إليه المتكاف (المجاهد) من نعمته ، واجتmetت كلة الذاقين في هذا العلم
أن التصوف هو الخلق ، وجماع الكلام فيه يدور على قطب واحد
وهو : « بذل المعروف وكف الأذى » وإنما يدرك إمكان ذلك في
ثلاثة أشياء : في العلم ، والجود ، والصبر .

٣٨ - باب التواضع :

قال الله - وجل - : « وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض
هونا » التواضع : أن يتواضع العبد لصلة الحق^(٣) .

٣٩ - باب الفتوة :

قال الله - عز وجل - : « إنهم فتية آمنوا بربيهم وزدناهم هدى »
نكتة الفتوة أن لا تشمد لك فضلاً ولا ترى لك حقاً ، وهي على

(١) من كتاب شرح منازل السالرين ص [٨٩] مطبعة : المعهد الفرنسي بالقاهرة.

(٢) أي بقصد ونية حسنة .

(٣) أي لدعوه وقمره ، والحق هنا ضد الباطل .

ثلاث درجات : الدرجة الأولى : ترك الخصومة ، والتغافل عن الزلة ،
ونسيان الأذية ، والدرجة الثانية : أن تقرب من يقصيك ، وتكرم من يؤذيك ،
وتعذر إلى من يعني عليك سماحا لا كظمها ، وتوددا وزرأفا لامصاربة ،
والدرجة الثالثة : أن لا تتعلق في المسير بدليل ، ولا تشوب إجابتك
بعوض ، ولا تقف في شهودك على رسم ، واعلم أن من أحوج عدوه
إلى شفاعة ولم ينجل من المعدنة إليه لم يشم رائحة الفتوة .

٤٠ - باب الانبساط :

قال الله - عز وجل - : « حاكيا عن كلامه - عليه السلام - :
« أتھا - كنا بها فعل السفهاء منا إن هى إلا فتنتك تضل بها من تشاء
وتهدى من تشاء » .

الانبساط إرسال السجية والتحاشي من وحشة الحشمة ، وهو السير
مع الجبلة ، وهو على ثلاث درجات : مع الخلق ، مع الحق ، والانبساط
في الانطواء عن الانبساط . وهو رحب المهمة لانطواء انبساط العبد
في بسط الحق - جل جلاله - .

ثم ذكر «شيخ الإسلام» الأصول في عشرة أبواب وهي : -
القصد ، والعزم ، والإرادة ، والأدب ، واليقين ، والأنس ، والذكر ،
والفقر ، والغنى ، ومقام المراد .

٤١ - باب القصد :

قال الله - عز وجل - : « ومن يخرج من بيته مهاجرًا إلى الله

ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله ، القصد الإزماع^(١).
على التجرد للطاعات .

٤٢ - باب العزم :

قال الله - عز وجل - : « فإذا عزمت فتوكل على الله ، العزم تحقيق
القصد طوعاً أو كرها . »

٤٣ - باب الإرادة :

قال الله - عز وجل - : « قل كل يعمل على شاكته ، الإرادة
من قوانين هذا العلم وجامع أبنيته وهي الإجابة لداعي الحقيقة طوعاً . »

٤٤ - باب الأدب :

قال الله - عز وجل - : « والحافظون لحدود الله ، الأدب حفظ الحد .
بين الغلو والجفا ، بمعرفة ضرر العداون . »

٤٥ - باب اليقين :

قال الله - عز وجل - : « وفي الأرض آيات للموقنين » اليقين مركب
الأخذ في هذا الطريق ، وهو غاية درجات العامة ، وقيل أول خطوة
الخاصة ، وهو على ثلاثة درجات :

الدرجة الأولى : علم اليقين . وهو قبول ما ظهر من الحق ، وقبول
ما غاب للحق ، والوقف على مقام بالحق ، والدرجة الثانية : عين اليقين وهو
الغنى بالاستدراك عن الاستدلال وعن الخبر بالعيان ، وخرق الشمود حجاب .

(١) الإزماع : جمع المهمة على الشيء .

للعلم ، والدرجة الثالثة حق اليقين : وهو إسفار صبح الكشف (١) ، ثم
الخلاص من كلفة اليقين ، ثم الفناء في حق اليقين .

٤٦ - باب الأنس:

قال الله - عز وجل - : « وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب ، الأنس
عبارة عن روح القرب ، وذكر «شيخ الإسلام» له ثلاثة درجات :
الأنس بالشهود ، الأنس بنور المكشف ، الأنس الذى هو أضمحلال
في شهود الحضرة .

٤٧ - باب الذكر :

قال الله - عز وجل - : «واذكربك إذا نسيت غيره ونسيت نفسك في ذكرك، ثم نسيت ذكرك في ذكرك ، ثم نسيت في ذكر الحق إياك كل ذكر ، وهو على ثلاثة درجات : الدرجة الأولى : الذكر الظاهر من ثناء أو دعاء ، والدرجة الثانية : الذكر الخفي : وهو الخلاص من الفتور ، والبقاء مع الشهود ، ولزوم المسامرة ، والدرجة الثالثة : الذكر الحقيقي : وهو شمود ذكر الحق إياك ، والتخالص من شمود ذكرك ، ومعرفة افتراق الذاكر في بقائه مع ذكره .

٤٨ - باب الفقر :

قال الله - عز وجل - : «يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله ، الفقر باسم للبراءة من رؤية الملكة . (هذا بـاللغة لأن الفقير يتبرأ من الملك لامن رؤية الملكة) .

(١) أى كمال استئناره القلب بالكشف التام

٤٩ - باب الغنى :

قال الله - عز وجل - : « ووْجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى ، الْغَنِيُّ اسْمُ الْمَلَكِ التَّامُ ، وَهُوَ عَلَى ثُلَاثَ دَرَجَاتٍ : الدَّرَجَةُ الْأَوَّلِيَّةُ : غَنِيُّ الْقَلْبِ . وَهُوَ سَلَامَتُهُ مِنِ السَّبَبِ ، وَمِسَالِمَتُهُ لِلْحُكْمِ ، وَخَلَاصَهُ مِنِ الْخُصُوصَهُ ، وَالدَّرَجَةُ الثَّانِيَّهُ : غَنِيُّ النَّفْسِ : وَهُوَ اسْتِقْدَامُهَا عَلَى الْمَرْغُوبِ ، وَسَلَامَتُهَا مِنِ الْمَسْخُوطِ . وَبِرَاءَتُهَا مِنِ الْمَرَآةِ ، وَالدَّرَجَةُ الثَّالِثَهُ : الْغَنِيُّ بِالْحَقِّ : وَهُوَ عَلَى ثُلَاثَ مَرَاتِبٍ : الْمَرَتبَةُ الْأَوَّلِيَّهُ : شَمْوَدٌ ذَكْرُهُ لِمَيَاكٍ ، وَالثَّانِيَّهُ : دَوَامٌ مَطَالِعَهُ أُولَيَّتِهِ ، وَالثَّالِثَهُ : الْفَهْوَزُ بِوْجُودِهِ .

٥٠ - باب مقام المراد :

قال الله - عز وجل - : « وَمَا كَنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ ، » قال « ابن قيم الجوزية » : وجه استشهاد «شيخ الإسلام»، بالآية : أن الله - سبحانه وتعالى - ألقى إلى رسوله كتابه، وخصه بكرامته وأهله لرسالته ونبوته من غير أن يكون ذلك منه على رجاء أو ناله بكسب أو توسل إليه بعمل ، بل هو أمر أريد به فهو المراد حقيقة (١) الفرق بين المراد والمريد هو أن «المراد» هو المذوب و «المريد» هو السالك على طريق الجادة .

ذكر «شيخ الإسلام» الأدوية في عشرة أبواب وهي :
الإحسان ، والعلم ، والحكمة ، والبصيرة ، والفراسة ، والتعظيم ،
والإلهام ، والسكنينة ، والطمأنينة ، والهمة .

(١) من كتاب «مدارج السالكين» لـ «ابن قيم الجوزية»، ص ٤٥٣ - ٤٥٤ .

٥١ - باب الإحسان :

قال الله - عز وجل - : « هل جزاء الإحسان إلا الإحسان ، قد ذكرنا في صدر الكتاب أن الإحسان اسم جامع نبوى يجمع أبواب الحقائق وهو (أن تعبد الله كأنك تراه) .

٥٢ - باب العلم :

قال الله - عز وجل : « علمناه من لدنا علما » العلم ما قام بدليل ودفع الجمل ، وهو على ثلاثة درجات : علم جلي ، وعلم خفي ، وعلم لدني .

٥٣ - باب الحكمة :

قال الله - عز وجل : « ي託ى الحكمة من يشاء ومن يؤتى الحكمة فقد أتوى خيراً كثيراً » الحكمة اسم لإحكام وضع الشيء موضعه (١) ، وهو على ثلاثة درجات ، الدرجة الأولى : أن تهطى كل شيء حقه ، ولا تتعديه حده ، ولا تعجله وقته ، والدرجة الثانية : أن تشمد نظر الله في وعيده ، وتعرف عدله في حكمه ، وتلاحظ بره في منعه . والدرجة الثالثة . أن تبلغ في استدلالك البصيرة ، وفي إرشادك الحقيقة ، وفي إشارتك الغاية .

٥٤ - باب البصيرة :

قال الله - عز وجل - : « قل هذه سبلي أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني ، البصيرة ما يخلصك من الحيرة .

(١) هذا حق لأن العالم بالصالح والمسارد هو الذي يضع الأشياء في مواضعها على أحسن الوجه وأبلغ النفع وأوثق الوضع ; وهو الحكيم حقاً .

- ٢٧٣ -

٥٥ - باب الفراسة :

قال الله - عز وجل - : «إِنَّ فِي ذَلِكَ لِآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ، التَّوْسُمُ التَّغْرِيرُ» وهو استئناس حكم غيب من غير استدلال بشاهد ، ولا اعتبار بتجربة .

٥٦ - باب التعظيم :

قال الله - عز وجل - : «مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ اللَّهَ وَقَارًا» التعظيم معرفة العظمة مع التذلل لها ، وهو على ثلاثة درجات : تعظيم الأمر والنهى ، وتعظيم الحكم ، وتعظيم الحق .

٥٧ - باب الإلهام :

قال الله - عز وجل - : «قَالَ الَّذِي عَنْهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا أَتَكُمْ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَ إِلَيْكُمْ طَرْفُكُمْ» الإلهام مقام المحدثين (١) وهو فوق الفراسة ، لأن الفراسة ربما وقعت نادرة أو استصعبت على صاحبها وقتاً واستعصت عليه ، والإلهام لا يكون إلا في مقام عتيد ، (الإلهام : إلقاء الخير في قلب المؤمن) .

٥٨ - باب السكينة :

قال الله - عز وجل - : («وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ») (٢) في قلوب

(١) قال النبي - صلى الله عليه وسلم - : «إِنَّهُ كَانَ فِي الْأُمَمِ قَبْلَكُمْ مُحَدِّثُونَ، فَإِنْ يَكُنْ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ فَعُمَرُ بْنُ الْخَطَّابُ» المحدث : هو الذي يحدث في سره وقلبه بالشىء ، فيكون كما يحدث به . من كتاب «مدارج السالكين» ، ص ٣٩ .

(٢) السكينة الوقار من الله - تعالى - .

— ٢٧٤ —

المؤمنين) السكينة اسم ثلاثة أشياء : أولها سكينة بني إسرائيل التي أعطوها في التابوت ، قال أهل التفسير : « هي ريح هفافة » ، وذكروا صفتها ، وفيها ثلاثة أشياء : هي لأنبيائهم معجزة ، ولملوكهم كرامة ، وهي آية النصرة تخلع قلوب العدو بصوتها ربما ، والسكينة الثالثة التي تنطق على السن المحدثين ليست هي شيئاً يملك (بل) إنما هي شيء من لطائف صنع الحق تلقى على لسان المحدث الحكمة ، كما يلقى الملك الوحي على قلوب الأنبياء ، وتنطق المحدثين بنكهة الحقائق مع ترويع الأسرار (أي يعطي روحه للأسرار) وكشف الشبه ، والسكينة الثالثة : هي التي أنزلت في قلب النبي - صلى الله عليه وسلم - وقلوب المؤمنين ، وهي شيء يجمع نوراً ، وقوة ، وروحاً ، يسكن إلى الخافف ، ويتسلى به الحزين والضجر ، ويستكين له العصي والجريء والأبي .

٥٩ - باب الطمأنينة :

قال الله - عز وجل - : « يا أيتها النفس المطمئنة ، الطمأنينة سكون يقويه أمن صحيح شبيه بالعيان ، وبين السكينة فرقان : أحدهما : أن السكينة صولة تورث خمود الهيئة أحياناً ، والطمأنينة سكون أمن فيه استراحة أنس ، والثانى : أن السكينة تكون نعمتاً ، وتكون حيناً بعد حين ، والطمأنينة نعمت لا يزايل صاحبها .

٦٠ - باب الهمة .

قال الله - عز وجل - : « ما زاغ البصر وما طغى ، الهمة ما يملك الانبعاث للقصد صرفاً لا يمتلك صاحبها ولا يلتفت عنها ، وهي على ثلاثة درجات : الدرجة الأولى : همة تصون القلب من خمسة الرغبة في الفاني ،

وتحمله على الرغبة في الباقي ، وتصفيه من كدر التوانى (١) ، والدرجة الثانية : همة تورث أفة من المبالغة بالعمل ، والنزو عن العمل ، والنفة بالأمل ، والدرجة الثالثة ؛ همة تصاعد عن الأحوال والمقامات ، وتزري (٢) بالأعراض والدرجات ، وتبعد عن النعوت نحو الذات .

ثم ذكر «شيخ الإسلام» الأحوال في عشرة أبواب ، وهي :-
المحبة ، والغيرة ، والشوق ، والقلق ، والعطش ، والوجد ، والدهش ،
والهيان ، والبرق ، والذوق .

٦١ - باب الحببة :

قال الله - عز وجل - : «من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه ، الحببة تعلق القلب بين المحبة والأنس في البذل .
والممنع (٣) على الإفراد (٤) ، والحببة أول أودية الفناء (٥) والعقبة التي ينحدر منها على منازل الموت (٦) ، وهي آخر منزل تلقى فيه مقدمة

(١) التوانى : الكسل .

(٢) تزري : تعيب أو تهاون .

(٣) أي تعلق القلب بالمحبوب تعلقاً مقرضاً بهمة المحب وأنسه بالمحبوب في حالته بذله ومنعه ، وإفراده بذلك التعلق بحيث لا يكون لغيره فيه نصيب ، والمراد بالبذل والمنع إما بذل الروح والنفس لمحبوبه ومنعها عن غيره فيكون البذل والمنع صفة المحب ، وإما بذل الحبيب ومنعه للنعم .

(٤) المقصود إفراد المحب لمحبوبه بالتوحيد والحببة .

(٥) فناء خواطر المحب عن التعلق بالغير .

(٦) أول منازل الموت هو محو الأفعال في فعل الحق - تعالى - فلا يرى لنفسه ولا لغيره فعلا ، والثاني محو الصفات فلا يرى الصفات إلا وهرة وهبها .

- ٢٧٦ -

العامة وساقة الخاصة ، وما دونها أغراض لأعراض ، والمحبة هي سمة الطائفية (١) ، وعنوان الطريقة (٢) ، ومعقد النسبة (٣) .

٦٢ - باب الغيرة :

قال الله - عز وجل - حاكيا عن سليمان - عليه السلام - : « ردوها على فطفق مسحها بالسوق والأذناع ، الغيرة سقوط الاحتراف ضنا (بحلا) والضيق عن الصبر نفساسة (منافسة لا جزعا) » .

٦٣ - باب الشوق :

قال الله - عز وجل - : « من كان يرجوا لقاء الله فإن أجل الله لآت ، الشوق هبوب القلب إلى غائب ، ثم هو على ثلاثة درجات : شوق العابد إلى الجنة ، وشوق إلى الله - عز وجل - ، ونار أضرمها صفو المحبة . »

٦٤ - باب القلق :

قال الله - عز وجل - حاكيا عن هوسى - عليه السلام - : « وجعلت إليك رب لترضى » القلق تحريرك الشوق بإسقاط الصبر ،

٦٥ - باب العطش :

قال الله - عز وجل - حاكيا عن خليله - عليه السلام - فلما جن

(١) المسافرين إلى ربهم .

(٢) أى دليلا .

(٣) أى النسبة بين الرب وبين العبد .

- ٢٧٧ -

عليه الليل رأى كوكباً قال هذا ربِّي ، العطش كنایة عن غلبة ولوغ (١)
بِمَأْمُولٍ .

٦٦ - باب الوجد :

قال الله - عز وجل - : « وربطنا على قلوبهم إذ قاموا » الوجد لهب
يتأجج من شمود عارض مقلق .

٦٧ - باب الدهش :

قال الله - عز وجل - : « فلما رأينه أكربنه » الدهش بهته تأخذ
العبد إذا فاجأه ما يغلب عقله أو صبره أو عليه .

٦٨ - باب المیان :

قال الله - عز وجل - : « وخر موسى صففاً ، المیان ذهاب عن
الماسک تعجبها أو حيرة ، وهو أثبت دواماً وأملأ بالنعت من الدهش .

٦٩ - باب البرق :

قال الله - عز وجل - : « إذ رأى ناراً ، البرق باكرة تلمع للعبد
فتدعوه إلى الدخول في هذا الطريق ، والفرق بينه وبين الوجد ، أن
الوجد يقع بعد الدخول فيه ، فالوجد زاد (٢) ، والبرق إذن (٣) .

(١) اشتعال وتعلق .

(٢) يعني أنه يصحب السالك كما يصحبه زاده .

(٣) يعني إذن في السلوك .

٧٠ - باب الذوق :

قال الله - عز وجل - : هذا ذكر ، الذوق أبقى من الوجود وأجلى من البرق ، كتبه ابن قيم الجوزية ، أن الذوق مقدمة الشرب ، كأن التذكر مقدمة المعرفة ، ومنه يدخل إلى مقام الإيمان والإحسان ، فإنه إذا تذكر أبصر الحقيقة (١) .

ثم ذكر «شيخ الإسلام» الولايات في عشرة أبواب ، وهي : اللحظ ، والوقت ، والصفاء ، والسرور ، والسر ، والنفس ، والغربة ، والفرق ، والغيبة ، والتكن .

٧١ - باب اللحظ :

قال الله - عز وجل - : أنظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني ، اللحظ لمح مسترق (٢) ، وهو في هذا الباب على ثلاث درجات : ملاحظة الفضل سابقا ، وملاحظة نور الكشف ، وملاحظة عين الجمع .

٧٢ - باب الوقت :

قال الله - عز وجل - : ثم جئت على قدر ياموسى ، الوقت اسم لطرف

(١) من كتاب «مدارج السالكين» ، ص ٨٩ .

(٢) مسترق أما بالتحفيف أي لمح بسرعة وخفية بحيث لا يشعر به الملاوح لتعظمها واجلاله أو خوفه وسطوته ، أو محبتة ، أو الحياة من الملاوح ، أو بتشدید القاف أي لمح يجعل قلب الامام رقيقا بجمال الملاوح وكماله .

- ٢٧٩ -

الكون وهو اسم في هذا الباب لثلاث معان : حين وجد صادق ، وأسم ،
لطريق سالك والوقت الحق .

٧٣ - باب الصفاء :

قال الله - عز وجل - : « وانهم عندنا من المصطفين الآخيار »
، الصفاء أسم للبراءة من الكدر ، وهو في هذا الباب سقوط التلوين .

٧٤ - باب السرور :

قال الله - عز وجل - : « قل بفضل الله وبرحمته بذلك فليفرحوا ،
وهو أصفى من الفرح ؛ لأن الأفراح ربما شابتها الأحزان ، ولذلك
نزل القرآن باسمه في أفراح الدنيا في مواضع ، وورود أسم السرور
في موضعين من القرآن في حال الآخرة .

٧٥ - باب السر :

قال الله - عز وجل - : « الله أعلم بما في أنفسهم ، أصحاب السر
هم الأخفياء الذين ورد فيهم الخبر (١) .

٧٦ - باب النفس :

قال الله - عز وجل - : « فلما أفاق قال سبحانك ، يسمى النفس

(١) الخبر : هو قوله - عليه السلام - : « الذين إذا حضروا لم يعرفوا ،
وإذا غابوا لم يفقدوا ، وإذا شهدوا لم يستشاروا ، وفي رواية : وإذا خطبوا
لم ينكحوا » .

— ٢٨٠ —

نفساً لترويج المتنفس به ، والأنفاس ثلاثة : نفس في حين استثار ،
نفس في حين التجلّى ، ونفس مطهر بماء القدس .

٧٧ - باب الغربة :

قال الله - عز وجل - : « فلولا كان من القرون من قبلكم
أولوا بقية ينهون عن الفساد في الأرض إلا قليلاً من أنجحينا منهم »
، الاغتراب اسم يشار به إلى الانفراد عن الأكفاء ، كتب
« ابن قيم الجوزية » : « يريد أن كل من انفرد بوصف شريف دون
أبناء جنسه ، فإنه غريب بينهم لعدم مشاركته أو لقلته » (١) .

٧٨ - باب الغرق :

قال الله - عز وجل - : « فلما أسلما وتله للجبن ، هذا اسم
يشار به في هذا الباب إلى من توسط المقام (٢) وجاؤه حد التفرق .
وجه الاستدلال باشارة الآية هو : « أن إبراهيم صلى الله على نبينا
وعليه السلام - لما بلغ ما بلغ هو وولده في المبادرة إلى الامتثال
ألقاه الوالد على جيئه في الحال وأخذ الشفرة وأهوى إلى حلقه ،
فأعرض في تلك الحال عن نفسه وولده وفني بأمر الله عنهم ، فتوسط
في المقام ووصل بصر جمع السر والقلب والهم على الله ، وجاؤه حد
التفرق المانعة من امتثال هذا الأمر » .

(١) من كتاب « مدارج السالكين » ، ج (٣) ص (٢٠١) .

(٢) المقام عند السالكين مختلف باختلاف مراتبه وله بداية وتوسط ونهاية ،
والفرق في وسط المقام .

- ٢٨١ -

٧٩ - باب الغيبة :

قال الله - عز وجل - : « وَتُولِيْ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسْفَى عَلَىْ يُوسُفَ
» الغيبة الّتی یشار بھا فی هذا الباب علی ثلاث درجات : الدرجة
الأولی : غيبة المرید فی تخلص القصد عن أيدي العلائق ودرک
العوائق لالتقى الحقائق ، والدرجة الثانية : غيبة السالك عن رسوم
العلم ، وعمل السعی ، ورخص الفتوور ، والدرجة الثالثة : غيبة
العارف : عن عيون الأحوال والشواهد والدرجات فی حصن الجمع .

٨٠ - باب التسکن :

قال الله - عز وجل - : « وَلَا يَسْتَخْفِنُكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ »
التسکن فوق الطمأنينة وهو إشارة إلی غایة الاستقرار ، وهو علی
ثلاث درجات : تمکن المرید ، وتمکن السالك ، وتمکن العارف .
ثم ذکر « شیخ الإسلام » الحقائق فی عشرة أبواب وهي : -
المکاشفة ، والمشاهدة ، والمعاینة ، والحياة ، والقبض ، والبسط
والسكر ، والصحو ، والاتصال ، والانفصال .

٨١ - باب المکاشفة :

قال الله - عز وجل - : « فَأُوحِيَ إِلَى عَبْدِهِ مَا أُوحِيَ ، الْمَكَاشِفَةُ
مَهَادِهَ السَّرِّ بَيْنَ مَتَبَاطِنِينَ ^(١) ، وَهِيَ فِي هَذَا الْبَابِ بِلَوْغِ مَا وَرَاءَ

(١) مهاداة السر : أى تردد السر على وجه الانطاف والمودة بين متباطنين : أى
باطن المکاشف بكسر الشين والمکاشف بفتح الشين ، فيزيد بهاداة السر بين
متباطنین . اطلاع أحد المتباطنین المتصافین صاحبہ علی باطن أمره وسره .

الحجاب وجودا^(١) ، كتب د حسن بن محمد الفركاوي ، قيل : المكاشفة هي علم يخلقه الله في قلب العبد يطلعه به على عجائب ما شاهد^(٢) ، وكتب د الإمام سيد الدين ، : المقصود بها في هذا المثل بلوغ العبد بعون الحق إلى مطالعة ما اتصف به الحق من كمال الصفات ، والتفضيل بأنواع المawahب والكرامات عن وجود وتحقيق^(٣) .

٨٢ - باب المشاهدة :

قال الله - عز وجل - : « إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألق السمع وهو شهيد » المشاهدة : سقوط الحجاب بتا ، وهي فوق المكاشفة لأن المكاشفة ولاية النعم^(٤) وفيه شيء من بقاء الرسم ، والمشاهدة ولاية العين والذات ، وهي على ثلاثة درجات : مشاهدة معرفة ، ومشاهدة معاينة ، ومشاهدة جموع .

٨٣ - باب المعاينة :

قال الله - عز وجل - : « ألم تر إلى ربك كيف مد الظل ، المعاينات ثلاثة : أحدها معاينة الأ بصار ، والثانية : معاينة عين القلب ، والعاينة الثالثة : معاينة عين الروح .

(١) وجودا احتراف من بلوغه سماعا وعلما .

(٢) من كتاب د شرح منازل الساررين ، ص (١٢١) .

(٣) من كتاب شرح د سيد الدين ، ص (١٩٠) .

(٤) يريد أن المكاشفة تتعلق بالصفات الإلهية .

٨٤ - باب الحياة :

قال الله - عز وجل - : «أو من كان ميتاً فاحيده،» اسم الحياة في هذا الباب يشار به إلى ثلاثة أشياء : الحياة الأولى : حياة العلم من موت الجمل لها ثلاثة أنفاس : نفس الخوف ، ونفس الرجاء ونفس المحبة . والحياة الثانية : حياة الجم من موت التفرقة : لها ثلاثة أنفاس: نفس الاضطرار ، ونفس الإفتقار ، ونفس الإفتخار . والحياة الثالثة : حياة الوجود : وهي حياة بالحق لها ثلاثة أنفاس : نفس الهمية وهو يحيي الاعتلال ، ونفس الوجود وهو يمنع الانفصال ، ونفس الانفراد وهو يورث الاتصال ، وليس وراء ذلك ملاحظ لنظرية ولا طاقة للإشارة .

٨٥ - باب القبض :

قال الله - عز وجل - : «ثم قبضناه إلينا قبضاً يسيراً،» القبض في هذا الباب اسم يشار به إلى مقام الضئانين الذين ادخلهم الحق اصطناعاً لنفسه (١) .

٨٦ - باب البسط .

قال الله - عز وجل - : «يذرؤكم فيه،» البسط أن ترسل شواهد العبد في مدارج العلم ، ويسبل على باطنه رداء الاختصاص وهم أهل التلبيس (٢) .

(١) الضئان : جمع ضئينة وهي الخاصة ، يضن بها صاحبها أى يبتخل ببذلها ويصطفها لنفسه ، والادخار من الذخر وهو ما يبعد المرء لحوانبه ومصالحه ، والاصطناع بمعنى الاصطفاء .

(٢) هم مع الناس مخالطون ، والناس يرون ظواهرهم ، وقد ستر الله حقائقهم =

(٨٧) باب السكر :

قال الله - عز وجل - حاكيا عن كلامه - عليه السلام - : « قال رب أرني أنظر إليك ، السكر في هذا الباب اسم يشار به إلى سقوط المالك في الطرف ، وهذا من مقامات المحبين خاصة ، فإن عيون الفناء لا تقبله ومنازل العلم لا تبلغه ، وللسكر ثلاثة علامات : الضيق عن الاشتغال بالخبر والتعظيم قائم ، واقتحام لجة الشوق والتوكن دائم ، والغرق في بحر السرور والصبر هائم (ذاهب عنه) ، ونعم ما قال « شيخ الإسلام » بعده : « وما سوى ذلك فكله نفاقص البصائر سكر الحرص ، وسكر الجهل ، وسكر الشهوة » .

٨٨ - باب الصحو :

قال الله - عز وجل - : « حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق ، الصحو فوق السكر وهو يناسب مقام البسط ، والصحو مقام صاعد عن الانتظار مغن عن الطالب ظاهر من المخرج فإن السكر إنما هو في الحق ، والصحو إنما هو بالحق .

= وأحوالهم وكراماتهم عن رؤية الخلق لها ، إثلا يفتتنوا بهم ، خالهم مليئا على الناس لا يعرفونه ، فإذا رأوا منهم ما يرون من أبناء الدنيا من الأكل والشرب وسائر المعاملات الدنيوية قالوا : هؤلاء من أهل الدنيا ، وإذا رأوا منهم الجد ، والهمم ، والصبر ، والصدق ، وحلادة المعرفة ، والإيمان ، والذكر ، وسائر الأخلاق السامية قالوا : هؤلاء من أبناء الآخرة .

٨٩ - باب الاتصال :

قال الله - عز وجل - : « ثم دنا فتدى فـكان قاب قوسين أو أدنى ، وللاتصال ثلاثة درجات الدرجة الأولى : إتصال الاعتصام ، ثم اتصال الشهود ، ثم اتصال الوجود ، فـاتصال الاعتصام تـصحيح القصد ، ثم تـصفية الإرادة ، ثم تـتحققـيق الحال ، والـدرجة الثانية : اتصال الشهود ، وهو الخلاص من الـاعـتـلال ، والـغـنـيـ عنـ الاستـدـلـال ، وـسـقـوـطـ شـتـاتـ الأـسـرـار ، والـدـرـجـةـ الـثـالـثـةـ : اتصـالـ الـوـجـودـ ، وـهـذـاـ الـاتـصـالـ لـاـ يـدـرـكـ مـنـهـ نـعـتـ وـلـاـ مـقـدـارـ إـلـاـ لـمـ مـعـارـ وـلـمـ إـلـيـ مـشـارـ . »

٩٠ - باب الانفصال :

قال الله - عز وجل - : « وـيـحـذـرـكـ اللهـ نـفـسـهـ » .
ثم ذـكـرـ « شـيـخـ الإـسـلـامـ » ، النـهاـيـاتـ فـيـ عـشـرـةـ أـبـوـابـ ، وـهـيـ :
المـعـرـفـةـ وـالـقـنـاءـ ، وـالـبـقـاءـ ، وـالـتـحـقـيقـ ، وـالـتـبـيـسـ ، وـالـوـجـودـ ، وـالـتـجـرـيدـ ،
وـالـتـفـرـيدـ ، وـالـجـمـعـ ، وـالـتـوـحـيدـ . »

٩١ - باب المعرفة :

قال الله - عز وجل - : « وـإـذـاـ سـمـعـواـ ماـ أـنـزلـ إـلـىـ الرـسـولـ تـرـىـ أـعـيـنـهـمـ تـقـيـضـ مـنـ الدـمـعـ مـاـ عـرـفـواـ مـنـ الـحـقـ ، الـمـعـرـفـةـ إـحـاطـةـ بـعـيـنـ الشـيـ » كـاـ هوـ(١)ـ ، وـهـيـ عـلـىـ ثـلـاثـ دـرـجـاتـ ، وـالـخـلـقـ فـيـهـاـ ثـلـاثـ فـرـقـ : مـعـرـفـةـ الصـفـاتـ

(١) الإـحـاطـةـ بـعـيـنـ الشـيـ كـاـ هوـ تـكـوـنـ فـيـ مـعـرـفـةـ الـعـامـةـ باـعـتـبارـ الصـفـاتـ وـالـنـعـوتـ .
وـفـيـ مـعـرـفـةـ الـخـاصـةـ بـالـتـقـرـبـ إـلـىـ الـذـاتـ ، وـفـيـ مـعـرـفـةـ خـاصـةـ الـخـاصـةـ بـالـاستـغـارـاقـ فـ حـبـ اللهـ بـحـيـثـ لـاـ يـضـعـ دـقـيـقـةـ مـنـ حـيـاتـهـ بـدـوـنـ بـشـاهـدـةـ اللهـ هـيـ مـرـتبـةـ عـلـمـ لـدـنـيـ لـاـ دـخـلـ فـيـهـاـ الـلـاسـتـدـلـالـ وـلـاـ لـلـوـسـائـلـ الـصـورـيـةـ ، وـلـاـ يـمـكـنـ التـعـبـيرـ غـنـيـهـاـ كـاـ هوـ . »

- ٢٨٦ -

والنحوت ، وهى معرفة العامة ، ومعرفة الذات ، وهى معرفة الخاصة ، ومعرفة مستغرقة فى محض التعریف لا يوصل إلیها الاستدلال ولا يدل عليها شاهد ولا تستحقها وسيلة ، وهى معرفة خاصة الخاصة ، .

٩٢ - باب الفناء :

قال الله - عز وجل - : « كل من عليها فان وبق وجه ربک ، الفناء في هذا الباب اضيحال ما دون الحق علماً ، ثم جحداً ، ثم حقاً^(١) .

٩٣ - باب البقاء :

قال الله - عز وجل - : « والله خير وأبقى ، البقاء اسم لما بق قاماً بعد فداء الشواهد وسقوطها ، وهو على ثلاثة درجات : بقاء المعلوم بعد سقوط العلم عيناً^(٢) لا علماً ، وبقاء المشهود بعد سقوط الشهود وجوداً لا نعتاً ، وبقاء ما لم يزل حقاً بإسقاط ما لم يكن محوأ^(٣) .

٩٤ - باب التحقيق :

قال الله - عز وجل - : « أو لم تؤمن قال بل ولكن ليطمئن قلبي

(١) هذه الثلاثة هي مراتب الاضيحال ، فإن الرب - سبحانه - إذا رقى نور باطن عبده وعقله بالعلم تدرجاً فهو في المرتبة الأولى يوى أنه لا خالق سواه ، ولا رب غيره ، ولا يملك الضر والفع غيره ، ولا يستحق أن يعبد سواه ، فهذا توحيد العلم ، وفي الثانية يشهد أن أفعال العباد تعود إلى أفعاله - سبحانه - فيجدد أن يكون لسواه من نفسه شيء البتة ، ثم إذا رقام إلى المرتبة الثالثة يشهد قيام العالم كله - تعالى - أي يأقلمته لها وإنما كلهما فهو الموجود الحقيق المستغن عن كل ما سواه ، وكل ما سواه فغير إلية بالذات لا قيام له بنفسه طرفة عين.

(٢) عينا حال من البقاء : أي باق عينا لا علماً مجردأ .

(٣) وبقاء تعظيم من لم يزل بذكره ، وحبه ، والاشتغال به لا بغيره .

التحقيق تلخيص مصحوبك من الحق^(١) ، ثم بالحق ، ثم في الحق ..

٩٥ - باب التلبيس :

قال الله - عز وجل - : « وللبسا نا عليهم ما يلبسون » التلبيس تورية
بشاهد معارض عن موجود قائم^(٢) . (المراد بشاهد معارض الظاهر الذي أعاره
وبوجود قائم ما ستر على الغير) .

٩٦ - باب الوجود :

أطلق الله - عز وجل - في القرآن اسم الوجود صريحاً في مواضع،
فقال : « يجد الله غفوراً رحيمًا » ، « لوجدوا الله توابةً رحيمًا » ، « ووجد الله
عنه ، الوجود اسم للظفر بحقيقة الشيء » .

٩٧ - باب التجريد :

قال الله - عز وجل - : « فاخلم نعمتك » ، التجريد انخلاع عن شهود
الشواهد ، (والمراد بالشهادة ما سوى الحق - سبحانه -) .

٩٨ - باب التفرييد :

قال الله - عز وجل - : « ويعلمون أن الله هو الحق المبين » ، التفرييد
اسم لتبسيط الإشارة إلى الحق ، ثم بالحق ، ثم عن الحق^(٣) . (الفرق
بين التجريد والتفريد : أن « التجريد » إنقطاع عن الأغيار و « التفرييد »
أفراد الحق بالإثمار فإذاً الأول متعلق بالعبودية ، والثانى بالمعبود) .

(١) المصحوب المعلوم والحق هو الله - سبحانه - ، فمصحوب العبد من الحق
هو معرفته ومحبته ، وتلخيصه هو تلخيصه من المفسدات الفاطحة عنه .

(٢) خوفاً من الفتنة ، أو للامتحان .

(٣) كتيب ابن قيم الجوزية ، الإشارة إليه - غاية ، والإشارة به وجود =

٩٩ - باب الجمع :

قال الله - عن وجل - : «وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى،
الجمع ما أسقط التفرقة^(١) ، وقطع الإشارة ، وشخص عن الماء والطين^(٢)
بعد صحة التكفين والبرامة من التلوين ، والخلاص من شهود الثنوية ، والتناهى
من إحساس الاعتلال ، والتناهى من شهود شمودها» .

١٠٠ - باب التوحيد :

التوحيد عند شيخ الإسلام ، كما ذكرناه سالفاً هو أن ينزع العبد
إله - جل شأنه - عن كل ما يعرض للحوادث ، ولما كان علم العبد ومعرفته
لا يمكن أن يصل إلى كنه الوحدانية القائمة به - تعالى - فتنزيهه له
ناقص ، فإذا ذكر الوحدانية التي اتصف بها الله - تعالى - حقيقتها خارجة
عن حمد تعبيرات العباد ، فلذلك أنشد «عبد الله الانصارى» في حق
توحيد الصوفى ، وقال :

== والإشارة عنه لأخبار وتبيين ، فمن خلاصت إشارته إلى الحق كان من المخلصين ، ومن كانت
إشارته به فهو من الصادقين ، ومن كانت إشارته عنه فهو من المبلغين ، ومن اجتمعت
له الثلاثة فهو من الأئمة المارفون » ص (٤٢١) « مدارج السالكين » .

(١) المراد بالجمع : الجمع بين الإرادة وبين الطلب على مراد المطلوب وحده ،
وبالتفرقة المهمة والإرادة ، أو يراد بالجمع جمع الشهود ، وبالتفرقة
ما ينافي ذلك .

(٢) شخص عن الماء والطين : أي عن عوارض المادية وهذا إنما يصح بعد
الاستقرار في معرفة الله - تعالى - وبعد الاحتراز من التليونات المادية ومشاهدات
الشرك وما يعقل الحواس بحيث ينقي موافقه عن كل ما يشغله غير الله - سبحانه
وتعالى - .

ما وحد الواحد من واحد
إذ كل من وحده جاحد
توحيد من ينطق عن نعنه
عارية أبطالها الواحد
توحيده إياه توحيد
ونعت من ينعته لاحد^(١)

يظهر من المطالعة العميقه لما جاء به «شيخ الإسلام» من مائة مقام
أنه بقوه ذكائه، واستمرار مطالعته ، وكفاحه العملي وصل إلى درجة
أن رسم خطة إصلاحاته الروحية والأخلاقية في مائة مقام ، فرتب
المقامات وما فيها على نهج يسمى على السالكين معرفتـما .

لا أنكر أن «شيخ الإسلام» استفاد في معرفة أكثر هذه المقامات
من أقوال المتصوفين العظام ، ولكن أقوالهم ليس بهذا الترتيب والتحليل
الدقيق ، والسر الأصلي هو أنه لطول دقتـه في الآيات القرآنية والعمل
المستمر منه في السلوك على الصراط المستقيم أمكنه أن يقدم المبادئ
الروحية الجديدة في أحسن وأدق صورة .

نعم : هو اتجـه أولاً إلى الأمراض الروحية والإجتماعية والخلقية ،
ثم حاول أن يعرف العلاج الناجح حتى استطاع أن يـلى نسخة صحيحة
لـمعالجة هذه الأمراض .

لا شك أن ، «شيخ الإسلام» ، أدرج في مقاماته من القيم الروحية
الـتي تزداد قيمتها وأهميتها على مر الدـهور ، وأن من يقرـأها يجد فيها
روح الحياة ، والصلاح ؛ والـفلـاح ، والـسعادة .

فـلهـذا حـاول كـثـير من العـلـمـاء العـظـاءـ، فـهـمـ مقـامـاتـ كـتـابـ «ـمنـازـلـ السـائـرينـ» ،

(١) من كتاب «ـمنـازـلـ السـائـرينـ» ، لـ «ـعبدـ اللهـ الـأنـصارـىـ» ،
ـ ١٩ـ مـ - الصـوـفـ الـكـبـيرـ

- ٢٩٠ -

فكتبوا عليه ^{هـ}ما نية عشر شرحاً، واتفق العلماء بأن هذا الكتاب أحسن الكتب التي كتبت في التصوف لعرفة المنازل والمقامات التي يسير عليهم السالك في الوصول إلى الحق.

ثم بعد التجارب الكثيرة التي مرت على «شيخ الإسلام» عبد الله الأنصاري، عرف العمل الذي تدخل في تلك المقامات وتحفي على المريد المبتدئ، فأملى «شيخ الإسلام» على تلميذه «صالح أبن الفتح» في جواب ما سأله عنه الرسالة الصغيرة التي سميت بـ«عمل المقامات»، ولما كان في هذه الرسالة من أهم القيم العلمية وأن العثور عليها لا يحصل إلا بالمشقة، فهأنذا أقدم نصوصها فيما يأتى :



نصوص رمالة « علل المقامات » لـ « عبد الله الانصاري » التي تتعلق بالأداب الباطنية

أخبرنا الشيخ الإمام « برهان الدين أبو الفتح يوسف بن محمد ابن مقلاد التسويقي الدمشقي » — رحمه الله — قال : « قرأت على الشيخ الإمام الصالح « أبي الفتح عبد الملك أبي القاسم الكروخي » من كتابه الذي منه نقلت فأقر به ، قال « شيخ الإسلام » « أبو اسماعيل عبد الله ابن محمد الانصاري » في حق شيء من العمل التي تدخل المقامات وتخفي على المريد المبتدئ ما يأتى : —

باب الإرادة :

أما الإرادة فإنها للعوام ، وهي صحة القصد وعزم النية والإزمام^(١) على طلب ، وهي في طريق الخاصة تفرق ورجوع إلى النفس ، فإن إرادة العبد عين حظه وهو رأس الدعوى ، وإنما الجمع والوجود والفناء فهم حيثما يراد بالعبد ، ويراد له ، ويريد مولاه « وإن يرددك بخيار فلا راد لفضله » .

باب الزهد :

وأما الزهد فإنه للعوام ، وهو حبس النفس عن الملذات ، وإمساكها عن الفضول ، وجسم الجأش^(٢) ، وقطع الهوى ، وذكر مالا يغنى عن

(١) الإزمام : عبارة عن دهشة ورعدة تعتري الإنسان إذا هم بالأمر الأهم.

(٢) جأش : اضطراب

كل شيء، وهذا في طريق الخاص تعظيم الدنيا والاحتباس عن انتفادها وأصله تعذيب الظاهر بتركها مع تعلق الباطن بها فان المبالغة بالذنب عين الرجوع إلى ذاتك وإلا ساءت في منازعة نفسك وافتاء وفتوك في شهود حسك وبقامك معك (فامن أو أمسك بغير حساب) ^(١).

باب التوكل :

وأما التوكل فإنه للعوام ، وهو أن تكل الأمر إلى مولاك والتتجاوز إلى عليه ورافقته ليذرره لك ويكتفيك ، وهذا في طريق الخاص عمى عن الكفاية لأن الله — تعالى — لم يترك أمراً مهماً إلا مكفيها على قدر وإن اختلاف في العقول ، وتشوش الأعين ، أو اضطراب في المعهود ، أو تراجع في التجاذب ، وهو الأول المدبر ، والتدبر أقدم ^(٢) .

باب الصبر :

وأما الصبر فهو كف الشكوى على مرارة البلوى ، وعقد اللسان عن الحكاية عن كف الأذى ، وتوطين النفس على المكروره ، وهذا في طريق الخاص حجاب ؛ لأنـه منازعة فإنـ أصل هذا كتمان الشكوى ، والحقيقة الخروج عن الشكوى في التلذذ باختيار المولى والذهب به عن كل حال وارد بـه أو حلو (لـكـيلـا تأسـوا عـلـى ما فاتـكم) .

(١) المحاصل أن الرهد عند العامة هو حبس النفس وإمساكها عن المندوزات والفضول ، وقطع الاضطرابات والهوى ، وعند الخواص قطع العلاقة عن كل ما يشغلك حتى عن الرهد أيضاً .

(٢) التوكل عند العوام : التجاه واتساع إلى المولى ، وعند الخواص لا حاجة إلى هذه المشقة ، بل يلزم الاعتماد بأنه لم يترك أمراً مهماً إلا مكفيها على قدر .

باب الحزن :

وأما الحزن فهو الانخلال عن البطر والملذات، وملازمة الكتابة، وهو للعوام، فإنه نسيان الملة والبقاء في رق الطمع، وهذا في طريق الخاص حجاب؛ لأن معرفة الله تعالى – جل نورها كل ظلمة وكشف سرورها كل غمة (فبذلك فليفرحوا).

باب الخوف :

وأما الخوف فهو التيقظ لنداء الوعيد، والحدى مما تشره الغفلات وتوجيه الجنایات، وهو للعوام، وفي طريق الخاص هو أصل رضي العبد بفعله لأنه يرضي بعض أفعاله ويختلف بعضها وهو يؤدي إلى طلب الأمان من مولاه الذي يستحق محبتة، والخائف باق في مشاهدة ذاته والنضح (١) عن نفسه، ولا يؤمن أن يعبد مولاه على وحشة من نظره ونفرة من الأنس به عن فكره (ترى الظالمين مشفقين مما كسبوا وهو واقع بهم).

باب الرجاء :

وأما الرجاء فهو انتظار غائب وطلب مفقود، وهو للعوام، وفي طريق الحق شكوى وعمى، ومن هو على سبيل البرطاف وفي بحر الجود غريق وتحت وابل الإحسان مغمور لم يدع له ما شاهد من مولاه مستزاداً، ولا كشف له عما طالعه به في الدارين مراداً. والرجاء وهن وعقال، وفي طريق الفطرة علة وعلى العبودية اتجهار (مادون الله تريدون).

(١) النضح : الدفاع . من « المنجد ».

وأما الشّكر فهو رؤية النّعمة ، والثناء على معطيها ، والقيام بحصّها ، والإقرار بوجودها ، وهو للعوام لأنّه معارضة طوله بحولك ، وفي طريق الخاص هو القيام بــكفاية المعطى ، والهرب من رق الملة ، والاستراحة من حق الجود ، والظمور في معرض المقاومة واللحظة إلى قوة النفس ، وهو عين البقاء (لا تخصوها) .

باب المحبة :

وأما المحبة أى محبة العبد ربه فهو طلوع العبد بين يدي عزة مولاه، وهي في طريق العوام عمدة الإيمان، وفي طريق الخاص علة الفنان، لأن العوام بها يحتلبون الخدمة ويتحملون المحن، وفي طريق الخاص كل مكان نتيجة من العبد فهو عذر يليق بعجز العبد وفاقته، وأما عين الحقيقة عند الخاص أن يكون للعبد إقامة الحق بقيامه له ووده له ونظره له من غير أن يبالي من العبد بقيمة له توقف على رسم أو تنوط باسم أو تتعلق بأثر أو توصف بنعوت أو تنسب إلى وقت (لدينا محضرون).

باب الشوق :

وأما الشوق فهو غلبة ذكر متمن ، واضطرار الصبر عن فقده ، وشدة طلبه ، وهو للعوام ، وفي طريق الخاص علة ؛ لأن الشوق يكون إلى غائب والمشتاق إليه حاضر ، وطريق الخاص أن يكون غائباً والمحظى ، ولم ينطوي بالشوق كتاب ولا سنة صحيحة ؛ لأن الشوق مخبر عن بعد ، ومشير إلى غيبة ، ومتطلع إلى إدراك (وهو معكم أينما كنتم) .

طريق الخاصة :

واعلم أن التأني للتعلم والمسترشد ، والتعاسر على المنبع للسائل ، وخرق سفينة المساكين ، وقتل الغلام غير البالغ ليس من قدرة العقل في شيء بالابدال عنها لكن إرادة أهل الخصوص التجرد عن المرادات كما بمشاهدة مراد الحق فيه وله وإياه (أو أرادني برحمة هل هن مسكات رحمته) ، فزهدهم جمع الهمة عن تفرقات الكون لأن الحق عافهم بنور الكشف عن التعلق بالأحوال (إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار) وتوكلهم رضاهم بتديير الحق وتخلصهم من تدبيرهم ، والضيق الداعي إلى تفويض أمرهم إلى استصلاح شأنهم ، لوقوعهم على فراغ المدبر عن كفایتهم ، ومرها على علمه مصالحهم ، وتخلصهم من مذاعنته فيها (راضية مرضية) وصبرهم تهيف قلوبهم هو من ظن السوء فإن الله — تعالى — قضى قضاء عاريا من الرأفة خارجا عن الحدة (ولبلي المؤمنين منه بلام حسنا) ، وحزنهم إياهم من أنفسهم الأمارة بالسوء (إن الإنسان لربه لكتنود) ، وخوفهم هيبة الجلال لا خوف العذاب ، فإن خوف العذاب من اصلة عن النفس وضن بها وهيبة الجلال تعظيم الحق ونسيان النفس (يختلفون ربهم من فوقهم) ، ورجائهم ظمآن إلى الشراب الذي هم فيه غرقى وبه سكري (ألم ترى إلى ربك) ، وشكراهم سرورهم بموجودهم ، فاستبشروا بييعكم ، ومحببهم فناؤهم في محنة الحق لهم فإن المحبات كما صلت في محنة الحق لاحباهه ، فإذا بعد الحق إلا الضلال ، وشوقيهم هربهم من رسنـم ، وستـم (وجعلت إليك رب لترضى) .

نتيجة :

فإلا إرادة ، والزهد ، والتوكيل ، والصبر ، والحزن ، والخوف ، والرجاء ،
والشَّكْر ، والمحبة ، والشوق منازل أهل الشرع السائرين إلى عين الحقيقة
فإذا شهدوا عين الحقيقة اضطحلت فيها أحوال السائرين حتى يفنى مالم
يُكَنْ ويُبَقِّي مالم يَزِلْ (ويبيق وجه ربك) . (١)

يتضح من مطالعة «رسالة علل المقامات» لـ «شيخ الإسلام» أنه
بعد التجربة عرف العلل الخفية التي تعرض تلك المقامات، فقام بشرحها
وبيانها على نحو يثبت منه دقّة فكره وعمقه في كشف الحقائق ،
ويتضمن علو مقامه في التصوف ، فعلى السالك التعرف بهذه العلل؛ لكن
لا يخطيء في سلوكه .

(١) من كتاب «خواجه عبد الله الانصارى متصرف جنبلى»، بقلم بورگوى:

التعليق الخاص على الآداب الظاهرة والباطنية

لـ «عبد الله الانصارى»

وما يلزم أن ذكره هو أن بعض هذه المقامات والأداب التي جاء بها «شيخ الإسلام»، «عبد الله الانصارى»، مذكورة في كتب الصوفية القدماء مثل كتاب «قوت القلوب»، لـ «أبي طالب مكي»، المتوفى سنة (٥٣٨٦)، وكتاب «التعرف لمذهب أهل التصوف»، لـ «أبي بكر محمد الكلبادى»، المتوفى سنة (٥٣٨٠)، وكتاب «اللمع»، لـ «أبي نصر السراج الطوسي»، المتوفى سنة (٥٣٧٨)، وكتاب «حلية الأولياء»، لـ «أبي نعيم الأصفهانى»، المتوفى سنة (٥٤٣٠)، ومثل الرسالة «القشيرية»، للإمام «عبد الكريم القشيرى»، المتوفى سنة (٤٦٥ هـ)، وآثار «عبد الرحمن السعى»، المتوفى سنة (٤١٢ هـ)، لكن «شيخ الإسلام»، هو العالم العامل، الصوفي المحقق الوحيد الذى أدرج مقامات الصوفية في مائة مقام، وضبط كل مقام في مراتب، واستدل في كل منها بالآيات القرآنية، فن أنعم النظر فيها شرح «شيخ الإسلام»، من المقامات، والمراتب يتحقق عنده أن «شيخ الإسلام»، حاول أن يعالج المسلمين من الأمراض الروحية وينفرس في أفكارهم المبادىء الشلانية الآتية : -

١ - المعرفة الحقة. ٢ - تطهير الفكر. ٣ - حسن السلوك.

لاشك أن تلك المبادىء لها قيمة في حد ذاتها : لأن بواسطه معرفة الحق ، وتطهير الفكر ، وحسن السلوك يستطيع الإنسان أن يؤدى فرائضه وواجباته في الحياة فيجي حياة طيبة ويفوز بالسعادة الأبدية .
وها أنذا أشرح تلك المبادىء الشلانية ببركة الانتباه الذى حصل

عندى من مطالعة كتب «شيخ الإسلام» مثل «آداب الصوفية»، و«منازل السائرين»، و«رسالته : علل المقامات».

المعرفة الحقة :

قد وجه «عبد الله الأنصارى» الناس بمقالاته وتلقيناته إلى المعرفة الحقة التي جاءت في الكتاب والسنة ، واستخرج تعليمه من هذين المنبيين ، ولاشك أن معرفة الحق أساس المعرفة ، لأن الفرق بين الإنسان والحيوان بالادراك ، والادراك هو ما يعبر عنه بالمعرفة ، وقيمة صحة المعرفة تحصل بمطابقتها للواقع ، وتلك المطابقة إنما تكون بمعرفة حقائق الأشياء ، فعلى هذا يلزم على كل من يدعى الإنسانية أن يبدأ أولاً عملية المعرفة بنهج يصل به إلى الحق ، وهو نهج التفكير والتعقل الصحيحين ، وفي استطاعة الإنسان أن يبدأ نشاطه في هذا المنهج بمعرفة نفسه بما لها وما عليها حتى يصل الإنسان من معرفة نفسه إلى العلم بمبدئها وإلى العلم بالكتائب وأسرارها ، وموجدها ، فينتج من تلك العملية نتائج الخير والسعادة . قال الله - تعالى - : «وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفْلَامٌ تَبَصِّرُونَ»^(١) ، وأيضاً قال : «إِنِّي خَلَقْتُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ، وَخَلَقْتُ الظَّلَالَ، وَالنَّهَارَ وَالْفَلَكَ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ، وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا، وَبَثَ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ، وَنَصَرَفَ الرِّيَاحَ، وَالسَّحَابَ الْمُسْخَرَ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقُلُونَ»^(٢) ، وقال الله - تعالى - : «وَلَقَدْ خَلَقْنَا إِنْسَانًا مِّنْ سَلَالَةِ مِنْ طِينٍ، ثُمَّ جَعَلْنَا نَطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ، ثُمَّ خَلَقْنَا النَّطْفَةَ عَلْقَةً، ثُمَّ خَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عَظَاماً فَكَسَوْنَا الْعَظَامَ حِلْمًا»^(٣) .

(١) الذاريات الآية (٢١) . (٢) البقرة الآية (١٦٤) .

(٣) المؤمنون الآية (١٢) .

- ٣٩٩ -

نعم : مسألة معرفة النفس لها قدر عظيم ، لأن من يعرف نفسه حق المعرفة يستطيع أن يعرف خالقه وأن يعرف فرائضه وواجباته في الحياة ، ولا شك أن من يعرف نفسه ، واستعداد نفسه فإنه يهوى معرفة الكائنات وأسرارها ، ثم يأخذ في معرفة الحق ، فيستفيد بما في اختياره بنور المعرفة ، ويمشى على طريق الحق والصراط المستقيم ، هذا هو الهدف الأصلي والغاية العظمى للتتصوفة الحقيقي ، والطريق الموصل إلى هذه المعرفة الحقة أن يستمر السالك بالإحساس الصحيح والتعقل الصافى والبرهان النقى ، ومداومة تصفية القلب والعقل والحواس بالأذكار والرياضة والزهد والعبادة والتقوى . والحقيقة أن هذا هو ما يطلبه منا الصوفيون العظام من أمثال « عبد الله الانصارى » رحمة الله تعالى .

تطهير الفكر :

حاول « عبد الله الانصارى » أن يطرد الأفكار من الأدران السيئة المادية والنفسية ، وثبت عنده أن أساس بناء المدينة الصالحة تطهير الفكر .

نعم : أساس جميع الإصلاحات تطهير الفكر وحسن النية ، ثم قوة العزم والإرادة ؛ لأن الأعمال مظاهر الفكر ، فإن كان الفكر على الخير بربت منه الأعمال على صورة الخير ، وإن كان الفكر على الشر ظهرت منه الأعمال المضرة الشريرة ، فعلى هذا يحتاج الناس إلى تطهير الفكر وحسن النية أشد الاحتياج .

ولأجل ذلك رتب على النبات ثوابها ، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل إمرىء ما نوى .

نعم : إذا ظهر الفكر وصحت النية يسمى تعمير ما في الفكر وما نوى ، وإن من أشد الموانع في السير على الطريق المستقيم اختلال الأفكار والنيات ، فمن أراد أن يوفق على ما يرام يلزم تطهير الفكر ، والوسيلة الموصولة إلى تطهير الفكر وحسن النية النظر في عواقب الأمور ، والتصميم للوصول إلى الأهداف السامية والمثل العليا مثل اتباع الحق ، وأداء الفرائض والواجبات ، وخدمة الخلق .

ولو أنعمنا النظر في المقامات التي شرحها «شيخ الإسلام» نجد أنه حاول أن يظهر الأفكار بتعليمات الصوفية من الأدناس المادية الحيوانية الشريرة ؛ لكي يسمى السير إلى الأهداف السامية والسعادة الأبدية .

حسن السلوك :

قد ثبت أن حسن السلوك هو أن يستعمل الإنسان جميع ما في اختياره لما خلق لأجله ، أى أن يتصرف الإنسان فيما أعطاه الله تعالى - من الجوارح ، والآلات ، والقوى ، والاستعدادات ، والأسباب ، والمعدات تصرفاً حسناً يسْتَعْمِل إحساسه ومشاهدته ، وجميع أفكاره وأقواله وأعماله وقراراته بمقاييس القوانين الحقة للحق والخير ، فإذاً يلزم علينا أن نفك في الوسائل المؤدية إلى حسن السلوك ، ولا شك أن الوسيلة المؤدية إليه المعرفة التي تبلغ مرتبة الاعتدال بين الإفراط والتغريط في الأمور كالماء ، ثم العزم والإرادة المتينة الثابتة لا حفاق الحق .

ولو أنعمنا النظر في حسن السلوك لوجدنا أن حسن السلوك أساس التمدن والمدنية ، وبه تبني مباني الحياة السليمة ، وأن الأقوام والمملки يحتاجون إليه أشد الاحتياج ؛ لأن الإستفادة المشمرة من الماديات وما في الكون لا تتحقق من غير حسن السلوك والمعاصرة الطيبة ، ومن

شُمْ نَرِي الْأَنْبِيَاءُ وَالرَّسُلُ وَالْمُصْلِحُونَ يَحَاوِلُونَ تَعْلِيمَ الْأَخْلَاقِ وَحَسْنِ
السُّلُوكِ مُحاوِلَةً جَادَةً ، حَتَّى أَنْ مُحَمَّداً - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ :
« إِنَّ اللَّهَ بَعْنَى لَأَنْتُمْ مَكَارِمُ الْأَخْلَاقِ » ، وَقَالَ اللَّهُ - تَعَالَى - فِي شَأنِ
مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « فِيهَا رَحْمَةٌ مِّنَ اللَّهِ لَتُنْهَى طَمَّ وَلَوْ كَنْتَ
فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ »^(١) ، وَقَالَ اللَّهُ - تَعَالَى - فِي
حَقِّهِ : « بِالْمُؤْمِنِينَ رَمُوفٌ رَّحِيمٌ »^(٢) ، وَوَصَّفَ اللَّهُ - تَعَالَى - أَصْحَابَ
السُّلُوكِ الْحَسَنِ بِقَوْلِهِ : « وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ
هُوَزًا ، وَإِذَا خَاطَبُوهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا »^(٣) ، وَقَالَ اللَّهُ - تَعَالَى -
لِتَعْلِيمِ حَسَنِ السُّلُوكِ : « إِذْ دُفِعَ بِالنِّيَّةِ هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا ذُنِّيَّكَ وَبَيْنَهُ
عَدَاوَةٌ كَأَهْلِهِ وَلِيْهِمْ »^(٤) ، وَقَالَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : « وَاعْفُ
عَنْ ظُلْمِكَ » ، وَفِي الْحَدِيثِ : « صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ قَطْمَكَ » ، وَقَوْلُ اللَّهِ - تَعَالَى -
« إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِلِبَّا فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوهُ قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتَصْبِحُوهُ عَلَى
مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ »^(٥) أَيْضًا إِشَارَةً لِتَعْلِيمِ حَسَنِ السُّلُوكِ وَالْمُعَاشرَةِ الطَّيِّبَةِ ،
وَقَالَ أَيْضًا : « وَإِنْ طَائْفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ افْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوهُمَا بَيْنَهُمَا ،
فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْآخَرِي فَفَاتَلُوا إِلَيْهِ تَبَغِيَّتْ حَتَّى تَفَعَّلَ إِلَى أَمْرِ
اللَّهِ ، فَإِنْ فَاعَلْتُمْ فَأَصْلَحُوهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسَطُوهُمَا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ
إِنَّمَا الْمُؤْمِنِينَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوهُمَا بَيْنَهُمَا أَخْوَيْكُمْ ، وَانْقُوا اللَّهُ لَعْنَكُمْ تَرْحِمُوهُنَّ .
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يُسْخِرُ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ ، وَلَا
نَسَاءٌ مِّنْ نَسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنْ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ، وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنْبِزُوا

(١) آل عمران (١٥٩) .

(٢) التوبه (١٢٨) .

(٣) الفرقان (٦٣) .

(٤) فصلت (٣٤) .

(٥) الحجرات (٦) .

بالألقاب بأس الاسم الفسوق بعد الإيذان ، ومن لم يتلب فأولئك هم الظالمون .
 يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ، ولا تجسسوا
 ولا يغترب بعضكم بعضا ، أحب أحدهم أن يأكل لحم أخيه ميتا
 فـ كـ رـ هـ تـ مـ وـ وـ اـ قـ وـ اـ لـ اللهـ إـ نـ اللـهـ تـ وـ اـ لـ رـ حـ يـ مـ . يا أيها الناس إنا خلقناكم
 من ذـ كـ رـ وـ أـ نـ شـ عـ وـ جـ عـ لـ نـ اـ كـ مـ شـ عـ وـ بـ اـ وـ قـ بـ اـ لـ لـ تـ عـ اـ رـ فـ وـ اـ لـ إـ نـ أـ كـ رـ مـ كـ عـ نـ دـ اللـهـ
 أـ قـ اـ كـ مـ إـ نـ اللـهـ عـ لـ يـ مـ خـ يـ بـ يـ ، (١) ، وقال الله - تعالى - : « إن الله يأمر
 بالعدل ، والإحسان ، وإيتاء ذى القرب ، وينهى عن الفحشاء ، والمنكر
 والبغى يعظكم لعلكم تذكرون » (٢) .

وقال الله - تعالى - والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا
 وعملوا الصالحات ، وتواصوا بالحق ، وتواصوا بالصبر » (٣) ، وقال :
 « وأوفوا بالكيل إذا كنتم ، وزنوا بالقسطاس المستقيم » ، وقال :
 « ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك
 كان عنده مسؤولا » (٤) .

وأمثال هذه الآيات لو بحثنا عنها في تعليمات الإسلام ، لوجدنا
 فيها سبل حسن السلوك ، والمعاشة الطيبة ، وما يكفل السعادة ،
 وما يرتقي بها الإنسان إلى أعلى مراتب السماء الإنسانية ، وهذا هو
 المطلوب الأسنى للصوفيين العظام من أمثال شيخ الإسلام عبد الله الأنصاري ، في إصلاحات القلوب والنفوس والأفكار ، فتصوفهم في
 الحقيقة نوع من التجارب والتربيات التي يرتقي بها الإنسان إلى أعلى
 مراتب السماء الإنسانية .

(١) الحجرات (من ٩ - ١٣) .

(٢) التحل (٩٠) .

(٣) النصر (٣ - ١) .

(٤) الإسراء (٣٦ - ٢٥) .

النظرة الإجمالية على كتاب «طبقات الصوفية»

لـ دعـد الله الـأـنـصـارـي

وما يناسب ذكره أن «السلبي» ككتب كتاب، طبقات الصوفية بالعربية في أواخر القرن الرابع الهجري بعد سنة (٥٣٨٧) ويشتمل هذا الكتاب على أحوال خمس طبقات من طبقات أهل التصوف، ففي كل الأربع الطبقات الأولى منها قد ذكر أحوال عشرين من الصوفيين، وفي الطبقة الخامسة ذكر أحوال ثلاثة وعشرين من الصوفيين أي أنه ذكر (١٠٣) من الصوفيين العظام، كما أنه ذكر في كتابه هذا

(١) السلمي : هو المفسر ، المحدث الصوفى ، الزاهد المعروف في « خراسان » ، واسمه بالكامل . أبو عبد الرحمن محمد بن حسين بن محمد بن موسى بن خالد بن سالم الأزدي ، ولد في العاشر من جمادى الآخرة سنة (٥٣٢ھ) في مدينة نيسابور ، وتوفي في يوم الأحد الثالث من شهر شعبان سنة (٤١٢ھ) في مدينة نيسابور ، وكان في جملة أسانذته « أبو الحسن الدارقطنى » ; ومن تلاميذه « عبد السكرين القشيري » صاحب الرسالة « القشيرية » المتوفى سنة (٤٦٨ھ) ؛ و« فضل الله أبو سعيد بن أبي الحير » المتوفى سنة (٤٤٠ھ) ؛ والإمام « أبو محمد عبد الله الجوني » المتوفى سنة (٤٣١ھ) ، و« أبو بكر البهيمق » المتوفى سنة (٤٥٨ھ) .

لكل واحد من الصوفية عشرين حكاية، فبدأ من «الفضيل بن عياض»، وختم به «محمد بن عبد الخالق الديبورى»^(١)، وقد طبع كتاب «طبقات الصوفية» للسلمى في القاهرة سنة (١٩٥٣ م) باهتمام «نور الدين شريبه» من أساتذة الأزهر الشريف.

وقد ألف «السلمى» مؤلفات كثيرة حتى أنه ألف في مدة تسع وخمسين سنة ثلاثين كتاباً، وكان له في مدينة «نيسابور» مدرسة، ومكتبة، وخانقاه (تكميه) وله شمرة وشعيبة كبيرة، ولذا أخذ «شيخ الإسلام» يدرس كتاب «طبقات الصوفية» للسلمى، لكنه غير الترتيب فبدأ في كتابه «طبقات الصوفية» بأحوال «أبو هاشم الصوفى»، وذلك لأن «ذا النون المصري» قال: «أول من قيل له صوفى هو: «أبو هاشم الصوفى»، ولما جاء «الجندى» رتب علم الصوفية وألف فيه كتاباً، ثم أعلن «الشبلى» علم التصوف على المنابر، كما قال «الجندى»: «ونحن نلقن هذا العلم في الأماكن الخفية، جاء «الشبلى» وأعلنه، على المنابر، وقد ذكر «شيخ الإسلام» في أوائل كتابه «طبقات الصوفية» في سبب اهتمامه بذكر أحوال الصوفية، فقال ماحاصله الآتى:

«إنه في يوم من الأيام قد حكى «أبو القاسم الجندى بن محمد الصوفى» رحمة الله تعالى - حكايات المشايخ، وقال: «هم جند من جنود الله - عز وجل -»، فسأله واحد: ماذا تفيد هذه الحكايات للمربيدين؟، فأجاب «أبو القاسم»: قال الله - عز وجل -: «وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما ثبت به فؤادك»، وقال الله - تعالى -: «فاصبر كما صبر أولوا

(١) من مقدمة كتاب: «طبقات الصوفية» بالفارسية المطبوع في كابل سنة،

١٣٤١ هـ ص (٩ - ١١).

العزم من الرسل ... ، ولا تكن كصاحب الحوت ... الآية ، وأيضا
قال الله - تعالى - : « وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ
اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّنَ وَالصَّدِيقِينَ وَالشَّهِيدَاتِ وَالصَّالِحِينَ ، وَحَسْنَ أُولَئِكَ
رَفِيقًا » ، وقال الرسول - صلى الله عليه وسلم : « الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَ » ،
كما قيل :

أَخْوَانَ صَدَقَ لَوْ يَفْارِقُ بَيْنَهُمْ فِي الْمَشْرِقِينَ فَإِنَّمَا تَتَأْلَفُ

وَقَالَ شَاعِرٌ آخَرُ :

لِعُرْكَ هَا الْقَرْبَ قَرْبُ الدِّيَارِ وَلَكِنَّهُ الْقَرْبُ قَرْبُ الْقُلُوبِ
فَلَأْجَلْ هَذَا أَوْصَى « شِيخُ الْإِسْلَامِ » الْمَرِيدِينَ أَنْ يَحْفَظُوا مِنْ
الْمَشَامِنَ تَوجِيهَاتِهِمُ الْحَسَنَةَ وَسُلُوكُ حَيَاتِهِمُ الطَّيِّبَةَ (١) .

وَمَا أَدْهَشَنِي أَنْ « شِيخُ الْإِسْلَامِ » ذَكَرَ فِي كِتَابِ « طَبَقَاتِ
الصَّوْفِيَّةِ » (٢) عَنْ « الشِّيْخِ السِّيرُوَانِيِّ » أَنَّهُ قَالَ « آخِرُ مَا يَخْرُجُ مِنْ قُلُوبِ
الصَّدِيقِينَ حُبُّ الرِّيَاسَةِ » ، وَذَكَرَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جَنِيدٍ أَنَّهُ قَالَ : « الشَّهْرَةُ
فَتْنَةٌ وَكُلُّ يَتَمَّنَاهَا ، وَالْخُنُولُ رَاحَةٌ وَقُلُّ مَنْ يَرْضَاهُ » وَهَذَا لِأَنَّ حُبَّ
الرِّيَاسَةِ مَا يَغْتَرُ بِهِ عَامَّةُ النَّاسِ ، وَحُبُّ الشَّهْرَةِ جَعَلَ النَّاسَ مِثْلَ الْمُجَايِّنِ ،
وَأَنَّ رَأْسَ كُلِّ الْمُؤْمِنَاتِ هُوَ حُبُّ الرِّيَاسَةِ وَالْمَحْصُولُ عَلَى الشَّهْرَةِ
وَالسَّمْعَةِ حَتَّى أَنْ مَنْ يَدْعُى الْعِلْمَ ، وَالْفَضْلَ ، وَالصَّالِحَ ، وَالْتَّقْوَى
لَا يُسْتَطِعُ أَنْ يَخْلُصَ مِنْ حُبِّ الرِّيَاسَةِ وَالشَّهْرَةِ إِلَّا مِنْ يَهْدِيهِ اللَّهُ - تَعَالَى -
وَيَوْفَقَهُ لِمَا يَحْبُبُ وَيَرْضِي ، فَيَأْتِي بِهِنَا وَوَفَقْنَا لِمَا تَحْبُبُ وَتَرْضِي آمِينٌ
يَارَبُّ الْعَالَمِينَ .

(١) مِنْ كِتَابِ « طَبَقَاتِ الصَّوْفِيَّةِ » ، بِالْفَارَسِيَّةِ المَطَبُوعِ فِي كَابُولِ (١٣٤١ هـ)

ص (٢ - ٥) .

(٢) مِنْ كِتَابِ « طَبَقَاتِ الصَّوْفِيَّةِ » ، ص (٩) .

نبذة من مناجاة «شيخ الإسلام عبد الله الأنصاري»

قد روی عن «عبد الله الأنصاري»، كثير من مناجاته باللغة الفارسية وها أنا أذكر فيها يأتي حاصل ترجمة بعض منها :

إلهي : أنت واحد لا مثل لك ، وأنت قيوم لك القدرة ، وعالم بكل شيء ، وبصير في جميع الأحوال ، ومنزه عن العيب ، ومبреء عن الشرير ، أنت أصل كل دواء . وقلب دواء القلوب ، أنت مالك الملك ، فعال لما تريده ، معزز بتأج الكبriاء ، مستو على العرش العلي ، وقائم على مقام الاستغناه ، يليق بك خطاب الألوهية ، ويستحسن بشأنك ملك الألوهية .

إلهي : أنت في الجلال رحمن ، وفي الكمال سبحانه لا تحتاج إلى مكان ولا إلى زمان ، لا يشبهك أحد ولا أنت تشابه أحدا ، قد ثبت أنك في قلبي ، بل القلب يعيش بالشيء الذي هو أنت .

إلهي : أنت قائم بفضلك ، وبشكوك مشكور ، وقربك إلى علم العارف ، وبعيد عن أوهامنا .

إلهي : تحميده بعظمتك وسيلة السرور ، وإظهار شكر نعمتك باللسان هو مرتبة الغرور .

إلهي : إذا وضعت على أحد مشقيك فقد بادت محاصيل وجوده (أى أهلكته) .

إلهي : من عرفك ترك كل ما هو غيرك .

إلهي : إذا نظرت فيك أحس بأني ملك الملوك و تاج العزة على رأسي :
و إذا نظرت في نفسي أشعر بأني من المذلة كوبين و تراب المذلة على رأسي .
إلهي : أتلفت عمري ، و ظلمت نفسي ، و جعلت الشيطان العين راضياً عنِّي .

إلهي : في رأسي عشقك وهوak ، وفي قلبي أسرارك ، وفي لسان
نشيدك .

إلهي : إذا تكلمت (فالمناسب) أن أتكلم بحمدك ، وإذا طلبت
(فالمناسب) أن أطلب رضامك .

إلهي : اخترت من الدارين محبتك ، ولبست لباس المشقة ، وخرقت ستار العافية .

إلهي . كل الناس محتاجون بسبب عدم ما يملكون وأنا محتاج لاجل ما أملكه .

إلهي . إن لم يكن لي طاعات كثيرة (لا تؤاخذني ، لأنه)
للسـ لـ في الدارـن غيرـك .

إلهي . لا تقل مَاذا جئت به ؟ لَكِيلًا يُكْشِفُ أَمْرِي ، ولا تأسّل
مَاذا فَعَلْت ؟ لَثَلَاثًا يُفَضِّحُ حَالِي .

إلهي . إن ظاهر صورتي مضطرب كثيرا وباطني مخلوط بالنوم والغفلة ، ولـي صدر ملـوه . بالنـار وعـينـي مـلـوـهـةـ بـالـمـاءـ ، فـأـحـرـقـ حـيـناـ
ـنـادـ صـدـريـ ، وـأـغـرقـ مـرـةـ أـخـرىـ فـيـ مـاءـ العـيـنـ .

إلهي : إذا كنت حاضرا فما شئ أطلب ؟ وإذا كنت ناظرا فما إذا
أقول ؟ (أي لا حاجة إلى الطلب والقول) .

إلهي: إذا كنت تفعل كل ماتريده ، فلماذا تطلب من هذا العاجز المفلس ؟

إلهي: لو أن بحر رحمتك يوج (فاذن) من يتحقق العصيان منه ؟
ولو تنظر بعين الرحمة ، فمن يعصي ؟ .

إلهي: إذا أردت أن تسقط أحداً جعلته مختلفاً للفقراء (أهل الله - تعالى -) .

إلهي: كل الجمال لك وكل شيء غيرك قبيح (بالنسبة إليك) وإن الزهاد (في الحقيقة) عبيد الجنة .

إلهي: إذا كنت تعلم أن العبد يحتاج ، فاذن الدعاء والطلب منك لجاج .

إلهي: ياليت لو كان « عبد الله » تراباً ، لتكون سجلات الوجود خالية من اسمه .

إلهي: كل الناس يخاف منك وعبد الله يخاف من نفسه ؛ لأن كل ما يأتي منك فهو صواب ، وأن ما يصدر مني فهو سوء .

إلهي: إن الأغنياء يباهون بالدرارم والدفانير ، وإن الفقراء (أهل الله) يقعنون بهـ « نحن قسمنا بينهم » .

إلهي: كل الناس سكارى بالشراب ، وأما أنا فسكران بالساق ، فسكرهم يفنى ، وسكرى دائم .

إلهي: كنت كثيراً من الأيام أطلبك ، فأجد نفسي ، وأنا الآن أطلب نفسى فأجدك .

إلهي: أنا أعرف عجز نفسي ، وأشهد بعدم قدرتي ، وأن الطلب « الحقيق » هو طلبك ، فأنا إذن ماذا أطلب ؟

إلهي : إذا كان لك نار الفراق ، فلماذا خلقت نار الجحيم ؟

إلهي : لو أردت أن تحرق « عبد الله » لا تستحق أن يكون لإحرافه جحيم آخر ، ولو أردت أن ترأف بحاله لاستحق أن يكون لراحته جنة أخرى .

إلهي : إن صحبة أحبابك ماء الحياة ، وصحبة غيرهم عذاب النعوس .

إلهي : إن ورد الجنة في عين العارفين شوك ، وإن من يطلبك لا حاجة له بالجنة .

إلهي : إن ليل الفراق ، وإن كان مظلما إلا أن قلبي فرحان بأن صبح الوصول قريب .

إلهي : طلبتنا فتأخرنا ، وأمرتنا فقصرنا ، فهوها لآن كل ما عملناه عملناه من غير تدبر .

إلهي : أنت غفار ، وأنا ملء بالمعصية (ومع هذا) تقبل مني ؛ لأنني وإن لم أكن صادقا ، إلا أنني كنت رفيرا للصادقين .

إلهي : لو كنت مجرما (لا تواخذنى ؛ لأنني) مسلم ، ولو كنت عاصيا فإن نادم ، ولو عاقبتي فأنا مطيع لأمرك ، ولو رحمتني فأنا مستحق لعطائكم .

إلهي : حينما أنت كنت في غيب كنت أنا في عيب ، ولما ظهرت من الغيب فارقت العيب .

إلهي : لو تواخذنى بمعصيتي فأنا أواخذك بكرملك ؛ لأن كرمك أكثر من معصيتي .

- ٣١٥ -

إلهي : ليس من غير آلامك مكان للفرح ، وليس من غير عبوديتك وجه الحرية .

إلهي : إن كل الناس يخاف من يوم الجزاء لكن عبد الله يخاف من الأزل ؛ لأن ما ثبت في الأزل لا يبدل .

إلهي : أى الوجع يكون أشد من أن يكون المعشوق مقتداً والعاشق محتاجاً .

إلهي : لو كان العمل بالقول ، فأنا تاج على رؤس كل الناس ، ولو كان الأمر موقعاً على العمل ، فأنا محتاج إلى البعوضة والنلة .

إلهي : أنت إذا قلت أنا كريم ، فالرجاء والأمل قد تم به ، وإذا قلت أنا رحيم ، فاليأس علينا حرام .

إلهي : (لا أعرف) أشتكي من الوجود أم أشتكي من العدم (والحال) أن الشكاكية من الوجود محال ومن العدم ليس بمعقول .

إلهي : إن الذي أردت مني ، طلبه .

إلهي : أنت قائم برحمتك وأنت قائم باحتياجى ، وأنت مقتدر وأنا فقير .

إلهي : إن الجنة من غير رؤيتك سجن ، وسوق المسجون إلى السجن ليس خلق المكريم .

إلهي : لو كانت التوبة عبارة عن عدم المعصية ، فمن التائب في هذه الدنيا ؟ ولو كانت التوبة عبارة عن الندم ، فلا يوجد عاص في هذه الدنيا .

إلهى: ان على رأسى غبارا من الكسوف ، وفي قلبي وجع من الحسرة ، وقد أصفر وجهى من حياء العصيان .

إلهى: لو لم أقم بالصدقة فإني لم أقم بالعداوة ، وإذا كنت مصرًا على المعصية ، فأنا مقر بالتوحيد ، وإذا قاطعني فإني لا أنقطع عنك .

إلهى: إن الذى اخترت لي اشتريته ، فاخترت من الدارين صداقتكم .

إلهى: فقدت صبرى ووهنت طاقى ، ومن بذرة زراعة استقرارى قد نبت عدم الاستقرار .

إلهى: النار في محبتك باردة ، والنعمة من غير لطفك وجع .

إلهى: إن الأجير راض منك ، وإن العارف ينفر من الماضى والمستقبل .

إلهى: قد غرق القلب في بحر العصيان وصار الجسد محجوبا ، نفربت القلوب وصارت الأ بصار عشواء .

إلهى: إذا تمواج بحر عنايتك كيف تظهر معصية العصاة ؟

إلهى: لست مسرورا ، ولا بائسا ، ولا صحيحا ، ولا مريضا ، ولا قريبا ، ولا مهجورا .

إلهى: لو لم أقل لك شيئا لتعيبت ، ولو ناجيتك يخف ثقل ما حملت .

إلهى: كل الدنيا تلبيس وأن من يجهها أقبح من أبليس .

إلهى: تستطيع أن تجعل من العدم كل شيء ، وتفنى كل الأشياء ، لا تستطيع أحد أن يقول لك لم هذا ؟ لأنك خالق لهذا وذاك ، يا من رقاب المخلوقات تحت قدرتك ، ورقاب العالمين في تدبيرك ، وكل المغرورين في اعتقالك ، وكل المتكبرين منكسرؤون بقدرتك : وإن الجحيم محبسك .

وإن الجنة حديقتك ، وإن في السماء سلطانك ، وفي الأرض أحكمك ،
 أنت في القلوب مخفى وفي الآخرة ظاهر ، وإن العزة والكبرياء تليق
 بك ، وزاد المطعين يوم القيمة إحسانك ، (وثبت بتوقيع كل السعداء
 عنوانك) (١) يا خالق من غير معاونة ، ويا واحد بدون عدد ، يا أول
 من غير بداية ، ويا آخر بدون نهاية ، يا ظاهر من غير صورة ، ويا باطن
 بدون سيرة ، يا حي من غير حيلة ، ويا عزيز بدون ذلة ، يا غني من غير
 قلة ، يا معط بدون فكرة ، يا غفور من غير منه ، يا كريم بدون ضئلا ،
 يا مبدع من غير آلة ، يا علام بدون تفكير ، يا فاسد من غير تغير ، يا من
 ذاتك بدون كيف ، يا من صفاتك من غير نقص ، ياعالم الأسرار ،
 يا سميع الأصوات ، يا بصيرا بالصلوات ، يا من تقبل الأدعية ، يا من
 تعرف الأسماء ، يا من تصل الحاجات ، يامنها عن العواتق ، يا مطلعا
 على الحقائق ، يا رحيم بالخلافات تقبل معاذيرنا ، لأنك الغنى ونحن الفقراء
 ولا توأخذنا بعيوننا ، لأنك القوى ونحن الضعفاء ، ولو آخذتنا فلا حجة
 لنا عليك ، ولو أحرقتنا فلا طاقة لنا ، (وقد ثبت) أنه يصدر من
 العباد الخطأ والزلة (لكن) السلطان يعطي ويرحم .

يا ملجا الآمال ، ويا من قلوب الأصدقاء في كنفك الوحد ، يا حلال
 المشكلات الذى قلوب العباد في مكثون تقديرك ، يامن أنت المفضل
 الذى لاتحتاج لافضال أحد ، يامن أنت المنعم الذى لا اتهاء لنعمتك ،
 يامن أنت القهار الذى لا يستطيع أحد قهرك ، يامن أنت الجبار الذى
 لا يمكن أن يقاومك الظالمون ، يامن أنت الحكيم الذى لاقدرة لأحد
 أن يهرب ويخلص من بلائك ، يا كريم فلا غناه لعبادك من عطاءك ،

(١) رمز إلى أن السعداء يهتمون برضاء الله - دأبنا .

فاحفظنا : لكي لا نضطرب ، وأقنا على الصراط ؛ لكي لا نقع في المشكلات (نعم) نحن غافلون لكن لسنا بكافرين .

يا عالم ليس كملك شيء ، يا قادر من غير ظهير ، يا سلطان بدون وزير ، يا قادر من غير مثال ، ياقا هر بدون مشير ، ياقا هر من غير بديل ، يا جبار بدون عديل ، يا مفضل من غير فضول ، ياعادل بدون عدول ، يا قاضي من غير عزل ، ياحاكم بدون هزل ، أصلحنا ، لأننا في التشتبه غارقون ، واجمعنا ، لأننا في نهاية الاضطراب .

يا كريم يا من يعطي العطاء ، يا حكيم يا من تستر الأخطاء ، يا صمد يامن أنت منه عن إدراكنا ، يا أحد يا من لا مثل لك في ذاتك وصفاتك يا خالق يا من تهدى من ضل ، يا قادر يا من تتصرف باللهية ، فببركة ذاتك الأزلية ، وبصفاتك السكالية ، وبعزتك وجلالك وبعظمتك ، وجمالك أعطنا من أنوارك وهب لقلبي من عشقك ، ولبصرنا من أضوائك ، وبرحمتك أعطنا ما هو الأفضل .

إلهي : لا يستطيع لسان أحد أن يؤدي حق شكرك ، ولا نهاية لبحر فضلك ، ولا يعرف أحد سر حقيقتك (كتنك) اهدنا طريقاً لا أفضل منه .

إلهي : إن أمامي خطرا ، ولا يوجد طريق من ورائي ، نفذ يدي ؛ لأنه لا ملجأ لي من غير فضلك .

إلهي : سواء على أن أكون موجوداً أو معدوماً (إشارة إلى مرتبة الإمكان والضعف) (مع هذا) فأخرجني من تلاطم الغم إلى ساحل السرور .

إلهي : أعطنا (إيمان) القلب الذي نفدي به أنفسنا في عملك ، واعطنا
الوجود الذي نعمل به للأخرة .

إلهي : أعطني علماً لذا أسقط في الطريق ، وأعطني بصيرة لذا أفع
في البر .

إلهي : لا تطلب منا (حق) طاعتك ؛ لأننا لا نستطيعه ، ولا تقل
لنا عما يليق بك ؛ لأننا لا نستطيع أن نقيم به .

إلهي : خذ يدي ؛ لأنه لا وسيلة لي (غيرك) ، وتقلبي ؛ لأنه
لا مفر عندي إلى (غيرك) .

إلهي : أعطنا الآخرة ؛ لكي تنفر (بها) من الدنيا ، وأعطنا التوفيق ؛
لكي تستقيم في ديننا .

إلهي : أصلاح أمري ، ولا تنظر إلى عملي .

إلهي : أعطني قلباً يشاق إلى كثرة طاعتك ، وأعطني توفيق طاعتك
الذي يهديني إلى الجنة .

إلهي : أعطى العلم الذي لا يكون فيه نار الموا ، وأعطى العمل الذي
لا يكون فيه الغل ، والرياء .

إلهي : أعطني بصرأً يشاهد ربوبتك ، واعطني قلباً لا يختار غير
عبدوبتك .

إلهي : أعطني الشفاء ؛ لأنه لا يحصل الشفاء من هؤلاء المعلولين ،
واحمل مشكلاتنا ؛ لأنه لا يستطيع أن يحل المشكلات هؤلاء المهزونون .

إلهي : علمنا ؛ لكي نعرف بالعلم ، وأوقد المصباح ؛ لكي لا نبقى
في الظلمة .

- ٣١٥ -

إلهي : احفظ كل الناس من مكر الشيطان ، وجنهم من كيد النفس
(الأماره بالسوء) .

إلهي : أعطنا لقامك ، لكيلا نافتت إلى غيرك ، وافتح لنا الباب ؛
لكيلا نمر بباب أحد غيرك .

إلهي : ليست الحياة (الحقيقة) هي هذه ؛ بل هذه عذاب ، وليس
العمر هو هذا ، بل هو بناء على الماء ، فلو لم يكن نظر عنائك لخربت
الأمور .

إلهي : إننا نعمل في الدنيا المعصية ، فينقم بها حبيبك محمد - صلي الله
عليه وسلم - ، ويفرح بها عدوك إبليس (عليه اللعنة) ، ولو كنت
تعذبنا يوم القيمة يغنم حبيبك محمد - صلي الله عليه وسلم - ، ويفرح
عدوك (إبليس) ، فإذا إلهي لا تعطي لعدوك فرحتين ، ولا تضع على
قلب حبيبك مشقتين .

إلهي : كل (من أهل الله) يطلب أن ينظر إليك ، ويطلب « عبد الله »
أن تنظر أنت إليه .

إلهي : أعطني بصرأ إذا نظرت به إلى العدو يجرحه ، وإذا نظرت
به إلى الصديق يجعل الواحد ألفا .

إلهي : لست ظالماً لأقول احترز ، ولا حق لي عليك لأقول اعطي
(حق) ، لكن لأجل أنك رفعتي في البدء ، فلا تسقطني في النهاية ، أنا
ضيفك فراعنى حسبي تعلم .

إلهي : احفظ « عبد الله » من ثلاثة آفات : من وساوس الشيطان ،
ومن المواجس النفسيانية ، ومن غرور الجمالة .

إلهي : خلقتني بدون مقابل ، ورزقتنى بدون عوض ، فاغفر لى (أيضاً)
من غير مقابل ؛ لأنك إله ، ولست بتاجر .

إلهي : لو سقتنى إلى الجحيم فليس عندي حجية ضدك ، ولو سقتنى
إلى الجنة فلا أشتريها بدون جمالك .

إلهي : أطلب منك أن تجبينى إلى مطلوبى ، وإنى لا أطلب غير
وصالك .

إلهي : لا تطعه هذا المصباح الضعيف ، ولا تحرق هذا القلب المحروق ،
ولا تحرق هذا الستار الخيط ، ولا تطرد هذا العبد الذى بدأ بالتعلم جديداً .

إلهي : أخاف من جرمى ومعصيتى ، ومضطرب من غفلتى وجنونى .

إلهي : إذا كنت من أحبابك فارفع الملة يبتنا ، وإذا كنت من
الضيوف ، فاحفظنى حفظاً حسناً ، وارحم قلبي المحزون ، ولا تبقى في
هذه الحيرة .

إلهي : بحق الذى ليس لك شئ من الحاجة ارحم على حاله من
ليس له حجية .

إلهي : أعطى يقيناً لا شك فيه ولا رياه ، واعطى عليناً لا يكون
من غير النور والضياء .

إلهي : اعط لعبد الله من فضلك شرابة حتى لا يجيء إلى وجهه من عقله حجاب

إلهي : كنا في الحجاب وأنت في ستار الغيب ، فلما طلعت أنت

(من ستار الغيب) أخرجننا من العيب .

إلهي : لا بأس أن تهلكنى ، لكن لا تهجرنى « ولو ترسلنى إلى الجحيم
أنا راض ، لكن لا تفارقنى بحبك .

إلهي : لو ترید أن تطلبني ، فاطلبني من فضی ، ولو ترید ذاتك ففهمني
بك . (١)

إلهي : أنت تحاسب الأغنياء ، وأنا فقیر ، ولو كان حساوئك للهفلسين ،
فأنا مفلس من الجميع ، لا تبعث الا ضطرا ب في نفس هذا المفلس واحفظه
في جوارك .

إلهي : كل من يهواك يقولون إنه بخون ، وكل من يهوى نفسه ،
 فهو بعيد عنك ، أنت تعرف أن كل هذا نوع من النشيد ، فتفضل
 بالهدایة ؛ لأن تقديم المعاذير (في الحقيقة) تعلم .

إلهي : إن الآلام بذكرك سرور ، وإن الفرح من غير ذكرك غرور ،
 فاعطنى السعادة في الدنيا ، لأن القيمة بعيدة .

إلهي : إن المطلوب الذي يحصل من غير الطلب ، طلبه منهك باطل ،
 ولكن القلب يميل إلى طلبه منهك ، فتفضل بمراعاته ؛ لأن المعاملة
 مع القلب .

إلهي : ماذا أفعل بالجنة ؟ ، ولماذا ألعب مع الحور ؟ (أى لا أريد
 الجنة ، والحور بل أريد أن) تعطيني البصيرة التي أجمل بواسطتها من
 كل نظرة جنة .

إلهي : لو أنظر إليك أفتخر . ولو أنظر في ذاتي أخسر ، ولو أنظر
 إلى نفسي أذوب ، فألاق على نظرة ؛ لكن ألق لباس الشرك في الماء .

(١) رمز إلى أن معرفة الله - تعالى - إجمالا هي من قدرة إنسان بقدر نظره
 في النفس وما في الكون وأما معرفته تفصيلا فتحتاج إلى توجيه الله - تعالى - وفهميه

إلهي : بلطفك ، وكرمك ساعدعني ، وبرحمتك أبقيني ؛ لأن القلب يباب
الكرم متضرع ، والنفس في الانتظار .

إلهي : ارفع الحجاب من الطريق ، ولا تسكلنا إلى أنفسنا .

إلهي : أتمن هذه الميسرة التي أعطيتني ، وداموا هذا البرق الذي نورته ،
وأقرن بداية هذه السعادة بالختام .

إلهي : بحرمة الاسم الذى أنت تعلمك ، وبعزة الصفات التى توصف
بها تقبل استغاثتنا ؛ لأنك تقدر .

يا من هو البصير الذى لا يغفل ولا ينام ، ويما مقتدر بغیر مساعد تبعد
عنا أربعة أمور : الفضيحة يوم الحساب ، والمحاجب في وقت التكلم ،
والحرمان في ساعة الشدة . والمحاجب في أوان الرؤية .

إلهي : إن قبة العارفين (في الحقيقة) هي شمس وجهك ، وإن
حراب القلوب هو جمال عينيك ، وأن المسجد الأقصى للقلوب هو حرم
طريقك ، انتظار إلينا ؛ لأنفنا بانتظارك . (١)

(١) ترجمت مناجاة «شيخ الإسلام عبد الله الأنصاري» من الكتاب المسمى بـ «مناجاة ومقالات خواجه عبد الله الأنصاري» بالفارسية المطبوع في طهران ص (٧ - ٣١).

التعليق على مناجاة « عبد الله الأنصارى »

هذه نبذة من مناجاة وشيخ الإسلام عبد الله الأنصارى والتى جاءت في كتبه مثل « طبقات الصوفية » وفيها روى وحكي عنه في الكتاب الفارسى المسمى بـ « مناجاة » ومقالات خواجه عبد الله الأنصارى « بالفارسية » .

يثبت منها علو مقام تصوفه وأدبه ، ويظهر منها أنه وصل إلى المراتب العالية من الحب والوجود ، ولو أنعمنا النظر في كل نداءاته لعرفنا أن « شيخ الإسلام » في عصره لم يكن من الصوفيين السطحيين ؛ بل كان وحيد عصره في مقام التصوف والأدب

نعم : قد أثرت نداءات حبه ، وحرارة وجسه أثراً عميقاً في القلوب ، وقد جذبت لطافة بيانه ، وحسن ما أدى من اللآلئ في أحلى كلامه كثيراً من الناس ، حتى أقر علماء المسيحيين والهندود ، وفي جملتهم « غاندى » الرعيم الشميم للهندود بعلو مقامه الروحاني والأدبي ، ووصوله إلى الحقائق الثابتة .

ولذا ترجم المستشرق « الأبس » دى لو جيه دى بوركى الدومنى كثيراً من آثار « شيخ الإسلام » باللغة الفرنسية .

نبذة من الموعظ ، والنصائح التي نسبت إلى

«شيخ الإسلام عبدالله الأنصاري»

قد ثبت أنه وصلت شهرة موعظ «شيخ الإسلام» ، ونصائحه في حياته إلى كل الآفاق الإسلامية حتى ارتحل كثير من الفضلاء من المناطق البعيدة إلى مدينة «هراء»، للاستفادة من موعظه ، ونصائحه ، كما ذكرنا سابقاً أن : «الأديب الشهير أبو الحسن باحرزى» ، قال في وصف دروسه ، ومواعظه ، ونصائحه ما يأتى : «كان مجلسه تذكيراً بالدرجة العليا ، وكان في علم التفسير وحيد عصره ، ولو أن «قس بن ساعدة» ، سمع آدماً كلامه لم يخطب بعده في سوق «عكاظ» ، واعترف أيضاً الشاعر والأديب الشهير «أبو القاسم الروزنى» المشهور بلقب «بارع» ، بعلو مقام «شيخ الإسلام» ، وقال : «إنه لم ير مثل «عبدالله الأنصاري» إماماً في مجلس من مجالس الدرس» ، فلذلك أقدم إلى السادة القراءين الكرام فيما يأتى حاصل ترجمة نبذة من الموعظ ، والنصائح التي نسبت إلى «شيخ الإسلام عبدالله الأنصاري» ، من الفارسية ؛ لكي يعرفوا مقامه في الوصول إلى الحقائق ، ويستفيدوا من نصائحه .

١ - حاصل موعظة «عبدالله الأنصاري» ، التي تتعلق بالعبادة والمعرفة والنظر في العوائب :

قد قال «شيخ الإسلام عبدالله الأنصاري» ، في موعظته التي تتعلق بالعبادة والمعرفة والنظر في عوائب الأمور ما يأتى : «إن العبادة حق ، و (قد ثبت أيضاً أن) العبادة من غير المعرفة عبث مطلقاً ، فيلزم عليك أن تحصل أولاً معرفته ، ثم تطيعه طاعة تامة . كن دروشاً

وكانوا ، ومعتقداً ومقرأً بوحданاته ، واقطع النظر من كل الأشياء غير رضاه ، فإذا أردت أن تطلب فاطلب منه ، ولو أردت أن تطلب نفسك فيلزم عليك أن تتجه إلى عاقبة الأمر ؛ لأن أصل الأمر النظر إلى العاقبة وأعرف أن مرتبة الفقر دولة لاتزول .

خف من الذي لا يخاف (من الله) ، ومن الذي يقوم بالعمل من غير أن يستشير أحداً .

كن سارياً للعيوب ولا تكون باحثاً عن العيوب .
إذالم تكون تذكر حسنات الناس ، فلا تروى عيوبهم (أيضاً) .

ثم ذكر « عبد الله الانصارى » في هذه الموعظة الكلمات الرمزية العالية التالية : « كن عطشان ، ولا تشرب » (أى كن عطشان في حب الله ، ولا تشرب ما يجعلك غافلاً) .

« كن عاريأ ، ولا تلبس » (أى كن عاريأ من المسكر ، والرياء ولا تلبس لباس الزور ، والرياء) .

« لا تبع الدقيق في السوق » (أى لا تكون كتاجر يبيع الناس ما يحتاجون إليه في حياتهم ، ويستفيد منهم أثمان حياتهم ، بل كن مخلصاً في أعمالك لله) .

لو كنت من الدراويش (الصوفية) فلم تتجبر ؟ ، ولو كنت تعرف مقدار نفسك فلم تسكبر ؟ .

لو كنت سكران خالص نفسك من المسكر ، ولو أنت تعرف نفسك فامع نفسك ، ولكن مستيقظاً ؛ لكي لا تؤثر عليك صحبة أهل الدنيا ، ولكن مع الدراويش رفيقاً .

إن الفقر خاصة أهل التجريد والتفريد ، وأن التجريد هو وظيفة أرباب التوحيد ، ولن يكون فوق التوحيد مقام ، ولا يصح التوحيد بدون المعرفة ، وأهل المعرفة هم الدراويس (الصوفية) ، وهم عرّفوا هذا المعنى ؛ لأنهم لما عرّفوا الحق قطعوا النظر عن غيره ، فلن وجد الحق قطع علاقته قلبه عن غيره ، ولا يميل إلى صحبة الناس .

ثم حاول « عبد الله الانصارى » في آخر هذه الموعظة أن يقوى روابط الناس مع الحق ، ويوجههم إلى صحبة الصالحين ، وأهل الله .

٢ - حاصل موعظة « شيخ الإسلام عبد الله الانصارى » في الوصول إلى السعادة والمراتب العالية ، وفي الصحبة مع الأهل والنفرة من غير الأهل : -

« أيها العزيز : إن مصباح السعادة الأبدية ، وفتح الباب السرمدية في الحصول على الطريق الحق ، فمن لم يعرف فهو جاهل مطلقاً ، فإن كنت طالب نفع هذا الطريق ، ولو ظهر لك هذه الموانع المادية من الماء والتربة ؛ لأنك إذا رفعت الموانع ، فقد قطعت المسافة ، وإذا قطعت عن نفسك (الموانع المادية) ، فقد وصلت إلى محبوبك ، وسترى ما لم تر ، وبعده لا طريق للإشارة هناك ، ولا يعرف اللسان هذا السر .

ثم أشار « شيخ الإسلام » بكلماته الغالية إلى المطالب العالية التالية : « كن سخوراً ولا تصرخ . كن حاراً ولا تغلى . كن مكسوراً وساكتاً ؛ لأن من يصرخ عن الحجارة يأخذ الناس بيديه ، ويحملون المكسور على عواتقهم . قد أراد « عبد الله الانصارى » بهذا أنه يلزم السالك أن

- ٣٢٣ -

تَكُونُ عِنْدَهُ جَذْبَةٌ وَحْرَارَةُ الْعُشُقِ بِحِيثُ لَا يَفْهَمُهُ أَحَدٌ ، وَأَنْ يَكُونَ
عِنْدَهُ وَجْعُ الْعُشُقِ مَعَ السَّكُوتِ لِئَلَّا تَعْتَرِيهِ الْعَوَارِضُ وَالْمَوَانِعُ .

ثُمَّ قَالَ : « لَوْ تَطْلُبُ النِّجَاهَ فَاصْبِرْ عَلَى الْابْتِلَاءِ ، وَلَوْ تَطْلُبُ الْبَقَاءَ
فَاقْصُدِ الْفَنَاءَ ، وَلَوْ حَصَلَ عِنْدَكَ مِنْ هَذِهِ الْمَرَاتِبِ فَلَا تَفْرَحْ ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ
حَاسِلَةً عِنْدَكَ فَلَا تَطْلُبْ .

كَنْ رَفِيقًا وَلَا تَكُونْ عَدُوًا (وَاعْلَمْ) أَنْ يَبْعَثِ الرَّفِيقُ مِنْ أَخْلَاقِ
الْإِسْلَامِ ، وَيَبْعَثِ النَّفْسَ كَفِيرًا خَالِصًا .

قَدْ أَرَادَ شِيْخُ الْإِسْلَامِ ، بِهَذَا الرَّمْزِ الْآخِيرِ هُوَ أَنْ مِنْ أَخْلَاقِ
الْإِسْلَامِ أَنْ تَقْدِمَ إِلَى رَفِيقِكَ كُلَّ الْإِخْلَاصِ وَالْإِحْسَانِ بِحِيثُ يَعْتَدِدُ
عَلَيْكَ كُلُّ الْاعْتِمَادِ ، حَتَّى لَوْ تَبَيَّنَ لَكَ شَيْئًا ، وَمَرَادُهُ بِكُفَّرٍ
يَبْعَثُ النَّفْسَ هُوَ إِذَا لَمْ تَلَاحِظْ سَعادَتَهَا الْأَبْدِيَّةَ ، بَلْ تَكُونُ مَغْرِفًا فِي
لَذَّاتِهَا الْآنِيَّةِ ، أَوْ لَعْلَهُ أَرَادَ أَنْ مِنْ يَبْعَثُ نَفْسَهُ فِي حُبِّ اللَّهِ تَعَالَى .
فَهُوَ كَافِرٌ بِهَا سُوَى اللَّهِ تَعَالَى .

ثُمَّ قَالَ : « إِنْ كَانَ الْإِنْسَانُ أَنْ يَكُونْ قَلْبَهُ بِإِخْتِيَارِهِ فِي تَصْرِفَاتِهِ ،
وَأَمَا سَائرُ الْجَوَارِحِ فَهُوَ مِثْلُهَا مِثْلُ الْمَاءِ وَالْأَطْيَنِ (يَعْنِي إِذَا كَانَ الْقَلْبُ
بِإِخْتِيَارِكَ تَسْتَطِعُ أَنْ تَبْنِي بِجَوَارِحِكَ مَا تَرِيدُ) .

ثُمَّ قَالَ : « إِذَا كَانَ صَدِيقُكَ صَالِحًا فَالْأَمْرُ يَكُونُ سَهْلًا ، وَالصَّحْبَةُ
مَعَ الْأَهْلِ تَسْاعِدُ الْقَلْبَ وَالْجَسَدَ ، وَالصَّحْبَةُ مَعَ غَيْرِ الْأَهْلِ تَفْرِقُ
الْأَصْدِقَاءَ وَتَشْتَتُ الْأَهْلَ وَالْأَسْرَةَ ، لَأَنَّ الصَّدِيقَ الْأَهْلُ هُوَ الَّذِي يَزِيدُ
الْقَلْبَ قُوَّةً ، وَغَيْرُ الْأَهْلِ هُوَ الصَّدِيقُ الَّذِي يَصَاحِبُكَ لِيَخْتَلِسَ مِنْكَ
الْأُكْلِ ، فَعَبَرَ عَنِ الصَّدِيقِ الْأَهْلِ بِشَفِيقِ الْقَلْبِ ، وَعَنِ صَدِيقِ

غير الأهل برفيق الأكل ، فعلى هذا اقطع علاقتك مع السكل إلا مع الشلانة :

- ١ - العالم الذي ينهاك عن العيب ، ويجعلك إلى التقوى .
- ٢ - الفقير الذي تكون بصحبته متواضعاً ، وتصل ببركته إلى الاعمال الخيرة .
- ٣ - صاحب القلب الذي نزل غمام الرحمة على رأسه ووجهه لعله ينزل منه شيء على رأسك ووجهك .

ثم قال : « لو كان كلامي ، ورجل عبد الله الانصاري ، مشدودين بعدم التجربة أولى من أن يكون جالساً في عدم التجربة ، أراد به أنه يلزم أن لا يكون عدم التجربة سبباً للجمود لأن يقول شخص لا أعمل ؛ لأنك يحتمل أن يصدر منه الخطأ فتنسب هذه الحلة في جموده ، بل يلزم على كل واحد أن يعمل بدقة وإن كان يخطيء لعدم التجربة ، لأن الخطأ مع النشاط ، والدقة تصل بالإنسان في آخر الأمر إلى الصواب والتجربة . »

٣ - حاصل موعظة « شيخ الإسلام عبد الله الانصاري ، التي تتعلق بالاحتراز والاجتناب عن تضييع الأوقات الفالية :

« أيها العزيز : إن أعلى النعم وأحسن اللذات هو الحياة ، وأن الحياة التي تذهب من غير ذكر الله - تعالى - فهي (في الحقيقة) ممات . من صرف أوقات حياته بفكرة ، وشكراً فهو (في الحقيقة) السعيد الذي استفاد من ثمرة حياته . »

اغتنم مدة حياتك وقدرها ، واحترم فرصة حياتك ولا تعش

فِي ظُلْمَاتِ الْهَوَاجِسِ النُّفُسَانِيَّةِ، وَأَخْرَجَ مِنْ كَدْرِ الْوَسَاوسِ الشَّيْطَانِيَّةِ،
فَإِلَى مَتَى تَسْكُونُ مُثْلَ الَّذِينَ لَا أَهْلِيَّةً لَهُمْ غَارِقُونَ فِي الْأَهْوَاءِ وَالْمَوْسِ،
غَافِلُينَ عَنِ الْمَسْجِدِ (أَيِّ الْعِبَادَةِ) وَيُسَكُونُ لِلَّيلَ وَنَهَارًا فِي الْمَعَاصِيِّ،
وَقَدْ هَلَكَتْ أَحْوَالُكَ مِنِ الْمَعَاصِيِّ، وَصَارَتْ صُورَتُكَ مِنْ وَسَاطَةِ
الْمَجْلِ سُودَاءَ.

مَا كَانَ عِنْدَكَ حَيَاءٌ فِي أَوَانِ الشَّبَابِ وَلَا نَدَامَةٌ فِي أَيَّامِ الشِّيخُوخَةِ
قَدْ مَضَتْ حِيَاتُكَ لَكَنْ مَا طَلَبْتَ الْمَعْذِرَةَ.

يَا حَسَرَتِنَا عَلَى حَالِ (الْإِنْسَانِ) الَّذِي يَكُونُ بِسَبِّبِ الْهَوَاءِ وَالْمَوْسِ
فِي النَّهَارِ نَخْمُورًا فِي السُّرُورِ، وَفِي اللَّيلِ نَائِمًا فِي الغُرُورِ، وَهُوَ غَافِلٌ
عَنْ أَنَّهُ بَعِيدٌ مِنْ رَبِّهِ، وَأَنَّهُ غَدَّاً سَيْكُونُ مِنْ أَهْلِ الْقُبُورِ.

هِيَاتٌ هِيَاتٌ ! مِنْ ضِيَاعِ الْأَوْقَاتِ (بِهَذِهِ الْفَضَائِحِ) : بَأْنَ يَكُونُ
فِي زَمَانِ الطَّفُولَةِ الدَّنَاءَةِ، وَفِي أَوَانِ الشَّبَابِ السُّكَرِ، وَفِي وَقْتِ
الشِّيخُوخَةِ الْفَتُورِ، فَكَرِّرْ أَيْهَا الْمَسْكِينُ فِي أَنْكَ مَتَى تَعْبُدُ اللَّهَ؟ وَإِلَى مَتَى
تَرْتَكِبُ الْمَعَاصِي عَلَى الدَّوَامِ؟، وَإِلَى مَتَى لَا تَنْتَدِمُ وَلَا تَسْتَحِي مِنِ الْمَعَاصِي
قَدْ فَانَتِ الْفَرَصَةُ وَلَنْ تَعُودُ، وَلَا يَنْسَابُ الْاعْتِنَادُ عَلَى غَدٍ، اغْتَنِمْ فَرَصَةَ
الْحَيَاةِ؛ لَا إِنْ كَثِيرًا مِنَ الْأَمْوَارِ يَعُودُ إِلَى الْحَيَاةِ، فَنُلِّ سَعَادَةَ التَّوْبَةِ؛
لَا إِنْ الْفَرَصَةُ مُغَنِّمَةٌ، وَأَخْرَجَ مِنْ جَنُونِ الْغَفْلَةِ؛ لَا إِنْ زَمْنُ الْحَيَاةِ قَبِيلٌ.

٤ - حاصل موعدة « عبد الله الانصارى » التي تتعلق بالترهيب

والترغيب :

« أَيْهَا الْعَزِيزُ » : إِنَّ الدُّنْيَا مَكَانُ الْعَبُورِ، وَلَيَسْتَ مَدِينَةُ السُّرُورِ، هِيَ
رَبَاطٌ عَدَمِ الإِقَامَةِ، وَبِسَاطٌ عَدَمِ الْاسْتِقْرَارِ، لَا مَرْهُومٌ وَلَا عَلَاجٌ لِجَرَاحَةِ

لدفعاً ، وإنها مطلقة « إبراهيم ابن أدهم » - رحمة الله عليه - ، هي بيت الحنة والظلم ، ومطرودة « للجنيد البغدادي » - رحمة الله عليه - ، هي الجرعة التي تحرق القلب من مرارتها ، ومنفورة لـ « شقيق البلخي » - رحمة الله عليه - هي نعمة الغفلة والفهم - واحدة ، وملعونه في نظر « أبا يزيد البسطامي » - رحمة الله عليه - ، هي دير لأهل الهمة الدنيا ولعيون النفوس ، ومطرودة من همة « السلطان أبي سعيد أبو الخير » - رحمة الله عليه - ، هي منبع المكر والفساد الجبلي ، وجزرها « الشيخ الحفاني الشبلي » - رحمة الله عليه - هي دلالة لقاولة الغرور ، ومكرهه عند « الشيخ أبو الحسن الثوري » - رحمة الله عليه - ، هي مسيبة في التأثير الرديء ، ومطرودة لـ « معروف الكرخي » - رحمة الله عليه - ، هي ضجة (صوت) الظلم والاحتلال ، ومنفورة لـ « سفيان الثوري » - رحمة الله عليه - ، هي سوق حار لمناجع الكاسد ، ومحجولة لـ « منصور الحلاج » - رحمة الله عليه - .

ثم قال «شيخ الإسلام» : « الدنيا أساس الشقاوة ، ومنفورة لعارف الحق « ذى النون » - رحمة الله عليه - ، هي غير مقبولة عند طبائع أهل القبول ، ونفر منها « البهلو » - رحمة الله عليه - هراراً ، أسقطها الأتقياء وأخذها الأشقياء ، فلن طلبها فقد ذل وصار لسان اعتذاره كلاماً ، ولأهل العبرة في هذه الآية دليل « قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير وأبقى » .

يثبت ما ذكر في هذه الموعظة أن « عبد الله الانصاري » ، كان ينفر من الدنيا نفوراً شديداً ، وحاول أن ينفر الناس من أضرارها ، لكن هذا لا يمنع من أن تستغل الدنيا في المصلحة الخاصة والعامة ؛ لأن الغرض الأساسي لـ « عبد الله الانصاري » ، من مذمة الدنيا هو أن لا تكون

الدنيا عند الناس الهدف الأسمى ، حتى لا يختل نظام الكون ، ولا أن تجعل من وسائل فساد القيم الروحية حتى لا تضطرب الحياة ، وتضر بالاطمئنان والسلام الإنساني .

هـ - حاصل موعظة ، عبد الله الأنصاري ، التي تتعلق بمعرفة
الأخلاق والفضائل المحمودة :

«أيها العزيز ، كل من واظب على عشر صفات فقد أصلح أمره في الدنيا والآخرة وهي :

- (أ) أن يكون مع الحق بالصدق .
- (ب) ومع النفس بالقمر .
- (ج) ومع الخلق بالإنصاف .
- (د) ومع الأكابر بالخدمة .
- (هـ) ومع الصغار بالشفقة .
- (و) ومع الفقراء بالسخاوة .
- (ز) ومع الأصدقاء بالنصححة :
- (ح) ومع الأعداء بالحلم .
- (ط) ومع الجملاء بالسكتوت .
- (ى) ومع العلماء بالتواضع .

ثم قال «شيخ الإسلام» : « يصل المؤمن إلى الله - تعالى - بثلاثة أمور : بالأدب ، وبالكرم ، وبأن لا يضر المخلوق » .

وقال «شيخ الإسلام» : « أصل الإيمان عبارة عن أربعة أمور : خوف ، ورجاء ، وحب ، ويقين ؛ إذ لو لم يكن الخوف لكان

الأمن ، والأمن من الله - تعالى - كفر ، ولو لم يكن الرجاء لـ كان اليأس ، واليأس من رحمة الله - تعالى - كفر ، ولو لم يكن الحب لـ كان البعض ، والعداوة مع الله - تعالى - كفر ، ولو لم يكن اليقين لـ كان الشك ، والشك في الله - تعالى - كفر .

ثم قال «شيخ الإسلام» : «من خلاص من ثلاثة أمور فقد خلاص من جميع المصائب : من غم الحسد ، ومن عذاب الحرص ، وخوف الفقر » .

قال «عبد الله الأنصاري» : «يلزم كل مؤمن ستة أمور : اثنان على القلب . واثنان على اللسان ، واثنان على سائر الأعضاء ، أما اللذان على القلب فهما : أن تكبر أمر الله - تعالى - ، وتشفق على الخلق ، وأما اللذان على اللسان فهما : ذكر الله - تعالى - ، وحسن الكلام ، وأما اللذان على سائر الأعضاء فهما : طاعة الله - تعالى - ، ورفع المحنّة عن الخلق ، وقال أيضاً : «أربعة أمور علامة الشقاوة : كفران النعمة ، وعدم الرضا على القسمة ، والمسكالة في الخدمة ، وعدم الاحترام في الصحبة ، وقال : «لا تعتمد على ثلاثة أشياء : على القلب ، وعلى الحياة ، وعلى الوقت ؛ لأن القلب يتلون ، والحياة في النقصان ، والوقت في التغير » .

قال «شيخ الإسلام» : قد أعطى الله - تعالى - للعبد ثلاثة أمور : هي لسان ، وقلب ، وسائر الأعضاء ؛ لكن تذكره باللسان ، وتحبّوه بالقلب ، وتخدموه بسائر الأعضاء ، لكن (على العكس) أنت تقول باللسان العبث ، وبالقلب تنسى ، وبالجوارح لم تكن تعمل الخير ، فلو أنت مؤمن فاستغفر باللسان ، واعتبر بالقلب ، وكن مفتقرأ (إلى الله - تعالى -) ، قل باللسان الحكمة ، واعمل بالقلب الندامة ، واحفظ

بالأعضاء الامانة ، كن باللسان ذاكرًا ، وبالقلب شاكراً وبالنفس صابراً . كن باللسان ناطقاً ، وبالقلب صادقاً ، وبالأعضاء سابقاً (إلى رضاء الله - تعالى -) . كن باللسان لطيفاً ، وبالقلب خفيفاً ، وبالأعضاء عفيفاً ، كن باللسان حامداً ، وبالقلب خاطراً ، وبالأعضاء عابراً . واعمل باللسان الحمد والصفة ، وبالقلب الخوف والرجاء ، ودافع بالأعضاء عن البلاء ، كن باللسان قارئ القرآن ، وبالقلب مؤمناً ، وبالأعضاء مطيناً .

قال «شيخ الإسلام» يلزم السالك أربعة أمور؛ ليكون لائقاً بسلوك هذا الطريق: الأول العلم، والثاني: الورع، والثالث: التفكير في الله - تعالى - ، والرابع: الوجود؛ لأن من لم يكن عالماً يمكن الجهل بما له، ومن لم يكن ورعاً يمكن في عاقبة أمره العقاب، ومن لم يفكر في الله - تعالى - يمكن كافراً في القلب، ومن لم يكن بالوجود يمكن قلبه مردوداً، وقال رضاe الحق في ثلاثة أمور:

- ١ - في مخالفة الموى .
- ٢ - في ترك الدنيا .
- ٣ - في فقد النفس في طريق الله - تعالى - .

وقال أيضاً: «اعط الدنيا من يساعدك أو للكلب لثلا يغض رجلك و (اعلم) لو كان الطريق نظيفاً لاخوف من العدو ، ولا ينجس البحر بلسان الكلب ، ولا يظهر الكلب بسبعة أبحار .

علامة الرهد ثلاثة أمور: قصر الأمل ، وعدم الاعتماد على عمله ، واليقين بأن الأجل قريب ، ثم قال : «لا تجعل عقیدتك بأن الله كريم موجبة للغفلة ، ولا صبره موجباً للجرأة على المعاصي . قم الليل (لذكر الله - تعالى -)

لـكـ يـسـعـدـكـ يـوـمـ الـقـيـاـمـةـ ، فـلـوـ كـنـتـ غـافـلـاـ بـالـأـمـسـ كـنـ مـسـتـيقـظـاـ فـيـ
هـذـاـ الـلـيـلـ جـداـ ، وـخـذـ مـعـكـ الزـادـ ؛ لـأـنـ السـفـرـ قـرـيبـ جـداـ ، أـوـقـدـ المـصـبـاحـ
بـالـنـدـمـ لـأـنـ الطـرـيـقـ مـظـلـمـ جـداـ ، لـأـنـ آمـنـ ؛ إـنـلاـ تـهـلـكـ ، وـالـأـمـنـ إـنـماـ يـحـصـلـ
عـنـدـمـ تـسـتـرـيـعـ فـيـ القـبـرـ مـعـ الإـيمـانـ ، كـنـ مـسـتـيقـظـاـ ؛ لـأـنـ وـقـتـ الطـاعـةـ
يـنـقـضـىـ ، فـكـنـ فـيـ أـوـلـاـكـ عـافـلـاـ إـنـلاـ تـهـلـكـ فـيـ أـخـرـاـكـ ، .

٦ - حاصل موعظة عبد الله الانصارى، في الأمر بالأوصاف الجميلة والنهى عن الأوصاف السيئة :

وـأـيـهـاـ الـعـزـيزـ : وـأـعـلـمـ أـنـ أـحـسـنـ الـأـعـمـالـ مـعـرـفـةـ الـحـقـ - تـعـالـىـ
جـلـ جـلـالـهـ - ، فـيـلـزـمـ أـوـلـاـ مـعـرـفـةـ اللـهـ تـهـالـىـ - ؛ لـأـنـهـ أـوـلـ الـأـوـلـ وـهـوـ يـعـطـىـ
وـإـنـ لـمـ يـعـطـ أـحـدـ ، وـلـوـ أـعـطـ شـيـئـاـ لـاـ يـسـتـطـيـعـ أـحـدـ أـنـ يـأـخـذـهـ مـنـكـ ،
وـإـنـ لـمـ يـعـطـ لـاـ يـسـتـطـيـعـ أـحـدـ أـنـ يـعـطـ ، لـاـ حـظـهـ ؛ لـيـحـفـظـكـ ، وـاـصـرـفـ
حـيـاتـكـ فـيـ عـبـادـتـهـ ؛ فـلـعـلـهـ يـطـلـبـ حـسـابـ صـرـفـ حـيـاتـكـ ، وـاـعـلـمـ أـنـ دـلـيلـ
الـطـرـيـقـ هـوـ الـعـلـمـ ، وـصـاحـبـ الـطـرـيـقـ هـوـ اللـهـ - سـبـحـانـهـ - ، وـاـحـسـبـ
أـنـ الـعـقـلـ بـصـيرـ ، وـاـعـلـمـ أـنـ الرـسـلـ أـحـيـاءـ ، وـآمـنـ بـأـنـ الـقـرـآنـ إـمـامـ ، وـأـدـ
الـصـلـاـةـ ، وـالـصـومـ ، وـالـحـجـ ، وـالـزـكـاـةـ ، كـنـ مـجـاهـدـاـ وـلـاـ تـنسـ اللـهـ - تـعـالـىـ -
كـنـ صـبـورـاـ لـتـصـلـ إـلـىـ الـمـطـلـوبـ ، وـاـطـلـبـ الـاسـتـعـانـةـ فـيـ كـلـ الـأـمـرـ مـنـ
الـلـهـ - تـعـالـىـ - ، وـاـعـرـفـ أـنـ رـأـسـ مـاـلـ الـحـيـاةـ هـوـ التـوـحـيدـ ، وـاـعـلـمـ أـنـ
أـسـاسـ التـقـوـىـ هـوـ التـوـحـيدـ ، وـاـعـلـمـ بـأـنـ الـاعـقـادـ الـحـسـنـ كـكـنـزـ لـاـ زـوـالـ
لـهـ ، وـاـحـمـلـ الـمـنـةـ وـلـاـ تـحـمـلـمـ عـلـىـ أـحـدـ . لـاـ تـأـكـلـ طـعـامـ كـلـ النـاسـ
وـلـاـ تـمـنـعـ طـعـامـكـ مـنـ أـحـدـ . نـظـفـ قـلـبـكـ وـلـبـاسـكـ . لـاـ تـعـتمـدـ عـلـىـ النـسـاءـ
الـعـجـائـزـ ، وـلـاـ تـدـخـلـ الـخـنـثـ فـيـ بـيـتـكـ ، وـاـطـلـبـ الـوـفـاءـ مـنـ لـهـ الـأـصـلـ ؛ لـأـنـ
الـأـصـلـ لـاـ يـخـطـىـءـ ، وـاـعـلـمـ أـنـ تـوـفـيقـ الـهـدـاـيـةـ يـحـصـلـ مـنـ اللـهـ - تـعـالـىـ -

لا تجلس مع الأرذل ، وافرح أقاربك الفقراء ، واعلم أن أقبح العيوب
كثرة الكلام . لا تنه حياتك بالجمالة . قل قليلا وكل القليل ، كن قليل
النوم ، واصبر في المشكلات . لا تغتم بما فات وبما كسر وبما سقط .
لا تفتر بما في يدك ولا تغتم بما زال عن يدك ، واعرف أن الحياة
(الحقيقة هي) في عاقبة الأمر ، واغتنم فرصة صحتك ، واعلم بأن الذكاء
كله هو معرفة عاقبة الأمور . لا تخف من الموت ، ولا تعتمد على الحياة ،
لاتبع الدين بالدرهم والدينار . خف إذا كنت في أمن . افتخر بالفقر .
أصلح باطنك أكثر من الظاهر ، وخذ لصاقتك الشخص المجرب .
لا تكلم بالشدة ، واختر السكوت^(١) ، ولا توعد أحداً بالحرب والعداوة ،
واحذر من قبول أوامر نفسك ، واجعل مالك فداء لنفسك ، وعاقب
على قدر المعصية ، واعمل مع الصديق بالتواضع . لا تعتقد بزهد الجاهل ،
واطلب في الكلام الصواب ، لا تصنف أحداً بالإفراط ، ولا تحترز من
الصدق وإن أضرك ، لا تذهب إلى الضيافة من غير الدعوة ، ولا تبع
إذا لم تجده المشتري ، واعف لتعفى ، لا تأخذ ما لم تكن وضعته . لا تنسب
لأعمالك ما لم تكن عملته . لا تتعرض للامتحان (أى لا تقدم نفسك
من غير الضرورة إلى الامتحان) ، ولا تكن عبداً حريضاً ، ولا تكن
نائماً وغافلاً ، لا تفتخر بالمعاصي ، ولا تخف من الفقر . يجب أن تكون
أخلاقك في السفر أحسن مما كنت في الحضر . إذا لم تنجح في الصلح
يلزم أن تكون هميئاً للحرب ، لأن العمل الذي لم يتم بالصلح يلزم

(١) إلا عند الضرورة إذ قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : «أكثر
أهل النار حساند أسلتهم» .

أن يتم بالجنة ، (١) ، عدوك وإن كان حقيراً لا تأمن منه ، خف
كثيراً من العدو الذي في يديك ، لا ت safِر مع الذي لم تكن تعرفه ،
كن قانعاً بقلبك ، واحفظ الأمانة ، لا تكن في مهام الأمور ضعيف
الرأي والهمة ، لاحظ عهده في حالة سخطك وغبلك ، إذا وصلت إلى
المال والجاه لا تمنعه من أقربائك ، اعلم أن صدقة القلوب تحصل من
السکوت وقلة الضرر . لا تعمل العمل الذي لا يليق . لاتقل شيئاً تعذر
عنه . واعلم أن غنيمة الدارين هي السکوت . واعتقد بأن الاحترام
أولى من المال . فكر أولاً ، ثم قل . إدفع البلاء بالصدقة . ولو تستطيع
تشاور مع العقاماء كلما استطعت . احترم المشائخ المجرمين . لا تقذف
الناس بالجرائم والبهتان ؛ لئلا يرجع إليك عكس عملك . لا تقل للناس
الشيء الذي لا تستطيع أن تسمعه ، اعلم أن الرضا بالفساد أساس
العصيان . اعلم أن من يحرأ وليس عنده السلاح فهو أحمق . لا تنظر
إلى الناس بالحقارة . لاتعبد الدنيا ؛ لأن عبادة الدنيا (هي في الحقيقة)
عبارة عدو الله . واجعل من التقوى زاداً للآخرة . كن حريصاً على
الطاعة ولا تعتمد عليها . لا تغرق نفسك في بحر الآمال . لا تنظر
احتياجك إلى الناس (لو تستطيع إخفاءه) لاتعود لسانك الشتم . لاتفرح
بمصالح الناس . إهرب من لايختلف من اللوم . لاتقل سرك للناس .
واطلع أصدقائك على عيوبهم . جرب الناس أولاً بالمعاملة ، ثم وطد
الصدقة معهم ، فليتقو الملك بالوزير الصالح .

(١) هذا في مهام الأمور الدينية وللمدافعة عن منفعة عامة بحيث لم يبق طريق آخر غير الحرب فإذا لم يكن الحرب جنوباً . لكن سمي جنوباً باعتبار أنه يصد الجنون .

اعلم أن الشريعة مثل الجسد ، والطريقة مثل القلب ، والحقيقة مثل الروح . كن بصيراً لعيوبك . لا تشاور عدوك وإن فعلته فلتحذر ، ولا تسمع كل ما قال (عدوك) . هي نفسك للإعتماد ؛ لكن يعتمد عليك الجميع . زر الأحياء ، والأموات . اطلب الراحة من المشقة . اعتقد بأن الرزق . من الله - جل جلاله - حتى لا تكفر . صاحب العقلاء . لأنخرج رجلك من فرشك . لا تغتر بظاهر الناس . اعمل الأخوة مع الصالحين . اهرب من العصيان . لو كانت عندك (من المواجه) فلا تبعها ، ولو لم تكن عندك كن ساكتاً ، إذا جلسست عند الأكابر (من العقلاء) كن سمعاً كاك . وإذا كلموك كن ساكتاً ، واعتمي الحياة ، واطلب نجاة النفس في العبادة ، واطلب المعاونة في كل الأمور من الله - تعالى - . لا تحسب الجاهل حيا . واحذر من العدو المنافق ، واجتنب من الجاهل المغرور . لا تقل مالم تكن سمعت أو رأيت . كن بصيراً إلى عيوبك ، ولا تقل عيب الناس . لا ترجع عن قول الصدق ، ولا تستعجل في الجواب . لا تغنم من غير الفائدة ، واعلم أن سعادة الدنيا والآخرة في صحبة العاقل . لا تفتخرا بالثراء ، واحذر من التعصب . لاتساعد الناس على المعاصي كن نظيفاً وبشوشآً ؛ لكن يحبك الناس . من يعف عنك في وقت الغضب يليق للصادقة . حاول رعاية القلوب ، واستر العيوب . اعلم أن أفضل الحياة حسن الذكر ، فحاول أن تشيريه بكل قدرتك . جرب القريب في وقت الغضب وجرب الصديق في وقت عدم القدرة .

اعلم بأن الله - تعالى - حاضر أينما كنت ، فقم بوفاء العهد واغتنم الوقت . كن دائماً على العبادة ؛ لأن كمال الإنسان في عبودية الله - تعالى - والعزة في التواضع والإنسكار (إلى الله - تعالى -)^(١) .

(١) من كتاب «مناجاة ومقالات» لـ عبد الله الأنصاري بالفارسية (ص ٥١-٩٢)

حل مشكلة اختلافات الصوفية عند شيخ الإسلام عبد الله الأنصاري
قد ثبت عند شيخ الإسلام أن الإنحرافات الكثيرة التي دخلت
في مسلك الصوفية الإسلامية الأصلية كانت أكثرها من الأسباب الآتية -

- (ا) الاتصال بآراء المسيحيين .
- (ب) الاتصال بآراء اليهوديين وآراء الزردشتية .
- (ج) الاختلاط بآراء الفلاسفة في الميتافيقا .
- (د) ترويج الخرافات من الدين اشتهروا بها - تعالى - .
- (ه) الدسائس والمؤامرات الاستغلالية باسم الدين .
- (و) الضعف ، والكسل ، والميل إلى الراحة .
- (ز) الأنبياء للتقايد والحكايات والروايات الغير المؤتوف بها ،
وعدم الاهتمام بما جاء في الكتاب والسنة :

فصمم شيخ الإسلام ، على أن يؤيد الحركات التي بدأ بها ،
والجنيد ، و «أبو نصر السراج» ، صاحب كتاب «اللمع» ، وتلميذه
«السلفي» ، وغيرهم من الصوفيين الكرام العظام ضد الخرافات التي اشتهرت
باسم التصوف ، فجدد مسلك الصوفية الإسلامية من المنابع الأصلية ،
ورتب مقاماته ومنازلها وأذواقه ومواجده على أحسن نهج ، وعلم الناس
أن مسلك التصوف إسلامي يؤيد الحق والمبادئ الأخلاقية السامية
الروحية والإجتماعية ، وأنبأ أن الناس يحتاجون في نيل السعادة
الأبدية إلى التصوف الإسلامي الخالص الأصيل : وليس كلامه بعض من
لا خبرة له ، وتأثر بالمساكيات تأثيراً سيناً ، فوصفه بأنه مسلك الجود
والخود والعطالة ، فالتصوف الإسلامي عند شيخ الإسلام عبد الله

— ٣٣٧ —

الأنصارى، أساسه الشريعة، ويصل السالك منها ببركة الطريقة إلى الحقيقة،
خاول أن يوجء الناس إلى الشريعة الحقة، ولقائهم الطريقة المنتجة،
وصمم على الوصول إلى الحقائق الثابتة.

فإذن تصوّف «شيخ الإسلام عبدالله الأنصارى»، ليس إلا ما جاء
في الكتاب والسنة الممزوج بالتجارب لأهل الله - تعالى - في السلوك،
وبتجاربه الشخصية التي حصلت عنده في تطبيق الشريعة، وفي العمل
بالطريقة، وفي الوصول إلى الحقيقة.

أثر كفاح

«شيخ الإسلام عبد الله الأنصاري» في المجتمع

لأشك أن من يقرأ ما كتبناه سابقاً بدقة يظهر له مدى تأثير كفاحه في المجتمع، لكنني مع هذا أذكر نبذة من الترجمة التي كتبت عنه؛ لكي يتضح تأثير كفاحه في المجتمع.

ذكر الإمام أبو الحسين عبد الغافر بن إسماعيل الفارسي «خطيب نيسابور» في تاريخ «نيسابور» اسمه ونسبه، وقال: «أبو إسماعيل الإمام شيخ الإسلام» - «هراء» صاحب القبول في عصره، والمشهور بالفضل وحسن الوعظ والتذكير في دهره.

لم ير أحد من الأئمة في فنه حلماً مارآه علينا من الحشمة الوافرة القاهرة، والرونق الدائم، والاستيلاء على الخاص والعاص في تلك الناحية، واتساق أمور المریدین والأتباع والمعاليين في حقه، والشمام المدارس والأصحاب والخانقاه ونواب المجالس إلى غير ذلك مما هو أشهر من أن يحتاج إلى الشرح.

وكان على حظ تام من العربية ومعرفة الأحاديث والأنساب والتاريخ إماماً كاملاً في التفسير والتذكير وحسن السيرة والطريقة في التصوف ومعاشرة الأصحاب الصوفية، مظهر السنة داعياً إليها محرضاً عليهما، غير مشغول بـ كسب الأسباب والضياع والعقار والتوجُّل في الدنيا، مكتفياً بما يبسط به المریدون والاتباع من أهل مجلسه في السنة مرة أو مرتين (من الهدایا) حاكها عليها حكماً نافذاً بما كان يحتاج إليه هو وأصحابه من السنة إلى السنة على رأس الملا، فيحصل على ألف من الدنانير وإعداد جمة من الثياب والخليل وغير ذلك، ويفرقها على الخباز والبقاء

والقصاب ، وينفق منها ، ولا يأخذ من السلاطين والظلمة وأركان الدولة شيئاً ، وقلما يراغعهم ، ولا يدخل عليهم ، ولا يهالي بهم ، فبني عزيزاً مقبولاً قبولاً أتم من الملك على الحقيقة مطاع الأمر قريباً من ستين سنة من غير مزاحمة ولا فتور في الحال (١) .

وذكر «أبو النصر عبد الرحمن بن عبد الجبار الفامي» في تاريخ «هراء»، أحوال شيخ الإسلام، فقال: «كان بكر الزمان، وزناد الفلك، وواسطة عقد المعانى والمعالى، وصورة الإقبال في فنون الفضائل وأنواع المحسن».

منها : نصرة الدين والسنة ، والصلابة في قمر أعداء الله والمحابين بالبدعة - حتى على ذلك عمره من غير مداهنة ومرافقة لسلطان ولا وزير ، ولا ملائكة مع كبير ولا صغير . وقد قاسى بذلك السبب قصد الحсад في كل وقت وزمان ، ومني بكيد الأعداء في كل حين وأوان ، وسعوا في روحه مراراً ، وعمدوا إلى هلاكه أطوار ، مقدرين بذلك الخلاص من يده ولسانه ، وإظهار ما أخْمروا في زمانه ، فوقف الله شرهم ، وأحاط بهم مكرهم ، وجعل قصدهم لارتفاع أمره وعلو شأنه أقوى سبب ، وليس ذلك من فضل الله - تعالى - بيدع ولا عجيب (٤٧ : ٧) ، إن تتصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم).

وأما قبوله عند الخاص والععام ، واستحسان كلامه ، وانتشاره في جميع بلاد الإسلام ، فأظهر من أن يقام عليه حجة وبرهان ، أو يختلف في سبقة وتقديمه فيها من الأئمة اثنان . ولقد هذب أحوال هذه الناحية

(١) من كتاب الذيل على طبقات الحنابلة «المجلد الأول» ، ص (٦٤) .

عن البدع بأسراها ، ونفعه أمرهم بما اعتادوه منها في أمرها ، وحملهم على الاعتقاد الذي لا مطعن لسلم بشيء عليه ولا سبيل لمبتدع إلى القبح إليه . ومنها : تصانيفه التي حاز فيها قصب السبق بين الأضرب ، وذكرها في باب المصنفين من الكتاب ،^(١) (أى فوق درجة المؤلفين) .

وتجدر بالذكر أن أقول يثبت من جميع الترافق التي كتبت في التعرف له ، عبد الله الانصارى ، أنه ، وصل في حياته إلى أقصى درجة في قبول العام والخاص ، وأن أفكاره ، وآرائه ، وأخلاقه ، وآدابه ، وجذباته ، ومناجاته ، ونصائحه ، وكفاحه ، وصراحته ، ومتانته ، وتعبيده ، واستقامته ، وشريعته ، وطريقته ، وحقيقة قد أثرت في المجتمع تأثيراً مغناطيسياً عميقاً ، حتى أفرَّ المسلمين في جميع البلاد الإسلامية بأنه « شيخ الإسلام » ، وشيخ الشيوخ والحكماء ، في عصره .

(١) من كتاب الذيل على طبقات الحنابلة المجلد الأول ص (٦٣) .

- ٣٤٤ -

من المخاوف والمخاطر والممالك هي تزكية النفوس من الأوهام والانحرافات وتنقيتها بانباع ما جاء في القرآن الكريم وما جاء في أحاديث الرسول - صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - .

ولما وصلت درجة كفاحه، إلى الندوة أهدى له — كما ذكرنا — خليفة المسلمين « القائم بأمر الله »، في سنة (٤٦٢ هـ) الخلعة الرايعة، ثم لقبه خليفة المسلمين « المقتدى »، رسمياً في سنة (٤٧٤ هـ) بـ « شيخ الإسلام وشيخ الشيوخ والحكام »، وأهدى له ولابنه « عبد المادي »، الخلعتين الموقرتين .

الحق : أنه كان لأنقا بكل هذا الإجلال ، لأنَّه لا يغره اتجاه الناس إليه ، ولا إعطاء الألقاب والنياشين له ، بل مع ذلك كان ليلاً ونهاراً يفكِّر ، ويعبد ، ويلقن ، ويحب الله - تعالى - ، ويخدم خلائقه ، ويحب الصراط القويم ، ويحاول أن يتم رسالة حياته على أكمل وجه .

قد ثبت أن الصوفيين الذين جاءوا بعد « عبد الله الانصارى »، قد استفادوا كثيراً في تصوفهم من تصوفه ، وأخذوا نبذاً كثيرة من آرائه وتلقيناته ، كما ألف كثير من المؤلفين العظام مثل : العارف بالله « محمود ابن شيخ شيوخ العارفين حسن ابن محمد الفركاوي القادرى »، والشيخ الإمام « سعيد الدين أبي محمد عبد المعطى ابن أبي الثناء محمود بن عبد المعطى اللخمي الاسكندرى »، و « ابن قيم الجوزية »، وغيرهم شروحاً على تأليفاته ، ونشرت صور مخطوطات آثاره في كثير من المكتبات ، وطبعت ونشرت كتبه ورسائله في كل الأقطار الإسلامية ، كما توجد مخطوطات آثاره ومطبوعات كتبه ورسائله في أكثر البلاد خصوصاً في « أفغانستان »، و « باكستان »، و « إيران »، و « الهند »، و « روسيا »، و « مصر » ،

— ٣٤٥ —

و «دمشق»، و «بغداد»، و «تركيا»، و «لندن»، و «فرنسا»، وفي بعض مكتبات «أمريكا»، و «ألمانيا».

و جدير بالذكر أنه يذكر اسم «شيخ الإسلام عبد الله الأنصاري»، الآن أيضاً في بلاد «أفغانستان»، و «إيران»، و «باكستان»، و «الهند»، بكل الاحترام عند عامة الناس، ويقتصر المثقفون ويتلذذ الصالحون بذكر مناجاته ونصائحه وتلقيناته في المجالس العامة والخاصة.

هذا هو «شيخ الإسلام»، والخير الإمام، شيخ الشيوخ والحكام «أبو اسماعيل عبد الله الأنصاري المروي»، رحمه الله - تعالى - رحمة واسعة، وأدخله في جنات النعيم مع أصدقائه ومحبيه، ويهدينا الله - القوي - لما يحبه ويرضى، وينجحنا نجاحاً فائقاً في الدنيا والآخرة بهـه وكرمه.

آمين يارب العالمين .

المراجع

- ١ - «تفسير المروى» بالفارسية المشتمل على الأسرار، لـ (عبد الله الانصارى) طبع في طهران، باهتمام جناب على أصغر حكمت.
- ٢ - من مشتقات رسالة «مناقب الإمام أحمد بن حنبل»، لـ عبد الله الانصارى.
- ٣ - رسالة «الأربعين في دلائل التوحيد» لـ «عبد الله الانصارى»، من صورة شريط رقم (٤٣) بجامعة الدول العربية.
- ٤ - كتاب «طبقات الصوفية» بالفارسية لـ «عبد الله الانصارى»، المطبوع في كابل سنة (١٣٤١ هـ).
- ٥ - كتاب «مناجاة ومقالات» بالفارسية لـ «عبد الله الانصارى»، المطبوع في طهران.
- ٦ - كتاب «كشف الظنون» لـ «حاجي خليفة».
- ٧ - كتاب «ذم الكلام وأهله» لـ «شيخ الإسلام عبد الله الانصارى»، من الشريط رقم (٩٧) في موسوعة المخطوطات بجامعة الدول العربية.
- ٨ - كتاب «صون المنطق والكلام» لـ «سيوطى».
- ٩ - كتاب «تمييز تاريخ الفلسفة الإسلامية» للأستاذ مصطفى عبد الرزاق باشا.
- ١٠ - كتاب «نفحات الأننس» بالفارسية لـ «عبد الرحمن جامي».
- ١١ - رسالة «عمل المقامات» لـ «عبد الله الانصارى».

١٢ - رسالته ، المختصر في آداب الصوفية والساكين لطريق الحق بالفارسية لـ « عبد الله الأنصاري » .

١٣ - كتاب « صديقان » بالفارسية لـ « عبد الله الأنصاري » .

١٤ - كتاب « منازل السالرين إلى الحق المبين » لـ « عبد الله الأنصاري » .

١٥ - كتاب « الذيل على طبقات الحنابلة » لـ « ابن رجب » .

١٦ - من مقدمة كتاب « طبقات الصوفية » لـ « عبد الحفيظي » .

١٧ - كتاب « نهضتين سال وفات خواجه عبد الله الأنصاري » بالفارسية المطبوع في كابل سنة (١٣٤٢ هـ) .

١٨ - كتاب « كنج نامه » خواجه عبد الله الأنصاري بالفارسية قرأت هذا الكتاب وأشارت إلى ضعفه في الرسالة .

١٩ - كتاب « شرح منارل السالرين » للشيخ الإمام « سعيد الدين » .

٢٠ - كتاب « مدارج السالكين » لـ « ابن قيم الجوزية » .

٢١ - كتاب « كازركاه » لـ « فکری سلجوقي » .

٢٢ - كتاب « شرح منازل السالرين » لـ « العارف بالله - تعالى - محمد بن حسن بن محمد الفركاوي » .

٢٣ - كتاب « زندگ خواجه عبد الله الأنصاري هروي » بالفارسية .
ترجمة « روان فرمادی » .

٢٤ - كتاب « المنجد » في الأدب والعلوم .

٢٥ - كتاب « مقامات شيخ الإسلام عبد الله الأنصاري هروي بالفارسية بتحقيق « فکری سلجوقي » ، المطبوع في كابل سنة (١٣٤٣ هـ) .

٢٦ - كتاب « تذكرة الأولياء » لـ « شيخ فريد الدين غطار » .

٢٧ - كتاب « تاريخ » لـ « ابن الأثير » .

٢٨ - كتاب « سير الأعلام النبلاء » لـ « ذهبی » .

- ٣٤٩ -

- ٢٩ - كتاب «المنقذ من الضلال»، طبع مكتبة « الأنجلو ».
- ٣٠ - كتاب «تهافت الفلسفه»، لـ «غزالى»، طبع : دار المعارف بمصر بتحقيق الدكتور سليمان دنيا .
- ٣١ - كتاب «المع لـ أبى نصر السراج الطوسى» بتحقيق الدكتور عبد الحليم محمود .
- ٣٢ - كتاب «شرح نصیر الدین الطوسی»، على الإشارات والتبيهات ، لـ «أبى على بن سينا» .
- ٣٣ - كتاب «المل والنجل»، للإمام الشهريستاني تخریج محمد بن فتح الله بدران .
- ٣٤ - كتاب «شرح العقائد النسفية»، لـ «سعد الدين التفتازانى» .
- ٣٥ - كتاب مقاولات الإسلاميين لـ «أبى الحسن على بن اسماعيل الأشعري» .
- ٣٦ - كتاب «اللمعة في تحقيق مباحث الوجود والحدوث والقدر وأفعال العباد»، لـ «الشيخ ابراهيم» .
- ٣٧ - كتاب «تاريخ المذاهب الإسلامية» لـ «محمد أبى زهرة» .
- ٣٨ - كتاب «الفرق بين الفرق»، مصدر الإسلام عبد القادر بن طاهر ابن محمد البغدادي الاسمفرايني .
- ٣٩ - كتاب «التبين»، لـ «ابن العساكر» .
- ٤٠ - كتاب «طبقات الشافعية» لـ «السبكي» .
- ٤١ - كتاب مقدمة «كشف الأسرار» لـ «أبى الفضل رشيد الدين الميدى»، على تفسير شيخ الإسلام عبد الله الأنصارى .
- ٤٢ - كتاب «أسماء المصنفين» لـ « اسماعيل باشا» .
- ٤٣ - كتاب «نابغة الشرق» السيد جمال الدين الأفناى .

- ٣٥٠ -

- ٤٤ - كتاب «قوت القلوب» لـ «أبي طالب المذكي».
- ٤٥ - كتاب «التعرف لمذهب أهل التصوف» لـ «أبي بكر محمد الكلاباذى».
- ٤٦ - كتاب «حلية الأولياء» لـ «أبي نعيم الأصفهاني».
- ٤٧ - الرسالة «القشيرية» للإمام «عبد الكريم القشيري».
- ٤٨ - كتاب «خواجه عبد الله الانصارى متتصوف وحنبل».
- ٤٩ - كتاب «رياض الصالحين» ، للإمام الحافظ محيى الدين أبى زكريا يحيى بن شرف النووي».
- ٥٠ - كتاب «طبقات الصوفية» لـ «السلمى».
- ٥١ - القرآن الكريم ..

منهج المسالة

- ١ - العصر الذي ولد ونشأ فيه الصوفى الكبير «شيخ الإسلام عبد الله الانصارى المروى» .
 - ٢ - حياته من أواها إلى نهايتها بالتفصيل . وهذا لأنى ما رأيت إلى الآن باللغة العربية كتاباً يشرح حياته الخصبة لخدمة الإسلام شرعاً وأفياً .
 - ٣ - مؤلفاته : ما ألفه وأملاه على تلاميذه أو اشتهر باسمه . وهذا لأن مؤلفاته الكثيرة وما نسب إليه من الآثار تتطلب التحقيق .
 - ٤ - مقارنته آرائه التي تتعلق بالعقيدة والكلام بأراء الذين خالفهم في عصره من الشيعة والمعزلة والأشاعرة والماتريدية وغيرهم مع التعليقات عليها . وهذا لأن آرائه هذه تتطلب المقارنة بالأراء التي كانت في عصره ، وتفتضي التحقيق .
 - ٥ - تصوفه وحياته الروحية . وهذا لأن في تصوفه وحياته الروحية يوجد كثير من المطالب والقيم الحامة :
 - (١) الآداب الظاهرة والباطنية للتصوف عنده .
 - (ب) نبذة من مناجاته ونداءاته مع التعليق عليها .
 - (ج) نبذة من مواضعه ونصائحه مع التعليق عليها .
 - ٦ - تأثيره في المجتمع ، والنتيجة الأخيرة .
- ملاحظة :

سند كرت تحليل بعض ما جاء في تصوفه من القيم الروحية في مواضعه .

فهرس

الصفحة	الموضوع
٣	تقدير
٧	المقدمة
١١	منهج الرسالة
١٣	العصر الذي ولد ونشأ فيه الصوفي الكبير شيخ الإسلام «عبد الله الأنصاري»
١٥	مدينة «هراء»، التي ولد ونشأ فيها «عبد الله الأنصاري»
١٧	بحمل المذاهب والاتجاهات الموجودة في مدينة «هراء»، في عصر «عبد الله الأنصاري»
١٨	أحوال والد «عبد الله الأنصاري»، وأمه
٢٣	حياة «عبد الله الأنصاري»
٢٤	عصر طفولة «عبد الله الأنصاري»
٢٦	كيف بدأت دراسات «عبد الله الأنصاري»
٣٣	أوائل شباب «عبد الله الأنصاري»
٣٥	قائمة بأسماء أكثر أساتذة «عبد الله الأنصاري»، في هذه المرحلة إلى سنة (٤١٧هـ)
٣٧	سفر «عبد الله الأنصاري» إلى مدينة «نيسابور»، سنة (٤١٧هـ - ١٠٢٦م) وما حدث له هناك
٤١	حياة «عبد الله الأنصاري»، بين سنة (٤١٨هـ) وبين سنة (٤٢٨هـ)
٤٢	أساتذة «عبد الله الأنصاري»، في هذا العصر
٤٣	أول سفر «عبد الله الأنصاري»، بقصد الحج ووصوله إلى مدينة الصوفى الكبير

صفحة

الموضوع

- ٤٤ «بغداد»، ورجعته منها إلى مدينة «هرأة»، وما حدث له بين سنة (٤٢٣ هـ) وبين سنة (٤٢٤ هـ)
- السفر الثاني لـ «عبد الله الأنصاري» بقصد الحج وملاقاته مع الصوف الشهير «خرخان»، في سنة (٤٢٤ - ١٠٢٢ م) وعودته إلى مدينة «هرأة»، في هذه السنة نفسها
- ٤٧ حياة «عبد الله الأنصاري»، في أيام «نباذان»، في فصل الشتاء من سنة (٤٢٥ هـ)
- ٥٤ حياة «عبد الله الأنصاري»، بين سنة (٤٢٥ هـ) وبين سنة (٤٣٦ هـ) وأهم ما حدث له في هذه المدة
- ٥٥ حياة «عبد الله الأنصاري» (بين سنة (٤٣٧ هـ) وبين سنة (٤٤٥ هـ)) وما حدث له فيها من المحن
- ٥٩ حياة «عبد الله الأنصاري»، بين سنة (٤٤٥ هـ) وبين سنة (٤٥٦ هـ) ونجاحه
- ٦٣ حياة «عبد الله الأنصاري»، بين سنة (٤٥٦ هـ) وبين سنة (٤٦٢ هـ) وخلافه مع أهل البدعة
- ٦٩ حياة «عبد الله الأنصاري»، بين سنة (٤٦٣ هـ) وبين سنة (٤٧٣ هـ) وعلو شأنه
- ٧٣ بعض أصدقاء «عبد الله الأنصاري»، وتلاميذه في هذه المدة
- ٨٠ معاملة «عبد الله الأنصاري»، مع أهل الحكمة والفلسفة في هذه المدة
- ٨٣ أهم ما حدث في حياة «عبد الله الأنصاري»، بين سنة (٤٧٣ هـ) حتى توفي في سنة (٤٨١ هـ)

صفحة	الموضوع
٩٣	بناء مقبرة «شيخ الإسلام عبد الله الأنصاري»
٩٤	أهل بيت «عبد الله الأنصاري» وأولاده
٩٦	مذهب «شيخ الإسلام عبد الله الأنصاري»
٩٩	مؤلفات «شيخ الإسلام عبد الله الأنصاري»، آثاره
١٠٠	(أ) آثاره التي ثبت أنه ألفها
١٠٦	(ب) آثاره التي كتب تلاميذه ومربيه عنه
١١٢	(ج) الآثار التي تنسب إليه ولكن في إثبات انتسابها إليه اشتباه . .
١١٨	آثاره التي توجد في اتحاد الجمهوريات الروسية
١٢٠	التعليق على الآثار المنسوبة إلى «عبد الله الأنصاري»
	المقارنة بين آراء «عبد الله الأنصاري» التي تتعلق بالمسائل الكلامية
١٢١	وبين آراء الذين خالفهم في عصره
١٢١	العقيدة الإسلامية
١٢٢	أركان الدين التي اتفق عليها جمور أهل السنة والجماعة . .
١٢٣	أسباب الاختلاف عموماً
١٢٤	أسباب الاختلاف بين المسلمين
١٢٤	اختلاف المسلمين حول المسائل الاعتقادية والسياسية والفقهية . .
	بجمل الآراء والاختلافات التي دارت حول القضاء والقدر
١٢٧	ورأى «عبد الله الأنصاري» في البحث عنهما
١٣١	الشيعة و «عبد الله الأنصاري»
١٣٤	المعتزلة و «عبد الله الأنصاري»
١٣٥	(أ) مذهب المعتزلة
١٣٩	(ب) أهم ما حدد من المعتزلة

صفحة	الموضوع
١٤١	المسائل التي خالف فيها «عبد الله الأنصاري»، «المعزلة»
١٣١	الأشاعرة و «عبد الله الأنصاري»
١٤٧	أسباب الخلاف بين الأشاعرة و «عبد الله الأنصاري»
١٤٩	المانزريدية و «عبد الله الأنصاري»
١٥٠	(أ) منهاج «المانزريدي»
	(ب) المسائل الأخلاقية بين «المانزريدية»، و «المعزلة»
١٥٠	و «الأشاعرة»
١٦٠	الإمام «أحمد بن حنبل»، و «عبد الله الأنصاري»
١٦١	(أ) حياة الإمام «أحمد بن حنبل»
١٦٣	(ب) آراء أهل السنة و آراء الإمام «أحمد بن حنبل»
١٦٩	(ج) آراء الإمام «أحمد بن حنبل»، التي تمسك بها «عبد الله الأنصاري»
١٧٣	آراء «عبد الله الأنصاري»، التي تتعلق بالعقيدة والكلام
١٧٤	عقيدة «عبد الله الأنصاري»، بآله وصفاته
١٧٦	رأى «عبد الله الأنصاري»، فيما يصح أن ينسب إلى الله - تعالى - ويطلق عليه
١٧٧	الأحاديث التي جاءت في رسالته المسماة بـ «الأربعين»، في دلائل التوحيد في حق ما يصح أن ينسب إلى الله تعالى
١٨٥	أهم مطالب كتاب «ذم الكلام وأهله»
	التعليق الخاص على الاختلافات والمناقشات التي تتعلق بالعقائد الإسلامية وعلم الكلام
٢١٥	حل مشكلة البحث في الآراء المكلامية عندى
٢٢٣	

صفحة	الموضوع
٢٢٣	تصوف «عبد الله الأنصاري»، وحياته الروحية
٢٣٥	منهج تصوفه
٢٢٦	الآداب الظاهرية للتصوف عند «عبد الله الأنصاري»
٢٤٧	الآداب الباطنية للتصوف عند «عبد الله الأنصاري»
٢٤٩	أهم المطالب التي جاءت في كتاب «منازل السائرين»
٢٩١	نصوص رسالة «عمل المقامات» لـ «عبد الله الأنصاري»
٣٠٣	التعليق على الآداب الظاهرية والباطنية لـ «عبد الله الأنصاري»
٣٠٦	نبذة من مناجاة «شيخ الإسلام عبد الله الأنصاري»
٣١٩	التعليق على مناجاة «عبد الله الأنصاري»
٣٢٠	نبذة من المواقف والنصائح التي نسبت إلى «عبد الله الأنصاري»
٣٢٠	(١) حاصل موعظة «عبد الله الأنصاري»، التي تتعلق بالعبادة والمعرفة والنظر في العوافب
٣٢٢	(٢) حاصل موعظة «عبد الله الأنصاري»، في الوصول إلى السعادة
٣٢٤	(٣) حاصل موعظة «عبد الله الأنصاري»، التي تتعلق بالاجتناب عن تضييع الأوقات
٣٢٥	(٤) حاصل موعظة «عبد الله الأنصاري»، التي تتعلق بالترهيب والترغيب
٣٢٧	(٥) حاصل موعظة «عبد الله الأنصاري»، التي تتعلق بمعرفة الأخلاق والفضائل المحمودة

صفحة

الموضوع

(٦) حاصل موعظة «عبد الله الأنصارى»، في الأمر بالأوصاف الجديدة	٢٣٠
التعليم الخاص على المواعظ والنصائح لـ «عبد الله الأنصارى» حل مشكلة اختلافات الصوفية عند «شيخ الإسلام»	٢٣٤
أثر كفاح «شيخ الإسلام» «عبد الله الأنصارى»، في المجتمع النتيجة الأخيرة عن كل ما كتبته في حق «شيخ الإسلام عبد الله الأنصارى»	٢٣٩
المراجع	٢٤٣
شكر وتقدير	٢٤٧
	٢٥١

تصويبات

الصفحة	سطر	خطأ	صواب	بالمتن والحاشية
١	٦	مبادئه	حياة	بالمتن
١٣	٢	هندوكن	هندوكش	بالحاشية
٢١	٦	ظل هكذا	ظل الحال هكذا	بالمتن
٢٢	١٤	عبد الانصارى	عبد الله الانصارى	ـ
٢٦	٤	X	زنى	ـ
٣٦	١٥	الجاوردى	الجارودى	ـ
٤٤	١٥	بانه	بان	ـ
٨٠	١٦	اجماعائهم	اجماعا لهم	ـ
٨٢	١	عبد الرحمن بن	عبد الرحمن بن منده	بالحاشية
٩١	١٥	سنة ٤٨٣	سنة ٤٧٣	ـ
١٠١	١٢	الأخير	الأخيرة	ـ
١١٣	١٢	لحصول	الحصول	ـ
١٣٠	٤	الهدايا	المداية	بالمتن
١٥٢	٣	التقبّح	القبح	ـ
١٥٦	٢	قرل	قول	بالحاشية
١٥٦	٣	الصفات	الصفات	بالمتن
١٧٢	١٤	نمّار	نمّار	ـ
١٨٦	١٧	غضبا	غضبا	ـ
١٨٩	١١	الكلاه	الكلام	ـ

- ٣٦٠ -

بيان والخاتمة	صواب	خطأ	سطر	صحيفة
,	جناحية	جناحية	١٥	١٩٥
,	يجي	يجي	١	٢٠١
,	الخربيجي	الخربي	٥	٢٠٢
,	الكرابيس	الكراءيس	١٥	٢٠٦
,	المعلول	المعول	١٦	٢٢٦
,	المعرفة	المعلومة	١٦	٢٢٦
,	مسكة	مسنكة	٣	٢٦٠
,	فناسة	نفاسة	٦	٢٧٦
حاشية	التلو	التليو	٨	٢٨٨

Get more e-books from www.ketabton.com
Ketabton.com: The Digital Library